السنة الأولى (شوال ١٣٥٣ — يناير [illegible]) العدد الثالث

صحيفة دار العلوم

١٩٣٤

فى العلم والأدب والاجتماع

تصدرها «جماعة دار العلوم»

كل ثلاثة أشهر

قررت وزارة المعارف ومجالس المديريات هذه الصحيفة فى مدارسها

المدير
أبو الفتح الفقى

رئيس التحرير
محمد على مصطفى

المراسلات تكون باسم مساعد التحرير
محمد مهدى علام
المفتش بوزارة المعارف
عضو المكتب الفنى

﴿ الاشتراك السنوى ﴾

فى القطر المصرى	لغير الطلبة	٢٠ قرشا
	للطلبة	١٢ «
	لمدرسى المدارس الأولية	١٢ «
خارج القطر		٥ شلنات انجليزية
ثمن العدد		٥ قروش

المطبعة الرحمانية بمصر
شارع الخرنفش رقم ٣٥ تليفون ٥١٥٢٢

اعضاء لجنة الصحيفة

حضرات الأساتذة

(١) السباعى السباعى بيومى	المدرس بدار العلوم
(٢) حامد عبد القادر	وكيل كلية اصول الدين
(٣) زكى المهندس	المدرس بدار العلوم
(٤) صالح هاشم عطيه	وكيل كلية اللغة العر
(٥) طه احمد ابراهيم	المدرس بكلية الآداب
(٦) عبد الحميد حسن	المفتش بوزارة المعارف
(٧) عبد الرحيم محمود	المدرس بالمدرسة التوفيقية الثانوية
(٨) عبد المغنى المنشاوى	المدرس بدار العلوم
(٩) عبد الوهاب حمود	المدرس بكلية الحقوق
(١٠) على عبد الواحد	المدرس بدار العلوم
(١١) محمد عطية الابراشى	المفتش بوزارة المعارف
(١٢) محمد على مصطفى	المفتش بوزارة المعارف (رئيس التحرير)
(١٣) محمد مهدى علام	عضو المكتب الفنى بوزارة المعارف (مساعد التحرير)
(١٤) محمد هاشم عطيه	المدرس بدار العلوم
(١٥) محمود محمد مصطفى	المدرس بكلية اللغة العربية
(١٦) مصطفى السقا	المحرر بالمجمع اللغوى الملكى

معاونو مساعد التحرير

(١) ابراهيم الابيارى	المحرر بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية
(٢) عبد الحفيظ شلبى	« « « « « «
(٣) عبد الخالق عبد المجيد عطيه	بوزارة الحربية

كلمة مدير الصحيفة

فى أول عدد يظهر من **صحيفة دار العلوم** فى هـذا العهد الجديد ، نرفع إلى السدة الملكية آيات الولاء والإخلاص ، داعين المولى القدير أن يبقى ذات المليك ممتعا بصحته ، عزيزا بأمته ، مؤيداً بتوفيق الله .

ونرفع إلى الوزارة تهنئتنا جماعة بعد أن هنأناها أفراداً ، نهنئها باسم **جماعة دار العلوم** ، ونهنئ وزير المعارف النبيل خاصة ، ذلك الرجل العظيم الذى عرفناه وعرفنا ، وقدرناه وقدرنا . ولا ننس لهعطفه على مطالب أبناء دار العلوم يوم أن تقدمنا إليه مع أعضاء مجلس إدارة الجماعة ، وشرحنا له ما أصاب ابناء دار العلوم من حيف وجور فى العصور البائدة من عصور وزارة المعارف . تلك العصور التى كانت دعائم سياستها رياسة ملتوية لا تتفق وتربية أبناء دار العلوم ، ولا تتلاءم ونشأتهم ، ولا تتناسب وكرامتهم ؛ فقضت عليهم هـذه السياسة بالحرمان من حقوقهم ، حتى مضى على طائفة من خيارهم حوالى أربعة وعشرين عاما وهم فى الدرجة السادسة ، كما مضى على كبارهم ربع قرن وهم محصورون فى وظائف التفتيش بل راكدون فيها .

عرضنا على معاليه هذه الحال ، وأبنـا له ما أصابنا من ظلم ، وشرحنا له ما نرجوه من عدل على يديه ؛ فقابل هذه المطالب بعطف الراعى العادل ، وعناية الرئيس البعيد عن الهوى ، الذى لا يفرق بين الشقيقين ، ولا يفاضل بين الأخوين . ثم وعد — ووعد النبلاء الأشراف عهد فى أعناقهم — بالفحص عن حالنا ، وإحقاق حقنا . نسأل الله له التوفيق والسداد .

هذا ولا يفوتنى فى هذه الكلمة أن أبشر أبناء دار العلوم بأنا قد وفقنا ، بعون الله وفضل معاضدتهـم ، إلى جمع المـال الكافى لافتتاح نادى **دار العلوم** فى الموعد الذى قررناه ، وهو اول يناير سنة ١٩٣٥

كما وفقنا إلى استئجار المكان اللائق بنادينا ، الذى سيجمع شتاتنا ، ويكون مقرا للجاننا المختلفة ولصحيفتنا . وإن هذا التوفيق من الله لعظيم ؛ نضرع إليه أن يسدد خطانا ، ويهدينا إلى الصراط المستقيم .

وأرى لزاماً على أن أشير هنا إلى شكوى بعض الاخوان جهلهم أسماء القائمين على الصحيفة والنادى حتى يستطيعوا الاتصال بهم ، وارسال اشتراكهم فيهما ، وأوجه أنظارهم إلى أن كل ما يتعلق بالصحيفة يجب أن يرسل إلى حضرة الاستاذ الجليل محمد مهدى علام عضو المكتب الفنى بوزارة المعارف ، وأن كل ما يتعلق بالنادى يجب أن يكون باسم حضرة الأستاذ الجليل صالح هاشم أمين الصندوق . ووكيل كلية اللغة العربية .
أما الاشتراك فى الجماعة وكل ما يتعلق بها يرسل باسم حضرة زميلنا الأستاذ الشيخ محمد فخر الدين الأستاذ بدار العلوم.

ولقد كنت أود من أعماق قلبى أن يعرف أبناء دار العلوم بالمدارس الحرة أن جماعة دار العلوم لم تكون لفريق دون آخر ، ولم تفرق بينهم وبين موظفى الحكومة ، بل ان قانونها عام يشمل كل خريجى الدار مهما كانت مهنهم . وان فريقاً كبيرا من مدرسى المدارس الحرة اشترك فى الجماعة وساهم فى ناديها، وما كان لبعض مدرسى المدارس الحرة أن يتفرقوا شيعا وجماعات، وأن يسيروا على غير هدى فى دياجير الحياة العامة ، على غير تقصير منا ، ولا إهمال بشأنهم ، ولا تراخ فى السعى وراء مطالبهم . وإنا لانزال نرحب بانضمامهم الينا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وهذا عهدنا لهم وحقهم علينا . والله الموفق لما فيه خير الجميع ؟

أبو الفتح الفقى

من مكتب التحرير

بقلم محمد على مصطفى

المفتش بوزارة المعارف ورئيس تحرير الصحيفة

ها نحن أولاء نسير بالأيام، ونخطو بالصحيفة إلى الأمام، ونصدر العدد الثالث منها ونحن أقوى عزما، وأكثر عددا، وأبعد ذكرا. وهو توفيق من رب العالمين، نشكره عليه، ونسأله المزيد منه.

ونحن نستقبل، فى هذا العدد، عودة المليك إلى حاضرة ملكه، وتمتعه بنعمة الصحة، بأعمق ما تنطوى عليه من الولاء قلوب، وأبرع ما تنطلق به من الإخلاص ألسنة، وأبلغ ما تسطر من الوفاء أقلام. مبتهلين إلى الله تعالى أن يحفظه قرير العين بأميرنا المحبوب، أمير الصعيد.

ونستقبل، فى هذا العدد كذلك، عهدا جديدا فى الحياة القومية، عهد الوزارة النسيمية التى قامت لتنهض بتحقيق آمال البلاد، وإصلاح أساليب الحكم، ونشر لواء الحرية والمساواة خفاقا على ربوع الوطن، وتأمين الناس على أرواحهم وأموالهم وآمالهم، فى حدود القانون والمصلحة العامة.

ونحن إذ نستقبل هذا العهد السعيد فى صحيفة دار العلوم لا نخرج على منهاجنا من عدم التعرض للشئون السياسية؛ ولكننا لا نستطيع — ونحن أعضاء فى الأمة المصرية — أن نغفل ما ابتهجت به الأمة المصرية، على اختلاف طبقاتها.

إن الصحيفة لترفع تهنئتها خالصة إلى حضرة صاحب الدولة الرجل الخير النزيه ، والوزير الخطير العادل رئيس مجلس الوزراء ، وزملائه أصحاب المعالى الوزراء ، وهى تدعو لهم جميعا بالتوفيق فى كل ما يقولون وما يفعلون .

ولقد كان من حظ وزارة المعارف أن قيض الله لها رجلا عالما بشئونها ، خبيرا بأحوالها ، قد اضطلع بكثير من مهامها من قبل ، وفيه شباب وقوة وحزم ، ورغبة شديدة فى الاصلاح ، وله بصر بطبائع المشكلات التى تعانيها وزارة المعارف ؛ ولهذا فرحت جماعة دار العلوم حين تربع فى دست هذه الوزارة الوزير الشاب العادل ، وسارع إلى تهنئته أعضاء مجلس إدارتها ، وقدمهم إلى معاليه الأستاذ نجيب حتاته وكيل جماعة دار العلوم ، ومعاون مراقبة التعليم الأولى . فصافحهم الوزير ، وأظهر اغتباطه بحضورهم ، وسروره لتهنئتهم ، وشملهم جميعا بعطفه ، وشجعهم بكثير من الكلم الطيب ، وأثنى على المدرسة والمتخرجين فيها خير الثناء ، ووجه إليهم جميعا شكره ، وكان مما قاله :

« أشكركم ألف شكر ، وأقول لكم : إنى أحفظ لهذا المعهد العظيم أثره ، وكلنا يعرف أنه المعهد الذى يغذى المدارس ، فى جميع مراحل التعليم ، بأساتذة اللغة والدين والأخلاق والخط ، وأن لرجاله الفضل علينا جميعا . واسأل الله سبحانه أن يوفقنا لخدمته وخدمة العلم » .

وإنا ننشر هـــذه الكلمة حتى يقرأها أبناء دار العلوم فى كل مكان ، فيغتبطوا جد اغتباط ، ويقابلوا هذا الشكر بالشكر المضاعف ، ويبذلوا أقصى ما يستطيعون فى نشر العلم ، ورفع لوائه بين الناس جميعا ، ويعلموا — إن فاتتهم المكافأة المادية — أن الوزير الجليل يعرف لهم مكانتهم ، ويقدرهم ولمعهدهم العظيم بالفضل الشامل .

ونريد فى ختام كلمتنا هذه أن نكرر شكرنا للصحافة العربية عامة ، والصحافة المصرية خاصة ، لما قابلت به كلا من العددين السابقين من النقد والتقدير .

ويسرنا أن نعلن لقرائنا أن كثيرا من الهيئات التعليمية قد اشتركت فى الصحيفة للمدارس التى تشرف عليها ؛ فمدارس الأوقاف الملكية ، ومجالس المديريات وغيرها قد اشتركت فى عدة نسخ من الصحيفة لمدارسها .

ونحن نرجو أن نوفق إلى شكر هذا التشجيع بالدأب والمثابرة واطراد التحسين .

اللغة والادب

فى مرآة الأدب

سهل بن هارون

٢

بقلم محمود مصطفى
أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية

قدمنا لك فى المقال الماضى عن سهل ما كشفنا به عن أسلوبه الحكيم ، ومنحاه الغريب فى استدلاله . ونعود اليوم فنجلو لك جانبا من عقله وناحية من ذكائه فى بدائهه التى رويت عنه ، وارتجالاته التى أكدت فضله عند من همّ بجحوده ، كذلك نورد عليك من نوادره وفكاهاته ما يضحك كل غضبان وإن تشدد ، وكل ثكلان وإن أحرقه لهيب الوجد .

وليست الفكاهة بهينة فى نفسها ، فهى صورة البديهة الحاضرة ، ونتاج الملاحظة القوية ، وعنوان الظرف والرقة . وهل ترى صاحب فكاهة إلا الألمعى الذى يظن فيؤكد ، ويتوهم فكأن قد . وهل تراه إلا ذلك المستبشر الممتلىء النفس ثقة بمواتاة الزمان ، ومحالفة الحدثان ! وهل يكون فكها إلا ذلك الواسع العطن ، الرحب النفس ، الذى عرف الحياة فسخر منها قبل أن تسخر منه ، وأدرك كنهها فاطّرحها قبل أن تطرحه ! إذاً يكون الفكه فى الناس هو الفيلسوف العملى الذى طبق نظريات أخيه فيلسوف

الخيال ، فابتسم كما أراد أخوه ، وفرح ومرح على حين ظل الثانى مكتئبا ينشد الحقيقة فتعييه ، ويبغى الكمال فلا يلفيه .

فسهل فى حكمته فيلسوف الخيال ، وفى فكاهته فيلسوف الحقيقة .

ذكروا عن دِعْبِل الخزاعى الشاعر أنه قال : أقمنا يوما عند سهل بن هارون وأطلنا الحَديث حتى أضرّ به الجوع ، فدعا بغَدائه ، فأتى بصفحة فيها مرق تحته ديك هرم ، فأخذ كسرة وتفقد مافى الصفحة فلم يجد رأس الديك ، فبقى مطرقا ثم قال للغلام: أين الرأس ؟ قال: رميت به ؛ قال : ولم ؟ قال : لم أظنك تأكله ؛ قال : ولم ظننت ذلك ؟ فوالله إنى لأمقت من يرمى برجله فكيف برأسه . ولو لم أكره ما صنعت الا للطيرة والفأل لكرهته . أما علمت أن الرأس يتفاءل به ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فَرَقه (١) الذى يتبرك به ، وعينه التى يضرب بصفائها المثل فيقال : شراب كعين الديك . ودماغه عجب لوجع الكلية ، ولم أر عظما قط أهش تحت الأسنان منه . وإن كان بلغ من نبلك أنك لا تأكله فعندنا من يأكله . أو ماعلمت أنه خير من طرف الجناح ، ومن رأس العنق ! انظر أين رميته . فقال : والله ما أدرى ؛ قال : أنا والله أدرى . أنك رميت به والله فى بطنك . فالله حسيبك !

وروى الجاحظ قال : لقى رجل سهل بن هارون فقال : هب لى مالا ضرر به عليك ؛ فقال: وما هو يا أخى؟ قال : درهم ؛ قال : لقد هوّنت الدرهم وهو طائع الله فى أرضه لا يعصى . وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف . والألف دية المسلم . ألا ترى إلى أين انتهى الدرهم الذى هوّنته ؟ ! . وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم؟! فانصرف الرجل . قال الراوى : ولولا انصراف السائل ماسكت سهل .

---

(١) يقال : ديك أفرق : بين الفرق عرفه مفروق .

ومن فكاهاته أيضا ما حكى الجاحظ : أن أبا الهذيل العلاف المتكلم سأله رقعة يكتب بها إلى الحسن بن سهل يستعينه على ضائقة لحقته . فكتب رقعة وختمها ودفعها إليه ، فأوصلها إلى الحسن. فلما رآها ضحك وأوقف عليها أبا الهذيل ؛ وإذا فيها مكتوب :

إن الضمير ، إذا سألتك حاجة لأبى الهذيل ، خلافُ ما أبدى
فامنحه روح اليأس ثم امدد له حبل الرجاء المخلف الوعد
حتى إذا طالت شقاوة جَده وعنائه فاجْبَهْه بالرد
واذا استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بأبلغ الجهد

ثم قال الحسن : هذه صفته لا صفتنا . وأمر لأبى الهذيل بمال . فعاد إليه فعاتبه فقال سهل : ترى أين عزب عنك الفهم ! أما سمعت قولى : « إن الضمير خلاف ما أبدى » فلو لم يكن ضميرى الخير ما قلت هذا .

* * *

قدمنا أن لسهل بديهة كشفت عن ذكائه وأبانت عن عبقريته ، وللبديهة وحضور الجواب شأن ليس بالهين ، ومقام دَحْض زاق لا يسلم فيه إلا كل من عصمته قريحته النافذة .

قال ابن عبد ربه فى مقدمة كتاب الأجوبة من كتابه العقد الفريد :

« هى أصعب الكلام كله مركبا ، وأعزه مطلبا ، وأغمضه مذهبا ، وأضيقه مسلكا ؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة الفكرة ، واستعمال القريحة . يروم فى بديهته ما أبرم القائل فى رويته . فهو كمن أخذت عليه الفجاج ، وسدت عليه المخارج ، قد اعترض الأسنة . واستهدف للرامى . لا يدرى ما يُقرع به فيتأهب له ، وما يفجؤه من خصمه فيقرعه بمثله ؛ ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بزمامه بعد أن روّى فيه واحتفل ، وجمع خواطره واجتهد ، وترك الرأى يَغِبّ حتى يختمر . فقد كرهوا الرأى

الفطير [١]، كما كرهوا الجواب الدَّبَرى [٢]. فلا يزال فى نسج الكلام واستئناسه، حتى إذا اطمأن شارده، وسكن نافره، صك به خصمه جملة واحدة ثم إذا قيل له: أجب ولا تخطىء، وأسرع ولا تبطىء. تراه بجواب من غير أناة ولا استعداد، يطبق المفاصل، وينفذ المقاتل؛ كما يرمى الجندل بالجندل، ويقرع الحديد بالحديد. فيحل به عراه، وينقض مرائره [٣]، ويكون جوابه على أكثر كلامه كسحابة لبّدت عجاجة. فلا شىء أعضل من الجواب الحاضر، ولا أعز من الخصم الألد الذى يقرع صاحبه ويصرع منازعه. ويكون كمثل النار فى الحطب الجزْل »

ومن أمثلة هذه البديهة فى سهل ما ذكروا من أنه دخل على الرشيد وهو يضاحك المأمون فقال: اللهم زده فى الخيرات، وابسط له من البركات، حتى يكون فى كل يوم من أيامه مُرْبيا على أمسه، مقصرا عن غده، فقال الرشيد: يا سهل، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه، ومن الحديث أفصحه وأوضحه، إذا رام أن يقول لا يعجزه القول؟ فقال سهل: يا أمير المؤمنين، ما ظننت ان أحدا تقدمنى إلى هذا المعنى؛ قال: بل الأعشى الهمْذانى حيث يقول:

رأيتك أمس خير بنى لؤى　　وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا　　كذاك تزيد سادة عبد شمس

وذكروا أن المأمون كان استثقل سهل بن هارون وقد دخل عليه يوما والناس على مراتبهم، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب؛ فلما فرغ من كلامه أقبل سهل على الجمع فقال: ما لكم تسمعون ولا تعون،

---

(١) الفطير: كل ما أعجل من إدراكه. (٢) الدبرى: الرأى يسنح عند فوات الحاجة. ولعله نسبة إلى الدبرة (بالتحريك) وهو اسم من الادبار بمعنى الهزيمة فى القتال.
(٣) المرائر: جمع مريرة وهى الحبل المفتول.

وتشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تعجبون ، وتتعجبون ولا تنصفون ، والله إنه ليقول ويفعل فى اليوم القصير ما فعل بنو مروان فى الدهر الطويل . عربكم كعجمكم، وعجمكم كعبيدكم [١] . ولكن كيف يعرّف بالدواء من لا يشعر بالداء ! فرجع المأمون فيه إلى الرأى الأول.

وذكروا من محاسن تعريضاته أنه خاطب بعض الأمراء فقال له الأمير: كذبت ؛ فقال : أيها الأمير ، إن وجه الكذاب لا يقابلك . يعنى بذلك أن الأمير هو الكذاب ؛ لأن وجه الأنسان لا يقابله أبدا .

رسالته فى البخل

لا نجد من آثار سهل إلا ماقدمنا لك من كلمات أثرت عنه ، وذكرت فى مقام التدليل على فضله ، والاستشهاد على بلاغته . فأما الكلام المجتمع ، وأما القول المسهب ، وأما المشكلة من مشاكل الحياة يعالجها ، والسر من أسرارها يكشف عنه ، فذلك مالا مطمع فيه إلا فى رسالته فى البخل التى أوردها الجاحظ فى كتابه « البخلاء » . ولو فات الجاحظ هذا التسجيل لفاتنا أعظم أثر لسهل .

تلك هى الرسالة التى وجهها سهل إلى لائميه فى خطته التى سمّاها حزماً واحتياطاً وتّذرعا لمفاجأة الأيام ، وتحصناً من عوادى الخطوب ، وسماها هؤلاء اللائمون بخلا وشحاً وكزازة ، فأطلقوا ألسنتهم بعيبه وراحوا يشيعون فى الناس صور تشدده فى الحرص على المال وأساليبه فى حياته المنزلية .

---

(١) يريد أن العرب كالعجم فى عدم الإفصاح عن فضائل أمير المؤمنين . وأن العجم كالعبيد فى الغباوة وعدم القدرة على معرفة فضل المأمون . وفى قوله :« ولكن كيف يعرف بالدواء ... » اعتذار عنهم جميعا لأنهم لم يدركوا زمن بنى أمية ويعرفوا ما كان فيه من عيوب حتى يشعروا بقيمة حكم العباسيين .

فكانت الرسالة ردا على هؤلاء العائبين ، احتج فيها سهل للتقتير وانتصر للإمساك وجعله العقلَ والحزم ، وجعل ماعداه التفريط والغفلة.
ولم يكن فى رسالته صاحب عقل فحسب يبرهن على صواب خطته بمنطق الفيلسوف أو السفسطائى الخطابى ، ولكنه كان إلى جانب ذلك ذا رواية ينقل عن عقلاء الناس وقادة الأمم . بل خلفاء المسلمين وأئمة الصحابة والتابعين ، مثل ما أخذه عليه الناس وعابوه به . فكانت حجته سلاحاً ذا حدين ، ولساناً ذا بيانين .

ولعمرى ما تنفع الحجة إذا كانت كلها منطقا صرفا ولو حشدت فيها جميع أقيسته ، لأن فى الناس من يعييك أن تلزمه تلك الحجة ما دام الحكم فيها للعقل الصائب وحده ، وما دامت لا سند لها من الواقع يؤيدها ويقوى جانبها حتى يعيا أمامها المكابر الذى يرد عليك قياسك الصحيح بقياسه الفاسد ، وقولك الحق بقوله الباطل .

فأما البرهان المحسوس ، والشاهد من التاريخ ، والسند من فعل عظماء الرجال ، فذلك ما لا مجال فيه للمكابرة ، إلا إذا نقض المكابر ماأجمع عليه الناس من صدق الحديث عن هؤلاء العظماء ، وما استقر عليه الرأى من أنهم لم يصدروا فى أعمالهم إلا عن حكمة وسداد . هذا هو أسلوب سهل فى رسالته يضرب لك المثل بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونصيحة عمر بن الخطاب ، ووصية علىّ وغيرهم من كل من عرف بصواب الرأى وحكمة التدبير ، كعمرو بن العاص ومعاوية وزياد والأحنف .

ولقد كان ظهور هذه الرسالة فى العربية حدثا لا عهد للناس بمثله ، ومفاجأة لها أكبر نصيب من الدهشة .

ذكروا أن سهلا لما صنف رسالته هذه قدمها إلى الحسن بن سهل واستماحه ، فكتب إليه الحسن :

قد مدحت ماذمه الله، وحسنت ماقبحه الله، وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك؛ قد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيئاً.

وقال الجاحظ: ما علمت أحداً جرد فى البخل كتابا إلا سهل بن هارون وأبا عبد الرحمن الثَّوْرى

* * *

نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم، وجمع شملكم وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله. قال الأحنف بن قيس: يا معشر تميم، لا تسرعوا إلى الفتنة فإن أسرع الناس إلى القتال أقلهم حياء من الفرار. وقد كانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيَّابا فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من قعيب. ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب. وقبيح أن تنهى مرشداً وأن تُغْرِى بمشفق. وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم وإصلاح فاسدكم، وإبقاء النعمة عليكم. وما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم. وقد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ولأنفسنا البلكم، وشُهرنا به فى الآفاق دونكم. ثم نقول فى ذلك ما قال العبد الصالح لقومه: «وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت. وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب» فما كان أحقنا منكم فى حرمتنا بكم أن تراعوا حق قصدنا بذلك إليكم على ما رعيناه من واجب حقكم (١). فلا العذر المبسوط بلغتم، ولا بواجب الحرمة قمتم.

(١) يريد بهذه الجملة: «فما كان أحقنا ...»، إننا قصدنا إليكم بالنصيحة وراعينا حقكم علينا فى ذلك فكان يجدر بكم ونحن ذوو كرامة فيكم ان تقابلوا ذلك منا بالشكر والعمل بما نصحناكم به. وفى ترتيب الجملة ومعانى حروفها عواصة لا تحل إلا اذا راعيت أن الباء فى بكم للظرفية وأن على فى «على ما رعيناه» بمعنى مع

ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر لرأينا فى أنفسنا عن ذلك شغلا .

عبتمونى بقولى لخادمى : أجيدى العجين فهو أطيب لطعمه وأزيد فى رَيْعه (١) وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : املكوا (٢) فانه أحد الرَّيْعين .

وعبتمونى حين ختمت على مافيه شىء ثمين من فاكهة رَطْبة نقية ، ومن رُطَبة غريبة ، على عبد نهم ، وصبى جشع ، وأمة لكْعاء (٣) ، وزوجة مُضيعة .

وعبتمونى بالختم وقد ختم بعض الأئمة على مِزْوَد (٤) سويق وعلى كيس فارغ ، وقال : طينة خير من ظِنة . فأمسكتم عمن ختم على لاشىء وعبتم من ختم على شىء .

وعبتمونى أن قلت للغلام : إذا زدت فى المرق فزد فى الإنضاج ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المرق .

وعبتمونى بخَصْف النعل ، وبتصدير (٥) القميص ؛ وحين زعمت أن المخصوفة من النعل أقوى وأشبه بالشد ، وأن الترقيع من الحزم ، والتفريط من التضييع . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْصِف نعله ويَرْقَع ثوبه ويقول : لو أهدى إلىَّ ذراع لقبلت ، ولو دعيت لكراع (٦) لأجبت . وقالت الحكماء : لاجديد لمن لم يلبس الخَلَق . وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا واشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأتاه به موافقا فقال له : أكنت به ذامعرفة ؟ قال : لا ، ولكن رأيته فى يوم قائظ يلبس خلقا ويلبس الناس

---

(١) الريع : فضل كل شىء كريع العجين والدقيق والبزر ونحوها

(٢) ملك العجين وأملكه أنعم عجنه (٣) يريد باللكعاء الحمقاء وهى أنثى ألكع كما أن لكعة أنثى لكع كصرد والمعنى واحد (٤) المزود كمنبر : وعاء الزاد

(٥) تصدير القميص : جعل رقعة فى صدره (٦) الكراع من البقر والغنم : مستدق الساق ، ويؤنث .

جديدا ، فتفرست فيه العقل والأدب . وقد علمت أن الخَلَق فى موضعه مثل الجديد فى موضعه . وقد جعل الله لكل شيء قدرا ، وسما به موضعا ، كما جعل لكل زمان رجالا ، ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسم ، وأمات بالدواء ، وأغص بالماء . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكسبين ، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز ، وأمر مالك بن أنس بفرك النعل ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة . ولبس سالم بن عبد الله جلد أضْحِيَة.(١) وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى إليك دجاجة فقال : إن كان لا بد فاجعلها بَيُوضاً .

وعبتمونى حين قلت : من لم يعرف مواضع السرف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد فى الممتنع الغالى . ولقد أتيت بماء للوضوء على قدر الكفاية وأشد من الكفاية ، فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التوفير عليها من وضيعة(٢) الماء ، وجدت فى الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمت أن لو كنت سلكت الاقتصاد فى أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر . فعبتمونى بذلك وشنّعتم علىّ . وقد قال الحسن وذكر السَّرَف : أما إنه ليكون فى الماء والكلأ . فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه الكلأ(٣)

وعبتمونى أن قلت : لا يغترن أحدكم بطول عمره ، وتقويس ظهره ، ودقة عظمه ، ووهن قوته ، أن يرى أكبر منه ، فيدعوه ذلك إلى إخراج

---

(١) الأضحية : (بضم الهمزة وتخفيف الياء) الشاة تذبح . ويجوز كسر الهمزة . ومثلها الضحية كغنية والجمع ضحايا والأضحاة والجمع أضحى (٢) الوضيعة : ما نقص من الشيء (٣) يقال ردفه (كمنع ونصر) بمعنى تبعه كأردفه . فالفعل فى كلام سهل المعدى لاثنين هو ردف المعدى لواحد ، وبهمزة التعدية صار معدى لاثنين .

ماله من يده ، وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه . فلعله يكون معمراً وهو لا يدرى، وممدوداً له فى السن وهو لا يشعر ، ولعله يرزق الولد على اليأس ، ويحدث عليه من آفات الدهر مالا يخطر على بال ولا يدركه عقل . فيسترده ممن لا يرده ، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه ، أصعب ماكان عليه الطلب ، وأقبح ماكان به أن يطلب[١]. فعبتمونى بذلك وقد قال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

وعبتمونى بأن قلت : إن السرف والتبذير إلى مال المواريث وأموال الملوك ، وإن الحفظ للمال المكتسب، والغنى المجتلب ، إلى من يتعرض فيه لذهاب الدين، واهتضام العرض، ونصب اليد، واهتمام القلب أسرع .[٢] ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل، ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أوذن بالفقر، وطالب نفساً بالذل .

وعبتمونى أن قلت : إن الكسب الحلال يضمن الإنفاق فى الحلال، وإن الخبيث ينزع إلى الخبيث ، وإن الطيب يدعو إلى الطيب ، وإن الإنفاق فى الهوى حجاب دون الهدى فعبتم علىّ هذا القول . وقد قال معاوية : لم أر تبذيراً إلا وإلى جانبه حق مضيع . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيما ذا ينفقه ، فإن الخبيث إنما ينفق فى السرف. وقلت لكم بالشفقة عليكم، وحسن النظر منى إليكم ، وأنتم فى دار الآفات ، والحوائج غير مأمونات . فإن أحاطت

---

(١) أصعب: حال من فاعل يظهر الشكوى ، وأقبح: معطوف عليه. والمعنى: أنه يفعل ذلك فى حال كون الطلب والاستجداء أصعب شىء على نفسه. وأقبح شىء به بعد العزة التى كان فيها . (٢) فى هذه العبارة فى الأصل اضطراب أزلناه بيسير من التغيير. فقد كان الأصل : « والمال المجتلب وإلى من لا يعرض فيه بذهاب الدين . . » والجملة بهذا النص غير مفهومة .

بمال أحدكم آفة لم يرجع إلا إلى نفسه . فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة، فإن البلية لا تجرى فى الجميع إلا بموت الجميع . (١)

وقد قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى العبد والأمة والشاة والبعير : فرقوا بين المنايا .

وقد قال ابن سيرين لبعض البحريين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ فقالوا: نفرقها فى السفن فإن عطب بعض سلم بعض . ولولا أن السلامة أكثرُ ماحملنا أموالنا فى البحر . قال ابن سيرين :تحسبها خرقاء وهى صناع.

وعبتمونى بأن قلت لكم عند إشفاقى عليكم : إن للغنى لسكر ، وللمال لنزوة ، فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال لخوف الفقر فقد أهمله .

فعبتمونى بذلك وقد قال زيد بن جَبَلَة : ليس أحد أقصر عقلا من غنى أَمِن الفقر، وسكر الغنى أكثر من سكر الخَمْر وقد قال الشاعر فى يحي ابن خالد بن برمك

وهُوبُ تِلادِ المالِ فيما ينوبه   منوع إذا ما منعه كان أحزما

وعبتمونى حين زعمتم أنى أقدم المال على العلم ، لأن المال به يفاد العلم، وبه تقوم النفس قبل أن تعرف فضل العلم، فهو أصل والأصل أحق بالتفضيل من الفرع .فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ فقال : العلماء ؛ فقيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهل الأغنياء بحق العلم؛ فقلت :حالهما هى القاضية بينهما ، وكيف يستوى شىء حاجة العامة إليه ، وشىء يغنى فيه بعضهم عن بعض ؟

(١) يريد أن المصيبة أو الآفة إذا أصابت شيئا مجتمعا أتت عليه جميعا. فكلمة « الجميع » الأولى فى تعبيره بمعنى المجتمع ، والثانية بمعنى الكل .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغَنم والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال ابو بكر رضى الله عنه : إنى لأبغض أهل بيت ينفقون نفقة الأيام فى اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده : إذا بسط الله لك الرزق فابسط ، وإذا قبض فاقبض .

وعبتمونى حين قلت : فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون فى البيت إذا احتيج إليها استعملت ، إذا استغنى عنها كانت عُدَّة . وقد قال الحُصين بن المنذر : وددت أن لى مثل أُحُد ذهباً لا أنتفع منه بشىء ؛ قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمنى عليه ، لأن المال مخدوم . وقدقال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه إلا أنه عز فى قلبك ، وذل فى قلب عدوك ، لكان الحظ فيه جسيما ، والنفع فيه عظيما .

ولسنا ندع سيرة الأنبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو . ولستم علىَّ تردون ولا رأيى تفنِّدون . فقدموا النظر قبل العزم، وأدركوا مالكم قبل أن تدركوا مآلكم . والسلام عليكم (١) .

---

(١) قصدنا بايراد هذه الرسالة كلها إلى ثلاثة مقاصد : أولها أن نكثر مصدرها بجعل صحيفة دارالعلوم الخالدة أحد هذه المصادر ، وثانيها أن نتناول بالاصلاح ماعبثت به أيدى النساخ من عبارات هذه الرسالة ، وثالثها أن نيسر لقراء الصحيفة الكرام مطالعتها من غير رجوع إلى الكتب التى قد يصعب توافرها عند كل راغب فى الاطلاع على الرسالة .

الأدب فى نهضتنا الحديثة

بقلم محمد هاشم عطية
الأستاذ بدار العلوم

٢

لم نكن متحاملين حين أشرنا فى مقالنا السابق الى بعض ما رأيناه من وجوه العيب فيما استشهدنا به من أشعار الطبقة الحديثة من شعرائنا المعاصرين ، ولكن هذا النقد ، على حظه من الصواب ، ومع ما لزمناه فى إيراده من التلطف ، قد أثار علينا حفيظة كاتب فى جريدة الجهاد الغراء يدافع عن البيت :

بك خفّ الجناح يأيها الطّيـــر وما كنت بالجناح تخفُّ

زعم أننا لم نفهمه ، وعجب حتى أطال العجب أن كيف يدرس الأدب للناس من لا يفهم هذا الكلام ، ونصح لنا أن نضم إليه قسيما له هو قوله :

لطفُ روح أعارَ جنبيك ريشا فمن الروح لا من الريش لطفُ

رجاء أن يعين اللهُ ونصل الى فهم المعنى المراد . ونحن نحب أن نظل فى موقفنا من مثل هذه الملاحاة بمنزلة المعرض التارك ، لأنه ليس فى وسعنا رد المتسرع ، ولا إعتاب المتجنى ؛ ولأنه لم يبق الى اليوم بين أهل العلم من لا يزال يضع اللجاجة مكان الحجة ، والاسترسال فى موضع التثبت ؛ ولأننا نعلم أن الكلام إنما يشرف حسبه ويعز جانبه إذا كان سهلا ممتنعا ، وقريبا مكشوفا ؛ وأنه إنما يكون خبيثا نكدا إذا كان مكدودا ملتويا ، وعويصا مقلوبا ؛ فلم يبق لنا مع هذا الكاتب موضع ، لأننا فى اعتراضنا لنقد البيت كنا خيرا منه إذ نصب نفسه للدفاع عنه فهجّنه وعابه بما لم يبلغ اليه كلامنا . وهو لا يدرى بما هجم عليه ، لأنه

فى الظاهر من حاله، لم يحتنك بالأدب بعد، ولم يتمرّس بمثل هذه المحاولة فى الكتابة. على أننا لا ندع هذا البيت الثانى من غير أن نشير إلى ما فيه من تتابع الحروف المتقاربة الذى أدى إلى قربه من السماجة فى تأليف كلماته، ويتبادر إلينا أن شطره الآخر قد لا يستقيم المتأتى من غير احتفال وحذر. لاستباق كلمتى الريش والروح إلى النطق فتقع إحداهما مكان الأخرى.

ولعل الذين يجعلون تنافر الكلمات من عيوب المنطق يعيدون النظر فيما يكتنف هذا البيت من الراءات والشينات. فيجعلون منه شاهدا حديثا يكون قريبا من قولهم:

« فى رفع عرش الشرع مثلك يشرع »

ثم ماذا يبقى منه فى اليد بعد ذلك؟! إنه شىء متعالم يقره الناس ولا يتنازعون عليه، ويفهمونه على طبيعته من غير ان تنقلب الحال. او تنعكس طبائع الأمور. فهم يدركون أن الطائر يهم ويلهم فيطير، كما يعزم الانسان ويفكر ويريد فيسير ويعمل، من غير أن يتعالوا إلى هذا النسق الغريب من الفلسفة فى القول بأن اللطافة والخفة ما نشأتا فى الطير من الريش، ولاان الطائر يحلق بحوصلته فى الهواء، أو يصف بظهره فى الجو، أو يهوى برأسه إلى الأرض. ولو كان الأمر يستقيم على هذا لكانت الهبة فى البيت باطلة، ولكانت إعارة الروح للجنبين ما أعارت من الريش لا قيمة لها. ولو كان هذا البيت برمته اختراعا فى الأدب، أو مثلا من تنقير الفكر — وهو هكذا نافر من مألوف العادة، معاند للعرف المستقر من طبيعة الوجود — لكان مع ذلك جالبا للمؤونة، ومستحقا للاستكراه.

وهاهنا آخر، وهو صاحب الينبوع، زعم أننا كنا نتناوله « بروح

فقهيـة » وهى أقصى ما بلغ من جهده فى مراجعتنـا . ونحن مع تقديرنا لأدبه فى الـكتابة ، نحب أن ننبهه ثانية إلى غرضنامن استعمال «بينا» فى الحشو أنها لاتقع إلا صدرا بالميم أو من غـيرها . أما قوله : بروح فقهية ، فلم ندر ما يريد بهذه الـكلمة ، ولعله يقصد هذه الملازمة والتتبع فى استقصاء الأشياء ، والتلبث فى أعقاب الأمور ؛ أو يريد ذلك التقدير الساذج من جماعـة العوام لبعض الفقهـاء القراء فيما يصفونهم به من الزماتة فى اصطناعهم لمظاهر التوقر المتكلف ، مع تشديقهم واستنكالهم ، وجهامة سمتهم . والله يعلم ما نحن من واحدة من هاتين فى شيء ، وأننـا ما زلنـا كارهـين لغثاثة التتبع ، خائفين من فتنة العجب ، وإنمـا هى نخيلة نفس أفضينا بها ، ونصح جيب نشرناه ، فإن نصب فذلك ما نهضنا له ، وإن نخطىء فمرحباً بمن يردنا من هوان الباطل إلى عز الحق ، ومن ظلمة الشك إلى وضح اليقين .

والآن نرجع إلى ما وعدنا به من القول فى النثر الأدبى ، والإشارة إلى آثار الـكتّاب وطبقات المؤلفين من أهل العصر . نقول : إن الـكتابة الإنشائية قد بلغت الآن من حسن الترسل ، ولطف العبارة ، وبلاغة المنطق ، والتشبه بالأوائل ، إلى ما يغرى بالقول بأن لبعض كتابنا من جمال النسق وحلاوة البيان ما يكاد يشبه كلام البلغاء ورؤساء الدواوين فى العصور الذهبية للـكتابة العربية ، ويرجع أكثر الفضل فى ذلك — على مبلغ رأينا — إلى دراسات وأسباب ينبغى أن يجعل من أعظمها شأناً ظهور كتاب الأغانى للإمام أبى الفرج منذ ثلاثين سنة بفضل ابى محمد الساسى المغربى . ويومئذ أقبل أشياخ الرواق العباسى وطلاب دار العلوم ، وكثير من طلاب الحقوق والمعلمين وطبقات من القضاة والمتأدبين واصحاب الـكتب يقرءونه ويتعجبون منه ويتطرفون بفصوله ، لخلابة عنوانه ، وقديم شهرته . وفى ذلك الوقت كانت مقدمة

ابن خلدون وكتاب كليلة ودمنة عماد المدرسة القديمة فى رياضة الطلاب على العادة الصالحة، وتنشئتهم بامتثال القدوة الحسنة. وتتابع الوراقون فى إحياء الأسفار الدفينة من ذخائر العربية، فظهر العقد والكامل ومعظم كتب الجاحظ، وترجم كتاب التربية الاستقلالية، وسر تقدم الانجليز؛ وعنيت المعاهد العلمية بدراسة هذه الكتب عناية فائقة غاية الوصف، حتى لقد كان بعض القدامى من الأساتذة — رحمهم الله — يحملون طبقة من طلابهم على الاستظهار بكل سبيل لاستخراج ما فى كتاب أبى الفرج من الكلمات والأساليب والرسائل والمقطوعات والأحاديث المطولة والقصائد المختارة. وكان كتاب التربية الاستقلالية — وهو مثل ممتع من الأدب الأجنبى فى استقامته وامتناع أسلوبه العربى — مزاجا من ثقافة البلاغتين، وسع المتأدبين من طلاب المعلمين فى المدرستين، وأقبل الناس، من أخريات القرن الفائت، يتفلتون من مؤونة السجع، ويفرون من عقالات التكلف إلى محاكاة هذه الأساليب، التى كان من أكثرها ذهابا إلى الغاية أسلوب ابن خلدون؛ فاشتد إليه الناس وغمرهم الشغف بما فيه من الآراء الحديثة، والأوضاع الاجتماعية، حتى تعلق بالألسنة، وتأثرت به الكتابة إلى مدى أبقى فى لغة كثير من خاصة كتابنا أخطاء[1] قلمية وقعت فى هذا الأسلوب لم يتنبه إليها معظمهم إلى الآن. ثم جعل التعليم فى مدرسة الحقوق بالعربية، واستفحل أمر المحاماة، وصارت حاجتها إلى خلابة المنطق وفصاحة اللسان كحاجتها إلى أوصاف الدفاع ومبادئ القانون. وكان نادى المدارس العالية سامراً راقياً يبث الأفكار الجديدة، وينشر الثقافات المدنية. وكان النادى

(١) كادخال باء التعدية فى فعل استبدل على غير المتروك. وكوضع الواو فى خبر لابد فيقول: لابد وأن. وكتعدية «تعود» بعلى. وكجعل الخبر استثناء، فيقول: فانه وإن كان كذا ألا أنه. أو لكنه.

القديم لدار العلوم منبراً آخر تهتز أعواده بأصوات الخطباء والمحاضرين من جهابذة الأدب القديم . وثارت يومئذ عجاجة النازعين إلى التعريب ، واستحر الجدل بين أشياخ العربية وأعلامها ، وكان حفنى والخضرى والمهدى ومفتاح وشاويش والاسكندرى ، وكان معهم من علماء هذه الطبقة أمثال فتحى زغلول واحمد زكى وغيرهم .

وعمرت مجالس الناس بأهل الأدب ، وتعاطاه كثير من طبقات المثقفين بأجناس العلوم المدنية ، وكان للمويلحى والبابلى وحافظ والبشرى والخليل والمنفلوطى وتلاميذهم مجالس لدراسة الكتب والأشعار ، والتملح بالنوادر فى دورهم ودور أخوانهم والمتظرفين بهم من أعلياء الناس وأوساطهم ، وما من عشير لحافظ - رحمه الله - إلا وهو مدين له بكثير مما عرف من طرق الاختيار للكلام ، وتحصيل الآداب الموصوفة لشعراء العصور ، والاهتداء الى الأوابد من مقامات البلغاء ومجالس المتأدبين. وكانت الصحف قد بدأت مع هذه المدارس، والى أولئك المصلحين تنهض بجانب من الثقافة ، وان لم يكن الناس ذلك الوقت ينظرون إليها فى الجملة بهذا الاعتبار . وإلى هنا كانت الحياة الأدبية تسير سيراً هادئاً فى قيادة صالحة متوجهة إلى غايتها من الكمال الممكن ، للأخذ بيمين الاجتماع إلى مواطن الرشاد والخير ، حتى نشأت الثورة، واختلفت الأحزاب ، وانحاز كل فريق من الكتاب إلى حزبه ، ووقف بعضهم لبعض فى المحاماة عن الأغراض ، وللرماء بالزور ، والمهاجاة بالمنكر من الكلام . وفشت الصحف الأسبوعية فى مجامع الناس وبين كل الطبقات ؛ وما هى إلا هنيهة وإذا هى جاهدة فى التفتيش عن عيوب المستورين ، والبث لهنوات الناس ، والتشهير بمثالب الغافلين من أهل العمل الصالح ، حتى رهبها الناس وهابوها ، وتملقوا كتابها بالألطاف والهبات . وقد كان من أكبر جرائرك عند هؤلاء

يومئذ أن تكون من المياسير، وأن يكون مكانك من الجاه والغنى يدعوك إلى امتطاء مركب سرى، والقعود فى مشرب راق، ثم يمر بك بعضهم فلا تبادره بالوثبة من مقعدك، والعناق بكلتا يديك، والترحيب بما فى طاقتك من اقتداح الأقداح، واهتبال الأموال، انك إذاً وفى اليوم الثانى على الفور ظنين فى حَسَبك، مطعون فى أبيك وأمك. حتى تهافت الناس، وتراجعت الأخلاق، وعادت صفحة الأدب — بعد أن كانت سمحة صافية — شوهاء ملوثة بمزاج بشع من هذه المجاجات المقذورة. وعملت الجامعة الجديدة على الولاية للأدب بالمكابرة والغلبة، وكانت دراستها الأدبية الحديثة، وهى فى الجملة خلاصة آراء ومباحث لجماعة من الكهان المتعصبين على المشارقة من الافرنج، تنطوى فى كثير من فصولها على التنفير من الأدب القديم، والتشويه لجمال المدرسة القديمة، بما أعان على قلة الحياء منه ريح الدولة القائمة. والانتصار لناحية معلومة من السياسة. وشاعت النعرة للاداب الأجنبية، وزين للناس أعمالهم وأنفسهم، ومدحوا بالتجديد، ووصفوا بالثقافة الأوربية، وعير المشايخ بالجمود والارتباط بمعاليق القديم. وسرت هذه العدوى إلى العادات القديمة والوراثات الصالحة: فملئت المسارح والطرقات والميادين بالأبناء يزحمون الآباء بالأركان، ويسايرونهم فى كل مكان، وخرج الفتى عن وسعه وعدا طوره، وبطل السمر فى الدور، وعطلت مناظر البيوت، وجفيت الأواصر، وتشبث النَّشَأ بهذه الإباحات فى زيها الخلاب المتمثل فى النزاع بين القديم والحديث، وأصبحت تسمع ممن يعرف وممن لا يعرف أسماء شكسبير وهوجو ولامارتين وفولتير ورسو وديموية، وأضيف كل خاطر ثاقب، وكل بديع منحول، وكل اختراع وكل طريف مليح، الى اليونان والرومان، والى الفرس والهنود، والى العقلية الآرية. والآلهة الاولمبية. وكأن زهير حين قال:

يُؤخر فيوضع فى كتاب فيُدخر ليوم الحساب أو يُعجل فينقم قـد احتال فيـه على سقراط ، وتشطر على أبيقور ، وابتاعه من متاع هوميروس ، وهو حين قال :

ثلاثٌ كأقواس السَّراء ومِسْحَل
قد اخضرَّ من لَسِّ الغَمير جَحافله (١)

قد حاكه على نير بدوى ، واشتقه من حجارة الدهناء فهو عقلية عربية . وثقافة صحراوية . كأن الهواء والشمس والسماء والأرض والنجوم والرياح والسمع والبصر والعقل لم تمر بسكان هـذه البادية ؛ وكأن الله تعالى لم يخلق لعقول البشر متاعا مشاعا ، ولم يجعل بينهم من صور التفكير مقدارا مشتركاً . ولقد عدت بدعة الجديد والقديم على كتاب ابن المقفع فانتزعته من أيدى التلاميذ لتضع مكانه كتابا جديداً من عمل الأربعين ، ليس فيـه إلا أنه جديد ، وأكثر فصوله كتب على الراجح ، قبل هـذا الأوان فى سنوات دراسية مختلفة ، وناله حظ الاستحسان من الأستاذ الذى كان بالمصادفة فقيها فى غير الأدب ، ومدرسا للاملاء لا للانشاء . فبقيت هذه المعلقات عند أصحابها حتى نودى فيهم ليضعوا هذا الـكتاب ، فلم يجدوا ذخيرة أفضل ، ولا نمطا من الـكلام أجمل من هذه الفصول التى يعرف مكانهـا من الـكتاب كثير من الذين يعالجون الامتحان العـام للطلاب فى كل عام .

ولقد كانت هذه الفترة حقا ثورة فى الأدب ، حتى لصح أن يوضع باسمها كتاب نفيس سماه كاتبه « ثورة فى الأدب » ونحن معجبون بهذا الـكتاب وبمؤلفه الذى يعد من أوائل علمائنا البلغاء الممتازين بالرأى

(١) السراء والنبع : شجر تتخذ منه القسى . والمسحل : حمار الوحشى . واللس : الأخذ بمقدم الفم . والغمير : الكلأ الأخضر الأطراف . والجحفلة : شفة الحمار .

والفكر ، والموصوفين بالتنزه والسؤدد ، وهو فى بعض فصوله يحاول أن يجعل اكثر الفضل فيما كسبه النثر من الحياة والسعة للثقافات الأجنبية بما نقله التراجمة من أفراد الرسالات العلمية من علوم الأجانب وآدابهم. وترى مافى هذا القول من المبالغة عندالقياس الى مابسطناه هنامن المناهج وما بيناه من الأسباب. ولسوف تهدأ الثورة ،ويذهب الزبد ويبقى فى الأرض ماينفع الناس.

وبعد فإنك لتعجب لهذا العصر ، ألا تراه على كثرة ماتجد من شقشقة ، وما تسمع فيه من دعوى ، قد أخرج كتابا واحدا منتزعا ، أوأصلح فاسدا قديما ، أو أنشأ فنا من الأدب طريفا ، أواستخرج من اللغة مبحثا نافعا — اذا أنت تجاوزت مثلاً حديث عيسى بن هشام للمويلحى ، وصهاريج اللؤلؤ للبكرى — مع انقطاع العذر ، وإشراع السبيل ، وتواصل العلماء ، وتقارب الأمصار ، وانتشار الكتب ، وتيسر التحصيل ، وسعة الوقت ، وكثرة الآلات . ولا تكاد تظفر بكتاب يختلف عما رأيته فى المبسوطات القديمة ولم يكن جمع من حواشيها ونقش من فصولها . وتستطيع أن تجد له فى خزانتك بين آثار السلف وأسفار القدماء موضعا ، أو تنازعك نفسك الى معاودة قراءته فتحس بلذة أو بفضل عائدة . وينبغى أن نضع فى أعناق اخواننا المتخرجين فى الكليات الأجنبية من دار العلوم حقهم من هذه التبعة ، فإنهم يقطعون الصلة التى يجب أن تكون أوثق الصلات بينهم وبين هذه الدار ، فلا يرونها الا بشىء لايكاد يفى بحق ولا يقوم بأود ، نعم فإنهم يؤلفون فى المنطق وعلم النفس والفلسفة وفى اللغات السامية ، ولا تحظى منهم العربية ببحث مستطرف ، ولا بتأويل فى الأدب جديد ،وهم يعلمون — أكثر مما نعلم — ما تصنعه الجمعيات العلمية لطوائف

المستشرقين من الخدمة النافعة لآثار المشارقة فى لغاتهم وفى الضائع المفقود من آدابهم، وآثار المحدثين والقدماء من شعرائهم. لقد ملئت جوانب المكاتب بطرائف الكتب فى الغرائز وعلوم التربية والفلسفة والنفس، ولقد سمع الناس المحاضرات فى مذهب الإشراق لأفلاطون، ونظريات «منتسورى» فى التربية، ورأى «هربرت سبنسر» فى العادة والخلق، وعلاقة الذاكرة بالعقل الغائب، واذا لا تخشون أن يقول أحد إنكم لم تتفقهوا فى اللغات الأجنبية، ولا أن ينكر عليكم منكر هذه الحياة الجميلة على ضفاف التاميز، ولا تقولوا إنكم لم تتخصصوا لفقه العربية ولا لآداب اللغات؛ وإنكم توسعون الطريق لغيركم ممن لم يثقف من اللغات الأجنبية الا ما يمكن فى الجملة من الحديث والفهم؛ لأن الحياة الأدبية قد أصبحت الآن تتطلب جهودا جديدة، وكفاحا مشتركا، على نمط من الأساليب العلمية لمناهج البحث الحديث. وإنها لتطمع منكم فى العريض المبسوط من الطاقة الواسعة والكفاية المحمودة، وقد قلناها كلمة خالصة. والله ولينا، ومنه العون ان شاء الله.

على مبارك باشا (١)

بقلم الأستاذ على الجارم
المفتش بوزارة المعارف

فى حجرة واسعة تصان بها الكتب بدار العلوم ، يرى الداخل فى أول ملتق بصره صورة زيتية لشيخ جليل . تحف به المهابة ، وتغضى لرؤيته العيون . تلك صورة المرحوم على مبارك باشا العالم الرياضى المهندس المؤرخ الأديب .

ترونه فى هذه الصورة ، وقد تجاوز الستين ، مظهراً للقوة الجسمية ، ومثالا لحدة الذهن ونفوذه ، سوىّ الخلق ، قويم القامة ، طويلا طرمّاحا . وقديماً قالوا : « وإن أعزاء الرجال طيالها » . عريضَ المنكبين ، لم تقوّس الأيام قناته ، ولم يصوح الدهر نباته ، يمثل المصرىّ الصريح فى وجهه وجسمه وسمته : جبين واسع يكاد يشف عما تحته من علم زاخر ، ورأى ثاقب ، كأن غضونه سطور دونتها التجارب ، وخطتها يمين الأيام وحاجبان مقرونان غزر شعرهما ، وقد وخطه الشيب ، يظلان عينين لهما نظرة تحار فى تأويل معناها . وتبيُّن مرماها ؛ ففيها الجد ، وفيها الإرادة الحكيمة المبصرة ، وفيها الطموح والاستهانة بالقليل المبذول . وأنف قويم المارن يكاد يوصف بالضخامة لولا ملاءمته بقية مظاهر وجهه . وشارب أثيث الشعر ، شمله الشيب ، تحته فم أفوه ، انفرجت شفتيه السفلى قليلا كأنما كانت تحاول الابتسام فصدها الجد ، ودهمتها صرامة الرجولة ، فوقفت بين الإقدام والإحجام . ولحية كثة جثلة ، سطع فيها صبح المشيب ، فتركها فى نقاء صحف الأبرار ، وبياض أيادى الكرام .

ذلكم هو على مبارك باشا الذى سنتحدث فى حياته الليلة ، وقد أغنى

(١) محاضرة ألقيت فى محط الاذاعة

- رحمه الله - الباحثين بعده عن تنسم أخبار حياته ، وتلقفها مبدلة محرفة من أفواه أهل عصره ، فكتب ترجمة حياته بقلمه إلى قبيل وفاته بخمس سنين . وقد بسط فيها القول فى أحوال صباه ونشأته الأولى ، مما لم يظفر به التاريخ لغيره من عظماء الرجال . ولو أن كل عظيم سلك هذه السبيل لأسدى إلى الأدب والتاريخ إرثاً مجيداً . وقد كانت سنة بعض العلماء فى الأعصار الماضية أن يدونوا حياتهم بأنفسهم ، كما فعل أسامة بن منقذ وجلال الدين السيوطى . ولكن هذه السنة المحمودة لم يتنفس بها العُمُر ، ولم تبق عليها الأيام .

ولد المرحوم على مبارك باشا بقرية برنبال الجديدة بمديرية الدقهلية ، سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف هجرية ، من أسرة اشتهرت بحفظ القرآن الكريم ، والتفقه فى الدين ، فكانت فيها إمامة الصلاة والخطبة والقضاء بين الناس ؛ لذلك كانت تسمى بأسرة المشايخ ، وكان لها نصيب غير قليل من إجلال الحكام والمحكومين . ثم عصف الدهر بهذه الأسرة ، واشتد بها العسر والضيق ، فرحل أبو المترجم ، الشيخ مبارك الروجى ، بأسرته إلى الشرقية ، ثم استقر فى جوار عرب السماعنة يفقههم فى دينهم ، ويؤمهم فى صلواتهم . ولما بلغ المترجم الخامسة أرسله أبوه إلى شيخ أعمى ليلقنه مبادىء القراءة ، ثم بعث به إلى شيخ مقيم بالقرب من مسا ابن العرب . وكان أبوه يزوده ما يكفيه من طعام مدة أسبوع يقيمها فى كنف أستاذه الجديد . فكان يزور أهله يوم الجمعة . ولا يعود إلى شيخه فى ذلك اليوم - كما يقول - فارغ اليد خوف شره وأذاه .

بنفسى ذلك الطفلَ وقد حمل ما حمل من قليل المتاع ، تاركاً أمه وما يلقاه فى ظلها من رفق وحنان وعطف ، هو كل ما يهفو إليه الطفل فى السادسة والسابعة ، إلى شيخ حطم لا يتكلم إلا بلغة العصا ، ولا يعرف

من وسائل التهذيب غير الإرهاب والتعذيب . ولقد كان ذلك المعلم عنيفاً أشد العنف ، مخيفاً أشد الإخافة ، فما أقام علىّ منقمعا تحت حكمه سنتين ، ختم فيهما القرآن الكريم وهو فى الثامنة أو التاسعة ، حتى كره العلم والتعلّم ، وعقد العزيمة صارمة على ألا يعود إليه . وأنتم ترون هذه العزيمة متجلية فى كلماته القليلة حين يقول : « ثم لكثرة ضربه لى تركته وأبيت أن أذهب إليه بعد ذلك » . وحينما أجبره أبوه على الذهاب نوى الهرب ، فما زال به أهله حتى صارحهم بأنه لا يود أن يكون فقيها ، ولكنه يريد أن يكون كاتباً . فأسلمه أبوه إلى كاتب زراعة ليعلمه الخط والحساب ؛ فقاسى علىّ عنده عنتا من شظف العيش والجوع والمهانه والخدمة ، وقد حدث أن سأله الكاتب مرة ما جُذاء الواحد فى الواحد . أى ما حاصل ضربهما ؟ فأجاب علىّ متلعثما خائفا : اثنان . وكان بيد الكاتب مقلاة فضربه بها فشج رأسه ؛ فذهب على يشكو إلى أبيه فلم ينصفه ، ففرّ وهو فى نحو التاسعة من عمره تحت ستار الليل هائما تتقاذفه الهموم ، وتطوّح به الأوجال ؛ وقد أصيب فى طريقه بالهيضة المعوية (الكليرا) ، فعطف عليه رجل وآواه مدة مرضه ، حتى إذا أبلّ وعثر عليه أهله بعد البحث عنه عاد إليهم . وبعد سنة عمل مساعداً لكاتب بمأمورية أبى كبير ، وكان راتبه خمسة وعشرين قرشا فى الشهر ، فأقام عنده ثلاثة أشهر فى بؤس وضنك لا يأخذ من راتبه شيئاً ، ولما أخذ حقه بيده من أموال حصّلها غضب الكاتب عليه ، وأغرى به المأمور فألقى به فى السجن ، ولم ينقذه منه إلا خادم عنبر افندى مأمور زراعة القطن بنواحى أبى بير ؛ فأقام كاتبا عند عنبر هذا براتب قدره خمسة وسبعون قرشا فى الشهر . وهو هنا يحدثنا عما كان يجول فى نفسه فيقول : « إن الكتابة والماهية كانت هى السبب فى سجنى ووضع الحديد فى رقبتى ، وقد وجدت هذا المأمور خلصنى من ذلك ، فلو فعل المأمور معى مثل

مافعل الكاتب فمن يخلصنى ؟ وكانت همتى فى التخاص من كل ذلك وأمثاله، وأود أن ا كون بحالة لا ذل فيها ولا تخشى غوائلها »

وقدأخبره فراش المأمور أن سيده إنما نال تلك المنزلة لأنه تعلم بمدرسة قصر ابن العينى التى افتتحها عزيز مصر محمد على باشا ، وأن الحكام إنما يؤخذون من المدارس ؛ فأيقظ ذلك فى نفسه آمالا نياماً . فغادر عمله وهو فيه المحب المكرم وخلى ساقيه النحيلتين للريح حتى بلغ قرية منية العز فكانت ـ كما يقول ـ فألا حسناً . ودخل مكتبها، وقد حاول أبوه أن يخرجه منه ويعود به إلى تعلم الدين أو الاشتغال بالكتابة فأبى علىّ عليه وصمم ؛ فاهتبل أبوه فرصة خروجه وقت الظهر واختطفه ، وذهب به إلى بلدته وحبسه فى الدار عشرة أيام . وهو هنا يقول : « كل ذلك ووالدتى تبكى منى وعلى ، وتستعطفنى فى الرجوع عما يوجب فراقهم. وتحلفنى أن ارجع عن هذه النية ؛ فوعدتها بالرجوع عن ذلك إرضاء لخاطرها . فأطلقونى وكانت لنا غنيمات صرت أرعاها ، وأبعدونى عن حرفة الكتابة » .

ولو أن علياً سكن إلى هذه الحياة ، واستمرأ البطالة لتغير وجه التاريخ ، ولكان على مصر أن تبحث عن على مبارك آخر يضع نظاما لثقافتها ، ويرسم الطريق لنهوضها العلمى .

ولكن القدر أبى إلا أن يسمو بغلامنا الصغير ، لأن علياً أبى أن يكتفى من الحياة برعى غنيمات عجاف ؛ وكأنما كشف له فى ذلك الوقت انه سيكون راعيا للعقول ، مهذبا للنفوس ، يتنقل بها فى مروج العلم. ويوردها نمير الحياة الصافى . فتسربل الليلَ وخرج من داره خائفا يترقب حتى بلغ مكتب منية العز ثانية ؛ وكان أنجب تلاميذه ، فاختير مع طائفة من النجباء لمدرسة قصر ابن العينى فى سنة إحدى وخمسين ومائتين والف، وكان عمره اثنتى عشرة سنة فأقام بهذه المدرسة سنتين لقى فيهما آلاما وشدائد ، ثم انتقل

إلى مدرسة أبى زعبل ، وبقى بها ثلاث سنوات . ثم اختير لمدرسة الهندسة ببولاق ، فمكث بها خمس سنين كان فيها دائما أول فرقته وفى سنة ستين ومائتين وألف عزم المغفور له محمد على باشا على إرسال أنجاله إلى فرنسا ليتعلموا بها ، وصدر أمره بانتخاب فريق من نجباء الطلبة ليسافر معهم ، وكان على مبارك من هذا الفريق ، فسافر إلى فرنسا ، وكان راتبه فى البعثة خمسين ومائتى قرش فى الشهر جعل نصفهـا لأهله . وقد درس فى فرنسا الهندسة العسكرية والمدنية . وكان مفتح العينين دقيق الملاحظة ، فأفاد مصر بمشاهداته شيئا كثيرا . وفى سنة ست وستين ومائتين وألف وعاد إلى مصر وعين مدرساً بمدرسة طرا ؛ وفى هذا الحين عزم على زيارة أهله ، ونحن نتركه يقص عليكم نبأ هذه الزيارة إذ يقول :

« ذهبت إلى بلدتنا برنبال، وكان أهلى قد رجعوا إليها قبل ذلك بمدة ، فوجدت أن أبى قدسافر إلى مصر لزيارتى ، ولم أجد فى المنزل إلا والدتى وبعض اخوتى ، وكان دخولى عليهم ليلا ، فطرقت الباب فقيل : من أنت ؟ فقلت ابنكم على مبارك . وكانت مدة مفارقتى لأمى أربع عشر سنة لم ترنى فيها ولم تسمع صوتى ، فقامت مدهوشة إلى الباب وجعلت تنظر وتحد النظر ، وكنت بقيافة العسكرية الفرنسية لابساً سيفا وكسوة تشريف ؛ وكررت السؤال حتى عرفت صوتى ، ففتحت البـاب وعانقتنى ووقعت مغشياً عليها ، ثم أفاقت وجعلت تبكى وتضحك وتزغرت ، وجاء أهل البيت والأقارب والجيران وامتلأ المنزل ناسا ، وبقينا كذلك إلى الصباح والناس بين ذاهب وآيب » .

وبعد هذه الزيارة اتصل بمعية المغفور له عباس باشا الأول ، وقام بأعمال هندسية كثيرة . ووضع نظاما للمدارس الملكية تبلغ نفقاته ألف كيس . فاختاره عباس الأول ناظرا للمدارس الملكية ، فقام باعباء العمل على خير

الوجوه مشرفا ومعلما ومرشدا ومؤلفا وطابع كتب. وكأن ماأصابه فى نشأته الأولى من ويلات التعليم وسوء النظام وقسوة المعلمين كان حافزاً له على الإصلاح. ولما تولى المغفور له سعيد باشا عزله من نظارة المدارس، وأمره أن يرافق الجيش إلى تركيا لمحاربة الروسيا، فأقام هناك نحو سنتين، قاسى فيهما شدائد وأهوالا، وعند عودته إلى مصر فصل من الخدمة، فسكن بيتا صغيرا، وعاد إلى ما كان عليه أولا من الفقر والضيق، وذهب عنه – كما يقول – مارأى من الأموال والمناصب. ثم عاد إلى العمل، وتنقل فى مناصب كان منها أن عين معلما للضباط يلقنهم مبادىء القراءة والكتابة، فكان يخط لهم الحروف أحيانا على الأرض وأحيانا بالفحم على البلاط، ثم فصل، وقد كثرت نفقاته فى ذلك الوقت وأبهظه الدين، فاشتغل بالتجارة. فكان يشترى بالمزاد ماتبيعه الحكومة من عقار وأدوات وكتب ويبيعه للتجار فربح وغ . ولما تولى المغفور له إسماعيل باشا وصله بمعيته وعينه ناظرا للقناطر الخيرية، ثم أضاف اليه إدارة السكك الحديدية، وإدارة المدارس، وإدارة ديوان الأشعال، ثم نظارة عموم الأوقاف. تلك خمسة مناصب كاملة قام فيها جميعا بضروب شتى من الإصلاح وبخاصة التعليم. فقد وضع نظاما لإصلاح المكاتب الأهلية فى المدن والقرى، وأوجد للمدارس مطبعة حروف ومطبعة حجر لطبع كتبها، وأنشأ دار العلوم، وأسس باشارة الخديوى اسماعيل باشا دار الكتب العامة، جمع فيها نوادر الكتب ونفائسها التى كانت مفرقة فى المساجد والخزائن الخاصة، وخصص بها معرضا لآلات العلوم الطبيعية والهندسية، وضبط الأوقاف فى أنحاء القطر، وبذل جهدا مشكورا فى إحيائها وصيانتها، واستصدر أمرا خديويا بتنظيم الشوارع ورصفها، وتحلية المدينة بالمتنزهات والميادين. وأنشئت فى أيامه ترعتا الإبراهيمية والإسماعيلية.

ومازال يتنقل فى المناصب ، ويفصل عنها ، حتى قلد نظارة المعارف ، سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وألف ميلادية ، واستمر عاملا بها ثلاث سنوات . وفى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وألف وافته المنية. فكان الحزن عليه عاما شاملا .

والوقت لا يتسع لدراسة أخلاقه الكريمة باسهاب وتفصيل ، ولكنا نستنبط ، موجزين ، أنه كان بعيد الآمال ، قوى الارادة ، شديد الثقة بنفسه ومواهبه ، راسخ الايمان بالله، رضى النفس مطمئنها ، وثابا إلى الاصلاح، لا تفتر همته ولا تنى عزيمته ، قوى الملاحظة واسع الفكر ، خصيب الانتاج مشغوفا بالتجديد ، وكان شعاره الدقة وحسن النظام ، مجداً مشمرا فهو حركة دائمة ، وقوة دائبة ، وكان بصيراً باقدار الرجال ، باراً بأهله ، شفيقا بالضعفاء والفقراء . وكانت داره ندوة علم وأدب للمعلمين والطلاب ، يطارحهم العلم ، ويوضح لهم السبيل .

ومن أشهر مؤلفاته الخطط التوفيقية ، وعلم الدين ، وآثار الاسلام فى المدنية والعمران ، ثم كثيرٌ من الكتب المدرسية والهندسية .

رحمه الله رحمة واسعة .

تخفيف الهمزة

بقلم مهدى أحمد خليل
عضو اللجنة العلمية لجماعة دار العلوم
والمفتش السابق بوزارة المعارف

تخفيف الهمزة لغة أهل الحجاز ولا سيما قُرَيْش ، وقد روى عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه أنه قال : نزل القرآن بلسان قريش وليسوا أصحاب نبر (همز). ولولا أن جبريل عليه السلام نزل بالهمزةِ على النبى صلى الله عليه وسلم ماهمزنا . وتحقيقها لغة قَيْس وتميم

والتخفيف نوع استحسان لثقل الهمزة التى هى نبرة شديدة ، وتخفيفها بإبدالها ، أو بحذفها ، أو بجعلها بين بين .

(١) والإبدال إزالة نبرتها فتلين ، وحينئذ تصير إلى الألف أو الواو أو الياء على حسب حركتها أو حَرَكة ماقبلها

(٢) والحذف إسقاطها من اللفظ بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها

(٣) وجعلها بين بين هو أن تجعل بين مخرجها ومخرج الحرف المناسب لحركتها ؛ فان كانت مفتوحة تجعل بين الألف والهمزة ، وإن كانت مضمومة تجعل بين الواو والهمزة ، وإن كانت مكسورة تجعل بين الياء والهمزة ؛ أى أنها تكون متحركة بحركة ضعيفة يُنْحَى بها نحو الساكن ، وهذا مذهب البصريين . وأما الكوفيون فالهمزة التى بين بين عندهم ساكنة .

أحوال الهمزة المراد تخفيفها ثلاث

لأنها إما أن تكون ساكنة وما قبلها متحرك ، أو متحركة وقبلها ساكن أو متحركة وقبلها متحرك .

الساكنة المتحرك ما قبلها

إذا كانت ساكنة وقبلها متحرك وأريد تخفيفها تقلب حرفا مناسبا لحركة ما قبلها ، نحو رَأْس وقرَأْتُ يقال فيهما رَاس وقرَاتُ ، ونحو شُؤْم وسُؤْتُ يقال فيهما شُوْم وسُوْت ، ونحو بِئْر وجِئْتُ يقال فيهما بِير وجِيتُ

ومن هذا القسم الهُدَاتِنا وأصله الهُدَى ائْتِنَا ، وكلمة ائْتنا أمر من الإتيان ، قلبت الهمزة الثانية ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما سيجيء ، فصارت ايتنا وبعد اتصالها بكلمة الهدى فى وصل الكلام سقطت همزة الوصل فعادت الهمزة الثانية المنقلبة إلى أصلها لزوال موجب القلب ، فالتقى ساكنان وهما ألف الهدى والهمزة ، فحذفت ألف الهدى فصارت إلى الهدَائْتنا ، فانقلبت الهمزة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها فصار الى الهُدَاتِنَا . ومنه ولْيُؤَدِّ الذِى ٱؤْتُمِنَ ، وأصله أُؤْتمن وهو فعل ماض مبنى للمجهول من الإيتمان ، قلبت الهمزة الثانية واوا لسكونها وانضمام ما قبلها كما سيجيء فصار أُوْتُمِن ، ولما اتصلت هذه الكلمة بما قبلها سقطت الهمزة فى وصل الكلام ورجعت الثانية المنقلبة إلى أصلها قبل القلب فصار الذى اؤْتمن ، فالتقى ساكنان الهمزة من كلمة اؤْتُمِن والياء من الذى فحذفت الياء فصار الذ اؤْتُمِنَ بهمزة ساكنة بعد الذال المكسورة فقلبت الهمزة ياء كما قلبت فى بئر فصار الذىْ تُمِنَ. ومنه (ومنهم

من يقولُوْذَنْ لى) وأصله ائْذَنْ من الإذن ، قلبت الهمزة الثانية ياء لسكونها وانكسار ماقبلها فصار ايذَنْ ، ثم سقطت همزة الوصل فى وصل الكلام وعادت المنقلبة إلى أصلها فصار يقولُ ائْذَن ، قلبت الهمزة واوا لسكونها وانضمام ما قبلها فصار يقولُوذَنْ لى .

ونحو لم يَقْرَأْ ولم يَرْدُؤْ ولم يُقْرِئْ تخفف الهمزة فيها بقلبها ألفا فى الأول فيصير لم يَقْرَا ، وواوا فى الثانى فيصير لم يَرْدُو ، وياء فى الثالث فيصير لم يُقْرِى ، وتبقى حروف العلة مع الجازم لعدم الاعتداد بالعارض ، ومن اعتد به يعاملها معاملة الفعل المعتل فيحذف الألف من الأول كما حذفت فى لم يَسْعَ ، وتحذف الواو من الثانى كما حذفت فى لم يَدْعُ ، وتحذف الياء من الثالث كما حذفت فى لم يَرْمِ .

وتخفيف الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها على النحو المتقدم قياس مطرد اتفق عليه الصرفيون والقرّاء

الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها

وإذا كانت متحركة وقبلها ساكن وأُريد تخفيفها فإن كان الساكن الذى قبلها ألفا جُعلت الهمزة بين بين نحو سائل والتساؤل وسائِل وجاء ، وذلك لأنه لا يمكن حذفها ، إذ الحذف يقضى بنقل حركتها إلى الساكن قبلها ، والألف لا تقبل الحركة ، ولا يمكن قلبها حرفا مناسبا لحركتها وإدغامه فى الألف على حد مَقْرُوَّة وخَطِيَّة لأن الألف لا تُدغم ولا يُدْغَمُ فيها

وفى لغة ضعيفة [1] تحذف الهمزة المتطرفة بعد الألف عند إرادة تخفيفها فيقال فى يشاء وجاء يشا وجا .

(١) المراد بالضعف قلة الاستعمال

وإذا كان الساكن الذى قبلها ياء مدّ أو واو مدّ زائدتين ، أو مايشبه المد كياء التصغير ، وأريد تخفيفها تقلب ياء إذا كان ما قبلها ياء ، وواوا إذا كان ما قبلها واوا ، وتدغم فيه ، فيقال فى خطيئة وردِىء ونِسِىء خطيَّة وردىّ ونَسِىّ ، وفى مقروءة ومقروء وهدوء وأزْد شَنوءة يقال مقروّة ومقروّ وأزد شَنُوّة (١) . وتقول فى أُفَيْئِس (مصغر أفؤس جمع قلة لفأس) أُفَيِّس . وفى سُوَيْئِل تصغير سائل سوَيِّل

وقد التزموا التخفيف لكثرة الاستعمال فى الكلمات الآتية على خلاف فى بعضها وهى الذرِّيَّة من ذرَأ الله الخلقَ خلقهم ، والبريَّة من بَرَأ الله الناس خلقهم ، والنبىّ من النبأ ، وأهل الحجاز يهمزون هذه الكلمات ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب فى ذلك ، والرويَّة من رَوَّأْتُ فى الأمر إذا تدبرته ، والمَلَك وأصله مَأْلك من الألوكة وهى الرسالة أُخِّرت فيه الهمزة إلى موضع اللام فصار مَلْأك ، ثم خففت الهمزة بالقاء حركتها على الساكن قبلها وحذفها ، وقد يستعمل متمما والأكثر الحذف ، وإن كان الساكن الذى قبلها حرفا صحيحا ، أو واوا أو ياء أصليتين أو مزيدتين لمعنى وأريد التخفيف نقلت إليه حركتها وحذفت ، فيقال فى مَسْألة ومَرْأة ومِرْءاة ومَلْآن واسْأل ومَنْ أَبُوك ومَنْ إله والأرض : مَسَلَة ومَرَة ومِرَاة ومَلَان وسَلْ ومَنَ بُوك ومَنَ لِهٌ ولَرْض ، لأن ماقبلها حرف صحيح . ويقال في سَوْءَة وهيْئَة ويَغْزُو أُمَّه إلى بيت كريم ويدعو أَخَاه : سَوَة وهَيَة ويَغْزُوُ مَّهُ ويدعوَ خاه لأن الواو والياء أصليتان ، ويقال فى أبُو أيُّوب وأبِى أيُّوب وأبُو إسحاق

---

(١) قبيلة من اليمن

أبُوَيُوب وأبىَ يُوبَ وأبو سْحَاق لأن الواو والياء زيدتا لمعنى وهو الدلالة على الإعراب.ويقال فى اَتبعى أمْرَه واَتبعُوا أمرهم: اتبِعىَ مْرَه واتبعوَ مْرَهم لأن الواو والياء زيدتا لمعنى وهو الدلالة على المؤنثة وجمع الذكور ويقال فى اَلحوءَب (موضع قرب البصرة) وجيْئَل (الضبع): اَلحوَبُ وجَيَل لأن الواو والياء زيدتا لمعنى وهو الإلحاق بجعفر، ويقال فى الخَبْء (اسم لما خُبِىءْ وكل ماغاب والمطر والنبات) والشىء والسَوْء، اَلخبُ والشَىُ والسَوُ. والساكن فى الشَىْءِ والسَوْء (وإن كان من حروف العلة) أصْل وليس بمد فيجوز تحريكه لقوته بالأصالة

وقد جاء باب شَىْء وسَوْء، مما همزته متطرفة، بعد واو أو ياء أصليتين بالإدغام فيقال شَىٌ وسَوٌ كما قالوا سَوّة ومَوّل وهَيّة فى سَوْءَة ومَوْئِل وهيئة تشبيها للأصلي بالزائد. حكى سماعَ ذلك عن العرب يونسُ والكسائى، وحكاه أيضا سيبويه، ولكن ذلك عنده غير قياسى بل خصه بالسماع.

وحكى بعضهم الإدغام فى المنفصل نحو وفِىَّنفُسِكم فى (وفى أنفسكم)

وأجاز بعض الكوفيين أن تقع همزة بين بين بعد كل ساكن كما تقع بعد المتحرك.

وقد قرأ الكوفيون وابن عامر واللَّائِى باثبات الياء ساكنة بعد الهمزة، وقرأ الباقون واللَّاءِ بحذفها، وقرأ بعضهم واللاىْ بإبدال همزة اللَّاءِ ياء وتسكينها، وقرأ بعضهم بتسهيلها بين بين

ومن العرب من يقول المَرَاة والكمَاة[1] فى المَرْأة والكمْأة فينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وهذا مطرد عند الكوفيين دون

(١) ضرب من النبات يشبه الفطر الذى تسميه عامة أهل الشرقية عيش الغراب

البصريين وعلى مذهب الكوفيين يقال فى مَلْأَك مَلَاك .

ومن العرب من يقول يريد أنْ يَجِيْك ويَسُوْك بحذف الهمزة فيهما . وقد التزموا التسهيل فى باب يَرَى من رأى ، وأصله يَرْأى ، وفى أرَى وأصله أرْأى كأعطى .

الهمزة المتحركة بعد متحرك

جملة صورها تسع ، لأنها إن كانت مفتوحة فما قبلها إما أن يكون مفتوحا أو مضموما أو مكسورا نحو سَأل وقَرَأ والتؤَدة وفِئَة ، وإن كانت مضمومة فما قبلها إما أن يكون مضموما أو مفتوحا أو مكسورا نحو رُءُوس ولَؤُم والمستهزِئُون . وإن كانت مكسورة فما قبلها إما أن يكون مكسورا أو مضموما أو مفتوحا نحو مِئِين (جمع مائة) وسُئِل وسَئِم . وهى فى جميع تلك الصور تخفف بجعلها بين بين ، أى بين مخرجها ومخرج الحرف المناسب لحركتها . إلاَّ اذا كانت مفتوحة وقبلها كسر أو ضم فإنهم التزموا فى تخفيفها قلبَها ياء إن انكسر ماقبلها، وواوا إن انضم، فنحو مِئَرٌ (جمع مِئْرَة وهى العداوة) يقال فيه مِيَر . ويريد أن يُقرِئَك يقال فيه يُقرِيَك ، (وقرأ بعضهم بادِىَ الرَّأْى بقلب الهمزة التى بعد الدال المكسورة ياء) ، ونحو التُّؤَدة وهذا غلامُ أبيك وجلست مع غلامِ أبيك تقول فيها : التُّوَدة وهذا غلامُ وَبيك وجلست مع غلام يَبيك والأخفش يقلب المضمومة بعد كسر ياء فيقول فى يستهزِئون يستهزِيُون. ويقلب المكسورة بعد ضم واوا فيقول فى سُئِل سُوِل ، وبعض القراء يحذف الهمزة ويضم ما قبلها اذا كانت مضمومة بعد كسر وبعدها واو ،

فيقول المستهزُون ويستهزُون والصابُون ومُتَّكُون ومالون ولِيُوا طُوا في المستهزِئُون ويستهزِئون والصابِئُون ومتكِئُون وما لِئُون وليوا طِئوا، ويحذف الهمزة ويكسر ماقبلها إذا كان بعدها ياء نحو مُتَّكِين والمستهزين والصابين والخاطِين وأصلها مُتكئين والمستهزِئين والصابِئين والخاطِئين. وبعضهم يحذف المضمومة بعد فتح إذا كان بعدها واو نحو يَطَوْن ولم تَطوْها وإن تَطوْهم، وأصلها يَطَـئُون ولم تَطَئُهَا وإن تَطَئُوهم. وقد انفرد حفص من القراء بإبدال الهمزة واوا فى كلمتى هزُؤًا وكُفُوًا فقرأ هزُوًا وكُفُوًا. وانفرد بعض القراء بحذف الهمزة فى مُتَّكَأً فقرأه مُتَّكًى كمُتَّقًى. وقد التزموا التخفيف فى مَساوى جمع مساءة، وفى الخابية من خبأتُ الشيء سترته، وفى تفرق القوم أيادى سَبَا وأيدى سبا. فلم يستعملوا هذا المثل إلا مخففا، والأصل سَبَأ (١)

هذا وقد تقلب الهمزة المتحركة بعد متحرك حرف مد فيقال فى مِنْسَأة (العصا) منساة، ومنه قول الفرزدق:

راحت بِمَسْلَمَةَ البِغَالُ عَشِيَّةً ... فارْعَىْ فَزارةُ لا هَنَاكِ المرْتَعُ (٢)

وقول حسَّان فى هُذَيل لما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يُحِل لهم الزِّنى.

---

(١) اسم بلد باليمن سمى باسم بانيه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ويقال لها مأرب، وكانت تسكنها بلقيس، وتخفيفه قياسى لأنه لما وقف على الهمزة بالسكون صار كرأس الذى يقال فى تخفيفه راس

(٢) كان على خراسان مسلمة فعزل ووليها بعده رجل من فزارة فهجا الفرزدق الفزارى ودعا على قومه فزارة ألا يهنئوا النعمة بولايته، والمراد بالبغال بغال البريد التى قدمت بمسلمة عند عزله.

سَالَتْ هذَيلُ رسولَ الله فاحشةً ضلّتْ هذيلُ بما سَالت ولم تُصِبِ[١]

وقول ابنه عبد الرحمن من أبيات يهجو بها ابن الحكم بن أبى العاص

وكُنْتَ أذَلَّ من وَتِدٍ بقَاعٍ يُشجّجُ رَأْسَه بالفِهْرِ وَاجِي[٢]

وهذا رأى سيبويه فى واجئ ، وقال بعضهم إن تسهيلها فى واجئ قياسيّ كتسهيلها فى لم يقْرِئ ، لأنه لما وقف عليه بالسكون فى آخر البيت صارت همزته ساكنة بعد متحرك فتقلب حرفا مجانسا لحركته

وقال سيبويه إن هذا النوع من التسهيل ليس بقياسيّ ، وإنما يحفظ عن العرب .

وقوم من العرب يبدلون من المفتوحة المفتوح ماقبلها ألفا ، فيقولون فى سَأل سَال وفى قرأ قرَا ومنه قول الراجز (مَكَانَ مَنْ أنشَا على الركائب) أراد انشَأ . أو أن ذلك لضرورة النظم . ومن المضمومة المضموم ماقبلها واوا فيقولون فى رُءوس رُوُوس ، ومن المكسورة المكسور ماقبلها ياء فيقولون فى مِئِين مِيِين .

وجوز الكوفيون وبعضُ البصريين كأبى زيد قلبَ الهمزة حرف مدّ دون نقل الحركة على وجوه مختلفة من غير قياس ولا ضبط ، فيقولون فى رَفَأتُ الثوبَ (لاءمتُ خَرْقَه وضممتُ بعضَه إلى بعض) رَفَيْتا

---

(١) أصل سالت سألت فى لغة من يهمز سأل ومنهم الشاعر المذكور .

(٢) أصل واجى واجىء من وجأت الوتد ضربت رأسه ليرسب تحت الأرض والفهر الحجر يملأ الكف . وتشجيح الوتد ضرب رأسه ، وقد كان بين عبد الرحمن والحكم مهاجاة ، أى لولا مكانك من الخلافة لأذللتك بالهجاء ، وجعل الوتد بقاع مبالغة فى الذم ، والقاع أرض واسعة مستوية مطمئنة انفرجت عنها الآكام .

رفَوْته (١) رفوًا وفى نشأت نَشَوْت (٢) ، ويقلبون الهمزة فى استهزأ ياء فيقولون استهزَيْت ومن قال ذلك يقول يستهزُون ومستهزُون ومستهزِين ، وعلى ذلك قرأ نافع الصابُون والصابِين فى الصابِئُون والصابِئِين ، وفى لسان العرب فى مادة صَبَأ وكانت العرب تسمى النبى صلى الله عليه وسلم الصابِئ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الاسلام ، ويسمون من يدخل فى دين الاسلام مَصْبُوًّا لأنهم كانوا لا يهمزون فأبدلوا من الهمزة واوا ، ويسمون المسلمين الصُّبَاة ، وصَبَأ عليه إذا خرج عليه ومال عليه بالعداوة . وقد جعل منه قوله صلى الله عليه وسلم لَتَعُودُنَّ فيها أساوِدَ صُبًّى ، وأصله صُبَّأ خفف همزه ، أراد أنهم كالحيات التى يميل بعضها على بعض . وفيه فى مادة هَزَأ الهُزْء والهُزُؤ السخرية ، وقوله تعالى « إنما نحن مستهزِئُون الله يستهزِئ بهم » قال الزجاج القراءة الجيدة على التحقيق ، فاذا خففت الهمزة جعلتها بين الواو والهمزة ، وهذا هو المختار بعد التحقيق ، ويجوز أن يبدل منها ياء فتقول مستهزِيُون ، فأما مستهزُون فضعيف لا وجه له إلا على قول من أبدل الهمزة ياء فقال استهزَيْتُ .

وفيه المَرْفَأ المكان الذى توضع فيه السفينة بقرب الشط ، يقال أرْفَأت السفينة أى قربتها من الشط ، وبعضهم يقول أرْفَيْتُ ، والأصل الهمز .

وفيه ساءَه يسوءه سَوْءا وسُوءا وسَوَاءَة وسَوَاية ومَسَاءَةً ومساية ضد سره .

---

(١) هذا على رأى من جعل أصله الهمزة لا على رأى من جعل هذا لغة .

(٢) على رأى من لم يجعله لغة

وفيه ظَمِئَ يَظمَأُ ظَمَأً فهو ظام ، وأصله ظامِئٌ قلبت همزته ياء فصار ظامِيٌ ، ثم أجرى مجرى قاض .

وفيه تَنَأَ بالمكان يَتْنَأُ أقام وقطن ، وقالوا تَنَا بقلب الهمزة ألفا وأجْبَأتُ الزرعَ بعته قبل صلاحه . وجاء فى الحديث بلا همز : مَن أجْبَا . فقد أرْبَى . وأصله الهمز

ودَنَأَ يَدْنَأُ دناءَة سفل فى فعله ، وقوله تعالى أتَسْتَبْدِلُونَ الذى هُوَ أدْنَى بالَّذى هُوَ خَيْرٌ قال الفراء هو من الدناءَة ، والعرب تقول إنه لدَنِيّ فى الأمور غير مهموز ، وكان زهير الفرَوى يهمز ويقرأُ أتستبدلون الذى هو أدْنَأُ بالذى هو خير . قال الفراء ولم نَرَ العرب تهمز أدْنَأ إذا كان من الخسة

وفيه قال هرْمَةُ

لَيْتَ السِّبَاعَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً وأَنَّنَا لا نَرَى مِمَّنْ نَرَى أحَدَا
ان السِّبَاعَ لتَهْدَا عن فرائسها والناس ليس بهادٍ شَرُّهم أبدا

أراد لَتَهْدَأُ وبهادِئ فأبْدَلَ الهمزة إبدالا صحيحا وذلك انه جعلها ياء فألحقَ هادِياً برام وسام وهذا عند سيبويه إنَّما يؤخذ سماعا لا قياسا ولو خففها تخفيفا قياسيا لجعلها بين بين فكان ذلك يكسر البيت

ويقال نظرت الى هَدْئِه وهَدْيه وقد أسقطوا الهمزة وجعلوا مكانها ياء والأصل الهمز من هَدَأَ يَهْدَأُ إذا سكن . وأتانا وقد هَدَأَتِ الرِّجْلُ أى بعد ما سكن الناس بالليل

وفيه

إذَا قَلَّ مَالُ المَرْءِ قَلَّ صَدِيقُه وأوْمَتْ إليه بالعُيُوب الأصَابِعُ

أراد أومأت أى أشارت فخفف تخفيف إبدال حتى لا ينكسر البيت
وفيه فى مادة نشأ قال الفراء العرب تقول هؤلاء نشء صدق ورأيت
نشء صدق ومررت بنشء صدق ، فاذا طرحوا الهمزة قالوا هؤلاء نشو
صدق ورأيت نشا صدق ومررت بنشى صدق ، وأجود من ذلك حذف
الواو والآلف والياء لأن قولهم يسل أكثر من يسأل ومسلة أكثر
من مسألة .

وفيه فى مادة سأل ويقال الرجلان يتساءلان ويتسايلان . وفى مادة
كلأ : قال الفراء هى مهموزة ، ولو تركت همزة مثله فى غير القرآن
قلت يكلوهم بواو ساكنة ويكلاهم بألف كيخشاهم ، ومن جعلها واوا
ساكنة قال كلات بألف ، ومن قال يكلاهم قال كليت . وهى من لغة قريش
وكل حسن ، إلا أنهم يقولون فى الوجهين مكلوة ومكلو أكثر مما
يقولون مكلى ، ولو قيل مكلى فى الذين يقولون كليت كان صوابا .
وفى مادة قرأ وصحيفة مقروءة لا يجيز الكسائى والفراء غير ذلك وهو
القياس ، وحكى أبو زيد صحيفة مقرية وهو نادر الا فى لغة من قال
قريت ، وقد تحذف الهمزة تخفيفا فيقال قرات ؛ وقال بعض أيمة اللغة
وقد همزت العرب ما ليس بمهموز فقالوا لبأت بالحج تلبئة والأصل
لبيت تلبية أى قلت لبيك . ولبيك مثنى انتصب على المصدرية نحو حمداً لله
وشكراً ، وكان حقه أن يقال لباً لك ، وقد ثنوه على معنى التأكيد أى إقامة
على طاعتك بعد إقامة ، وقالوا حلأت السويق تحلئة أى جعلته حلواً ،
(والسويق دقيق الشعير والقمح) والأصل حليت ، وقالوا افتأت برأيه
أى انفرد به واستبد والأصل افتات ، وقالوا رثأت الميت والأصل رثيته
أى عددت محاسنه

الوقف على الهمزة المتطرفة الساكن ما قبلها

اذا أريد الوقف على المهموز الآخر الساكن ما قبل الهمز يوقف بالسكون المحض، أو بنقل الحركة، أو بالإشمام في حالة الرفع، أو بالرَّوم في حالتى الرفع والجر وكذا النصب فى الممنوع من التنوين لمنع الصرف أو لدخول أل أو للاضافة. والإشمام ضم الشفتين بعد الإسكان، والرَّوم حركة مختلسه، وهى أكثر من الاشمام لأنها تسمع، وأما الإشمام فإنه لا يسمع ولكن يرى.

ونقل الحركة هو أن تنقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها مع بقاء الهمزة فتقول عند الوقف على الخَبْء هذا الخَبُؤْ فى حالة الرفع ورأيت الخَبَأْ فى حالة النصب ونظرت إلى الخَبِئْ فى حالة الجر.

ومن العرب من ينقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها ثم يقلبها حرف مد عند الوقف فيقول فى الرفع هذا الخَبُو ورأيت الخَبَا ونظرت الى الخَبِى، لأن الهمزة لما سكنت للوقف عوملت معاملة الساكنة أصالة بعد متحرك، وتلك تقلب واوا بعد الضم نحو بُوس فى بُؤْس، وألفا بعد الفتح نحو رَاىْ فى رَأْى، وياء بعد الكسر نحو بير فى بِئْر كما تقدم. وهذ مذهب كثير من العرب منهم أسد وتميم. ومنهم من يبدلها حرف لين مناسبا لحركتها فيجعلها فى الرفع واوا وفى النصب ألفا وفى الجر ياء، فيقول فى الوقف على قولك هذا الخَبْء هذا الخَبْوْ ونظرت الى الخَبْىْ بإبقاء ما قبل الواو والياء ساكنا على أصله قبل القلب لأن الواو والياء يمكن إسكان ما قبلهما، وفى حالة النصب يقولون رأيت الخَبَا بفتح ما قبل الألف لأن الألف لا يكون ما قبلها الا مفتوحا.

الوقف على المهموز الآخر المتحرك ما قبل الهمز

إذا تحرك ما قبل الهمزة المتطرفة نحو الكَلَأُ والأَكْمُؤ والهَنِيء وأريد الوقف بنقل الحركة أو الإبدال فمن العرب من يبدل الهمزة حرف لين مناسبا لحركتها فيقول في هذا هو الكَلَأُ هذا هو الكَلَوْ ، وفي رأيت الكَلَأَ رأيت الكَلَا وفي نظرت إلى الكَلَإِ نظرت إلى الكَلَيْ ، وهذه هي الأكْمُؤ في هذه هي الأكمُؤُ ورأيت الأكْمَا في رأيت الأكْمُؤَ (ماقبل الألف لا يكون إلا مفتوحاً) ونظرت إلى الأكْمُيْ في نظرت إلى الأكمُؤِ (ويقلبون الياء واوا لسكونها بعد ضم) وهذا هو الطعام الهَنِوْ أي السائغ في الطعامُ الهَنِيءُ (وتقلب الواو ياء في الهَنِوْ لسكونها إثر كسرة) ورغبت في الطعام الهَنِيْ في الهَنِيءِ وأكلت الطعام الهَنَا (بفتح ما قبل الألف) في أكلت الطعام الهَنِيءَ

وهذا مذهب التميميين . أما الحجازيون فيقلبون الهمزة حرف مد مناسبا لحركة ماقبلها ، لأنها لما سكنت عند الوقف عاملوها معاملة الهمزة الساكنة أصالة بعد متحرك ولهذا يقلبونها بعد الفتحة ألفا وبعد الضمة واوا وبعد الكسرة ياء ، ويقفون على الكَلَأُ في أحواله الثلاثة بالألف ويقولون الكَلَا ، وعلى أكمُؤ في أحواله الثلاثة بالواو فيقولون أكْمُو ، وعلى الهَنِيء في أحواله الثلاثة بالياء فيقولون الهَنِي

اجتماع همزتين في كلمة سكنت ثانيتهما وتحركت الأولى

إذا اجتمعت همزتان في كلمة وكانت الثانية ساكنة تقلب الثانية وجوبا حرف مد من جنس حركة الأولى المتحركة ، فتبدل ألفاً في آدم وآخر

وآلهة وأصلها أأدم وأأخر وأأْلهة ، وواوا فى أُوْمن وأصله أُؤْمن ، وياء فى إيمان وأصله إئْمَان .

اجتماع همزتين فى كلمة سكنت أولاهما وتحركت الثانية

إذا سكنت الهمزة الأولى ، وتحركت الثانية ، وجب الإدغام ، نحو سَأّآل لكثير السؤَال ، ورَأّآس لبائع الرءوس ، ولَأّآل لبائع اللؤْلؤْ .

اجتماع الهمزتين المتحركتين فى كلمة

إذا اجتمعت الهمزتان المتحركتان فى كلمة ، فإما أن تبدل الثانية ياء أو واوا ، فتبدل ياء فى المواضع الثلاثة الآتية :

(١) إذا كانت مكسورة نحو أيمَّة وأصله أئِمَّة ، قلبت الثانية ياء كراهة اجتماع الهمزتين ، والكوفيون لايكرهون ذلك فيبقون الهمزة على أصلها ويقولون أئِمة ، وبعض القراء يسهل همزة أئِمَّة بجعلها بين بين ، وبعضهم يدخل الألف بين الهمزتين فى حالتى تحقيق الهمزة وتسهيلها ، وانما ساغ الفصل لتشبيهها بكلمة أئذا ونحوها . وأصل أئِمَّة أأْمِمَة جمع إمام كإناء وآنية وإله وآلهة ومثال وأمثلة ، نقلت كسرة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة قبلها ، ثم قلبت الهمزة بعد كسرها ياء وأدغمت الميم الأولى فى الثانية فصارت أيِمَّة

(٢) اذا تَلَتْ كسرة نحو جاءٍ وخطايا ، وأصل جاءٍ جائِئٌ ، والهمزة الأولى منقلبة عن الياء التى هى عين الكلمة كما قلبت فى بائع ، والثانية لام الكلمة ، وقد استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء والتنوين فحذفت الياء فصار جاءٍ ، وقد جاء جائِيٌ فى الضرورة قال الشاعر

لعمرُك ما تَدْرِى متى الموتُ جَائِئٌ

وأصل خطايا خطائِئُ قلبت الثانية ياء كراهة اجتماع همزتين فصارت الكلمة خطائِئُ ، استثقلت الياء بعد الهمزة المكسورة فأبدلت الكسرةُ فتحةً والياء ألفا ، كما فعلوا فى مَدَارَى فصار خطاءَى ، ثم استثقلت الهمزة بين ألفين فقبلت الهمزة ياء فصارت خطايا

(٣) اذا كانت الهمزة لام الكلمة سواء أكان ما قبلها مفتوحا أو مضموما أو مكسورا

وتبدل الهمزة واوا فيما عدا المواضع الثلاثة المتقدمة ، فتقول فى اسم التفضيل من أَمَّه أَوَمُّ منه أى أحسنُ إمامة منه ، وعلةُ القلب كراهة اجتماع الهمزتين ، وأصله أأْمَمَ نقلت حركة الميم الأولى الى الهمزة الساكنة قبلها ، ثم قلبت تلك الهمزة بعد فتحها واوا ، ثم أُدْغِمت الميم الأولى فى الثانية ، وتقول فى جمع آدم أوَادِم وأصله أآدم ، هذا وقال المازنى فى أوَم منه أَيَم منه بقلب الهمزة بعد فتحها ياء

اجتماع الهمزتين فى كلمتين

إذا اجتمعت الهمزتان فى كلمتين وأريد التخفيف فبعض العرب يخفف الأولى بجعلها بين بين ويحقق الثانية ، وذلك نحو فقد جاء أشراطها ، فيقول جا أشراطها ، ويقول فى يا زكرياء إنا نبشرك بغلام يا زكريا إنا نبشرك بغلام ، وبعضهم يعكس فيقول قد جاء شْرَاطها ويا زكرياء نَّا نبشرك بغلام ، والحجازيون يخففونهما معا

وأبو عمرو قرأ (فى المتفقتين فى الكسر فى هؤلاءِ إن كنتم ، من النساءِ إلا ، من وراءِ إسحاق ، بالسوءِ إلا ، على البغاءِ إن ، من السماءِ إن . وفى

المتفقتين فى الفتح فى جاء أشراطها ، السفهاءَ أموالكم ، جاء أحد ، تلقاء أصحاب النار ، جاء أجلهم ، جاء أمرنا ، جاء آلُ ، وفى الضم فى أولياء أولئك) بإسقاط الهمزة الأولى منها فى الأقسام الثلاثة .

وبعض القراء سهل الأولى من المكسورتين والمضمومتين بجعلها بين بين مع تحقيق الثانية .

وبعض القراء قرأ بالسوّ إلاّ بابدال الهمزة الأولى واوا وإدغام التى قبلها فيها ، والأصل بالسوءِ إلاّ .

زيادة الألف بين همزة الاستفهام وهمزة القطع

من العرب من يزيدون بين همزة الاستفهام وهمزة القطع ألفا إذا اجتمعتا كراهة اجتماع همزتين ، كما زادوها فى اخْشَيْنَانِّ كراهة اجتماع النونات قال ذو الرُّمَّة

فياظبيةَ الوَعْسَاءِ بين جُلَاجِلٍ وبين النَّقَا آأَنتِ أمْ أمُّ سالِمِ (١)

حذف الهمزة فى كل وخذ ومر

قد حذفوا الهمزة تخفيفا لكثرة الاستعمال فى كُلْ وخُذْ ومُرْ حذفا غير قياسى ، وأصلها أُؤْكل وأُؤْخذ وأُؤْمر ، والتزموه فى كُلْ وخُذْ دون مُرْ ، قال تعالى : (وَأْمُرْ أهلَكَ بالصَّلاةِ) وكان القياس قلبها واوا .

(١) الوعساء : رملة لينة . جلاجل اسم مكان . النقا : الكثيب من الرمل ، وأراد شدة تقارب الشبه بين الظبية والمرأة فاستفهم استفهام شاك مبالغة فى التشبيه .

حذف الهمزة من أناس

قد تحذف الهمزة من أُناس شذوذا من غير علة فيقال ناس .

حذف الهمزة من باب أكرم إذا دخلت عليه حروف المضارعة

التزم فى باب أُكرِمُ (أصله أُؤَكرِم) حذف الهمزة الثانية وكان القياس قلب الثانية واوا كما فى أُوَيدِم تصغير آدَم لكنه خفف بحذف الثانية لكثرة الاستعمال كما خفف كُلْ وخُذْ ومُرْ ، ثم حمل نُكرِم وتُكرِم ويُكرِم عليه وإن لم يجتمع فيه الهمزتان

همزة الاستفهام الداخلة على ما أوله همزة قطع

إذا دخلت همزة الاستفهام على ما أوله همزة قطع مكسورة نحو أئِنكم ، أئِن لنا لأجرًا ، أئِله مع الله ، أئِفكا ، أئِذا متنا تُسَهَّلُ همزة القطع بجعلها بين بين، أى بين الهمزة والياء . وبعضهم يفصل بين الهمزتين بألف . وإذا كانت همزة القطع مضمومة نحو أؤُلقِى ، أؤُنزل ، تسهل بجعلها بين الهمزة والضمة . وبعضهم يفصل بينهما بألف . وإذا كانت همزة القطع مفتوحة بعدها ساكن نحو أأسجد ، أأنذرتهم ، أأنتم ، أأقرأ . تسهل همزة القطع بجعلها بين بين ، وبعضهم يقلبها ألفا محضة ، ومن قلبها ألفا مدَّها مَدًّا مُشبَعا لالتقاء الساكنين ، وبعضهم فصل بينهما بألف . وإن كان مابعد همزة القطع متحركا نحو أألِد وأنا عجوز ، أأمِنتم . فحكمها حكم سابقتها ، إلا أن من قلبها ألفا لا يشبع المد لزوال سبب الإشباع وهو التقاء الساكنين وإذا كان مابعد همزة القطع حرفَ مَدّ نحو أآلهتنا

تسهل بجعلها بين بين ، ولا تزاد بعدها ألف فرارا من أن يصير فى الكلمة أربع ألفات تقديرا

همزة الاستفهام الداخلة على ما أوله همزة وصل

أجمعوا على قلب همزة الوصل المفتوحة ألفا إذا دخلت عليها همزة الاستفهام فرقا بين الاستفهام والخبر نحو آلذَّكرين حرَّم ، آلآن ، آلله أذن لكم . كما أجمعوا على عدم تحقيقها لكونها همزة وصل ، وهمزة الوصل لا تثبت إلا ابتداء . وقال بعضهم إنها تسهل بجعلها بين بين قياسا على سائر الهمزات المتحركة بعد الفتح اذا وقعت قبلها همزة الاستفهام ، ولا يجوز إدخال ألف بينها وبين همزة الاستفهام ، كما يجوز مع همزة القطع

وإذا كانت همزة القطع مكسورة تحذف فى وصل الكلام ، ويؤتى بهمزة الاستفهام وحدها ، نحو أتَّخذْناهم سخريا ، أصطفى البنات على البنين .

تخفيف الهمزة الواقعة بعد أل المعرِّفة

إذا خففت الهمزة الواقعة بعد ألْ المعُرِّفة نحو الْأَحْمر بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها حذفت همزة ألْ استغناء عنها وهو القياس ، فتقول لَحْمَرَ (وهى لغة عامة أهل مصر الآن) ومنهم من يبقى همزة أل فيقول أَلَحمر لعدم الاعتداد بالعارض .

ومن العرب من يقلب الهمزة التى بعد أل لاما فيقول اللَّحمر واللَّرْض فى الأحمر والأرض ، وقد قُرِئ مِنَ اللَّرض ومِنَ لَرْض.

قلب الواو همزة

قلبُ الواو همزةً واجبٌ وجائز. فالواجب فى موضعَين

الأول : إذا وقعت إثر ألف زائدة نحو كِسَاء وأصله كسَاو من الـكسوة ، وقائِل وأصله قاوِل من القَوْل .

الثانى : إذا وقعت الواو فى أول كلمة وتلتها واو أخرى لازمة نحو أواصِلُ جمع وَاصِلَةٍ وهى التى تصل شَعَرها بشَعَر غيرها وأصلها وَوَاصِل ، وأوَاق جمع وَاقِيَةٍ وهى ما تقى غيرها وتحفظه قال الشاعر

ضَرَبَتْ صَدْرَهَا إلَىَّ وقَالَتْ يَاعَدِيًّا لقد وَقَتْكَ الأوَاقِى (١)

وأُوَيْصِل تصغير وَاصِل وأصله وُوَيْصِل ، وأُوَيْقِيَة تصغير واقية وأصله وُوَيْقِيَة .

والجائز إذا كانت مضمومة ضما لازما سواء أكانت فاء كلمة نحو أُجُوهٌ حِسَان فى وجوه حسان ، وأُقِّتَ فى وُقِّتَ . أم عين كلمة نحو أدْؤُرٍ جمع دَارٍ وأثْؤُب جمع ثَوْبٍ قال الشاعر

لِكُلِّ دَهْرٍ قَد لَبِسْتُ أثْؤُبَا (٢)

وأنْؤُر جمع نار قال عمر بن أبى ربيعة

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنهُمْ وأُطْفِئَتْ
مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالعِشَاءِ وأنْؤُرُ

---

(١) البيت للمهلهل أبى ليلى عدى بن ربيعة التغلبى أخى كليب من أبيات رواها صاحب الأغانى يذكر فيها ابنته الصغيرة وهجره لها ، ويذكر جماعة ممن قتلوا من بنى تغلب فى حرب البسوس

(٢) معناه انى قد تصرفت فى ضروب العيش وذقت حلوه ومره

وإنما جاز القلب لأن ضم الواو ثقيل فقلبوها همزة استحسانا ولهذا يجوز النطق بالأصل .

وقولنا لازم تحرز من الضم العارض . فإنه لا يجوز معه القلب ومنه ما عرض لالتقاء الساكنين نحو قوله تعالى اشْتَرُوا الضَّلاَلَة بِالهُـدَى وقوله تعالى « ولا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَـكُمْ »

ومنه ضمة الإعراب فى نحو هذا دَلْوٌ لأن الدَّلْو قد يقع منصوبا أو مجرورا بحسب العوامل فتزول ضمته .

ومن القلب الجائز منائِر جمع مَنَارة من النُّور وأصلها مناوِر ، والنَّئُورُ وهو دخان الشحم يعالج به الوَشْمُ ويُحْشَى به حتى يخضَرَّ ، وغاريغور غَوْرًا وغُئُورًا أتى الغَوْر وهو كل ما انحدر مسيله ، وصال على قِرْنه صَوْلاً وصُئُولا سطا عليه فهو صَئُول ، ورجل قَئُول من القَوْل . وامرَأة نَئُومُ الضحا أى نائمة به أوفيه من النَّوْم ، وساقُ الشجرة جذعها والجمع أَسْوُق وأسْؤُق وسُووُق وسُئُوق . وقالوا فى سُوُق سؤْق وفى موُقِن مُؤْقِن . وقرأ بعض القراء وإن تَلْئُوا أو تُعْرِضُوا والأصل تَلْوُوا .

ومن العرب من قلب الواو المكسورة الواقعة فاء لكلمة همزةً فقال فى وِشَاح (سير يرصع بالجوهر تشده المرأة على وسطها) إشَاح ، وقال فى وِسَادة (المِخَدَّة) إسَادة ، وفى اللسان فى مادة وضأ : وقول النابغة (فَهُنَّ إضاء صافِيـاتُ الغلائل) يجوز أن يكون أراد وِضَاء أى حسانا فقلب الواو المكسورة همزة ، هذا وقد قرأ سعيد بن

جبير (قَبْلَ إعاءِ أخيهِ) فى وِعَاء أخيه ، وقالوا فى وِفَادة إفادة من وفد عليه وإليه يفِد وفْدا ووفودا ووِفادة وإفادة قَدِم .

والصرفيون يقولون إن هذا القلب سماعى إلا أبا عثمان فإنه يقول باطراده لكثرته

وقد قلبوا الواو المفتوحة الواقعة فاء كلمة همزةً قلبا سماعيا فقالوا امْرَأة أَنَاةٌ وأصلها وَنَاة من الوَنْى وهو الفتور فى القيام والقعود والمشى للنَّعْمة ، وذلك مما تستحسنه العرب فى المرأة قال أبو حية النميرى :

رَمَتْـهُ أَنَاةٌ من ربيعةِ عامرٍ   نَئُومُ الضُّحَا فى مَأْتَم أىِّ مَأْتم

وقالوا أَسْمَاء اسم امرأة وهى فَعْلاَء من الوِسَامة أى الحسن على قول وقالوا فى العدد أَحَدَ عشر وأحَد وعشرون والأصل وحَد لأنه من الوَحدة أى الانفراد .

قلب الألف همزة

تقلب الألف همزة مفتوحة قلبا غير مطرد فى نحو ابْيَاضَّ من البياض وادْهَامَّ أى اسْوَدَّ ودابَّـة وشابَّـة واشْعَالَّ أى صار ذا شَعَل وهو البياض فى ذَنَب الفرس أو ناصيته . فيقال ابيَأضَّ وادْهَـأَمَّ ودَأَبَّـة وشَـأَبَّـة واشْعَـأَلَّ قال الشاعر :

وبَعْدَ انْتِهاض الشَيْبِ فى كلِّ جانبٍ   على لِمَّتِى حتى اشْعَأَلَّ بَهِيمُها

والعلة التخلص من التقاء الساكنين ، (والمراد فى البيت السابق مطلق البياض) . وعن أبى زيد قال : سمعت عَمْرو بن عُبَيْدٍ يقرأ (فيومَئذٍ

لا يُسْأَلُ عن ذَنْبِهِ إِنْسٌ ولا جَأْنٌ) فى جَانّ وقرأ ابو أيوب السختيانى ولا الضَّأَلِّين .

وبعضهم همز العالَم والخاتَم والباز (لغة فى البَازِى ، وهو طائر معروف) قال ابن جنى : الباز مما همز من الألفات التى لاحظ لها فى الهمز كقول الآخر :

يادارَ سَلْمَى بِدَ كادِيكِ البُرَقْ صَبْراً فقد هَيَّجْتِ شَوْقَ المُشْتَأَقْ

قلب الهاء همزة

قلبت الهاء همزة قلبا غير قياسى فى بعض الكلمات ، منها مَاء (مايشرب) وأصله ماه بدليل مُوَيْهَة فى تصغيره وأمْواه فى تكسيره ، وشَاء جمع شَاةٍ والعرب تقول ألْ فعَلتَ وألاّ فعلتَ يريدون هل فعلت وهلاّ فعلت ، وقيل إنهما لغة فى هَلْ وهَلاَّ .

سُــــنبلة تغَنّـــى !

[من ديوان « أغانى الكوخ » الذى يصدره
الشاعر فى أول شهر يناير ١٩٣٥]

من رأى فى الأرض مُلكاً مثل ملكى فى الكثيبِ
موردى النيـــل وزادى من ثرى النيل الخصيبِ

***

كلّل الفجرُ جبيـــنى بالنّدى الغضّ الرطيبِ
والأصيـــلُ البَرُّ ألقى ِتـــبْره بين جيوبى
وشـــعاع الشمس حيًّا فى شروق وغروب
لوْ رأى الرّهبانُ طهْرى وصـــلاتى فى المغيب
هجروا الدَّيْرَ وخرّوا سُجَّدًا فوق كثيبى !

***

طيّب الصبحُ مَهـــادى بعبـــير الزعفرانِ
والرّبى وَشَّحْن عودى بوشـــاح السَّيْسبان
والضحى لمّـــا رآنى ذاتَ دَلٍّ وَافْتتـــان
ذوَّب النـــورَ وأجْرى نهـــره فى طَيْلسانى

وسـقانى الطّلَّ أشهى من بذيّات الدّنان

***

قُبَّراتُ الحقل لمّا خشيتْ لَفْحَ الهجير
رشفتْ ظِلِّى خيالاً نغمَتْهُ فى الصَّفير
وحَبا العُلّيْقُ (١) فوق عاشقاً لثْمَ شعورى
كأسهُ البيضاء تحكى حُلُم الطّفْل الغرير
مدّها شوقًا ليَحْسو هالةَ الضوْء المنير

***

أنا عذراء تجلّى سحْرُها بين الحقولِ
الصَّبَا جُنَّتْ غرامًا بشحوبى ونُحولى
فتلوّتْ حول ثغرى فى شرودٍ وذهولِ
تشتهى لثمى .. فتُضْرى آهةَ الصبِّ العليل
فأُناغيها بهمسٍ رقَّ عن نفْحِ الأصيلِ
كم ربيعٍ ناعم الآ صالِ ، طَلْقِ الغَدَوات !
نِمْتُ فيه عَفَّةَ المهدِ بحضْن الرَّبَوات
بين ترتيل السّواقى وزفيف النَّحَلات
وترانيم الصَّبَايا فى سكون الطرُقات

---

(١) نبات ذو زهر أبيض يلتف حول عيدان القمح .

والصَّدَى المشْبوبُ حولى   من أناشيـــــد الرُّعاةِ

***

ودنا الصَّيْف.. فشابَتْ   من لظاهُ سَــبَلاتى
وذوَى عودى ولفَّ الْـ   ـمنْجَلُ القاسى حيـاتى
وتحطّمْتُ.. فأحيـا النّـ   ـاسَ عيشٌ من رُفاتى..
أنا فى غرسى، وحَصْدى   وحيـاتى، ومـماتى
مَثَــلٌ؛ أعلَى ورمز   خالِدٌ للتَّضْحيـــاتِ

محمود حسن اسماعيل
بدار العلوم

الوصف فى شعر امرىء القيس

بقلم السباعى السباعى بيومى

الأستاذ بدار العلوم

٣

الطبيعة فى أنسة الغيث ووحشة الإبل

عاشت العرب جاهليتها فى جزيرة تكاد تتقاسمها الصحارى والنجاد ، فليس فيها على سعتها نهر يجرى ولا سهل يزرع . كما للأمم حولها ، وكل ما فيها من أسباب عيش جبال تتصيد بعض الغيوث والأمطار ، فتجريها إلى أودية تتحول معاشب ومكالىء ترعاها ماشيتهم ، وعلى تلك الماشية هم يعيشون . فهى بلاد يحيا أهلها على المطر ، لا يزالون يتشوفون برقه فى الجو المتلبد ، ويتسمعون رعده فى الريح المزجى ؛ أسوأ مايسوءهم السماء تمسك ماءها فيقحطون ويجدبون ، وأسر ما يسرهم السحاب يرسل غيثه فيمرعون ويخصبون . فللغيث على تلك الأرضين فضل ليس بعده فضل ، وله فى قلوب أهليها منزلة لا تعدلها منزلة . وكلا الأمرين يملأ من القوم نفوسهم ، ويشعر به عامهم وخاصهم ، لما لهم إليه من حاجة ملحة ، وعليه من رقابة دائبة .

أثر فيما أثر عنهم : أن أعرابيا شيخا خرج مع ابنة عم له يرعيان غنما ، وكان ضريرا ، فأحس نسمة تؤذن بمطر ، وأراد أن يستبين الفتاة حال السماء فقال لها : إنى أجد ريح النسيم قد دنا فارفعى رأسك فانظرى ، فقالت : تريد السحب ، كأنها ربرب معزى هزلى . فعلم أن هوادى

السحاب لا تزال فى صفر قطعها ووضوح ألوانها كقطيع المعزى الهزيلة ، وأن المطر آت ولكن بعد حين فقال : ارعى واحذرى . وسكت ساعة ثم كرر ما قال وأعاد السؤال فقالت : كأنها بغال دهم تجر جلالهـا . فعلم أن السحب قد عظمت وأطبقت حتى صارت كتلك البغال فقال : ارعى واحذرى . وبعد قليل سألها الثالثة فقالت : كأنها بطن حمار أصحر . فعلم أن غبرة السحاب قد اختلطت بحمرة خفيفة وأنه قد تدلى لثقل مائه وعما قريب سيمطر فقال : ارعى واحذرى . ثم سألها الرابعة فأنشدت :

دانٍ مسِفٍ فُويق الأرض هَيْدَبه يكاد يدفعه من قام بالراح

فأيقن أن المطر واقع فقال : انجى لا أبالك . وما أتم كلامه حتى هطلت السماء .

فاذا كان مبلغ علم عامتهم بالسحاب وآيته ، والغيث وعلامته ، على النحو الذى ذكرنا . فما بالك بخواصهم ؛ ثم ما بالك بالشعراء من هؤلاء ؛ بل ما بالك بذوى المقدرة على الوصف من الشعراء المخالطين للطبيعة الوصافين لها كشاعرنا امرىء القيس ؟ !

تعرض امرؤ القيس آخر معلقته لوصف السحاب فى أحد عشر بيتا بدءها بوصفه شكلا ولونا ، ثم انتقل إلى وصفه قوة سح وشدة آثار ، وختمها بعدة تشبيهات فى تلك الآثار أبدع فيها ما شاء له الخيال .

قال يصفه شكلا ولونا :

أصاح ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين فى حَبِيٍّ مُكَلَّلِ
يضىء سناه أو مصابيح راهب أهان السليط فى الذبال المفتل
قعدت وأصحابى له بين ضارج وبين العُذيب بُعْدَ ما مُتَأَمَّلِى

فجعله حبيا مكللا . والحبى : المعترض الذى قد سد الأفق وأطبق عليه ، أو ذو البطىء المر لثقل مائه ، فهو يحبو ولا يكاد يسير . والمكلل :

الذى ترا كمت قطعه بعضها فوق بعض فاعتكر لونه وبان سواده . وعمد إلى برقه الذى كان يومض فى هذه الظلمة ويختفى فجعل وميضه فى سرعته كلمع اليدين . وهو حركتهما من منذر أو مبشر ؛ وشأن هذين أن يواليا الحركة ويسرعا فيها . وكلما أسرع البرق فى سحاب كان ذلك أدل على كثرة مائه وقرب هطوله ، حتى كانوا إذا عدوا له اثنتين وسبعين لمعة أيقنوا أن الماء فى أثره . ثم جعل سناه فى شدة ضوئه مصابيح راهب لم يضن بالزيت على ذبالها المفتول ؛ وكل ذلك يورث الضوء قوة وشدة لمعان ، فإن مصابيح الرهبان دائما مجلوة . وإهانة السليط بالصب على ذبالها أكثر إمدادا لها . وتفتيل الذبال يجعل سريان الزيت فيها أسرع وأغزر . وبعد هذين الوصفين لمرأى السحاب أمامه انتقل يقول : إنه قعد هو وأصحابه يتأملون امتداده بين ضارج والعذيب ، ويعجبون لتناوله هذين المكانين على بعد مابينهما فيا بعد ما يتأملون (١)

وقال فى قوة سحه وشدة آثاره :

فأضحى يسح الماء عن كل فِيقة يكب على الأذقان دوح الكَنَهْبَل
على قَطن بالشيم أيمنُ صوبه وأيسره على الستار فيذبل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطُما إلا مشيدا بجندل
وألقى بصحراء الغَبيط بَعَاعه نزول اليمانى ذى العياب المحمَّل

فاختار أن يكون سحابا يكف ساعة ويقف ساعة ثم يعود إلى السح من جديد ، كدر اللبن يأتى شديدا عن كل فيقة ، وهى الفترة بين الحلبتين. وإذا كان السحاب على هذه الحال من الهبوب والسكون ثم الهبوب بعد ،

---

(١) ضارج : ماء بين اليمن جنوبا ومكة شمالا فى القرب من الجزيرة . والعذيب : واد بين المغيثة ، وهى أرض تميم جنوبا والقادسية شمالا فى الشرق من الجزيرة . فهما متقابلان فى النصف منها غربا وشرقا .

كان مظهره أشد ، وكان سيله أقوى وأمر ؛ لهذا أسند إليه قوة تكب إلى الأذقان العظيم من أشجار الكنهبل ، على ضخامة هذا الشجر جملته ؛ ولن يصل بأعاليها إلى الأرض كبا إلا إذا اقتلع جذورها من الأصول اقتلاعا . وليس أدل على عظمة سيل من أن يأخذ فى طريقه بما أخذ من أرض ما قام عليها من أمثال هذه الأشجار أخذا . ولم ينس ، وقد جعل امتداده قد طبق الأفق آنفا ، أن يمتد بصوبه فينال ما تباعد من الأرضين، فإذا شمته يمنة ألفيته على قطن ساقطا ، وإذا ما تلفت يسرة وجدته على الستار ويذبل واقعا[1] . وهى جبال ثلاثة متباعدة الوضع طويلة الامتداد. وسحاب هذا شأنه فى سعة أفقه ، وقوة صوبه ، جدير أن يتدفع سيله إلى ما تباعد عن مصابه . وهكذا كان سحاب امرىء القيس ، فقد تجاوز سيله ما ذكرنا من أماكن إلى تيماء فعقر جذوع نخيلها ، وهدم بناء أطمها ، إلا ما كان مشيدا بالجنادل منها . [2] ثم استقر ببعاعه وهو ثقله ، وما ثقل السحاب إلا ماؤه - فى صحراء الغبيط [3] فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . فكان بما نشر فيها من ضروب النبت وصنوف الأزهار كالتاجر اليمانى يحط رحاله فينشر من عيابه المثقلة أنواعا من الثياب مختلفة الألوان . ولليمن شهرة قديمة فى وشى الثياب وزخرفتها . وهذا تشبيه

---

(١) قطن : من قرى دمشق جنوبا والستار : جبل بأجأ من نجد غربا . ويذبل : جبل بنجد شرقا . وانما جعل منعقد السحاب آنفا فى الجنوب ومنحدر مائه هنا فى الشمال لأن ريح الجنوب قد أزجته الى الشمال حيث سح ، وكان حيث بدأ سحه ساقطا على مكانين ، وحيث انتهى ساقطا على واحد .

(٢) تيماء : بليدة فى طرف الشام جنوبا بينه وبين وادى القرى من الحجاز ، وهى إلى الغرب من مصب الغيث .

(٣) صحراء الغبيط : أرض لبنى يربوع غرب الكوفة ، فهى الى الشرق من نجد ، فكأن سيل المطر تناول نجدا غربا وشرقا .

بارع أمده خيال خصيب جعله ينطلق فى واد من التشبيهات أشرنا إليه قبل وذلك إذ يقول :

كأن ثبيرا فى عرانين وبله   كبير أناس فى بجاد مزمّل
كأن ذُرا رأس المُجَيمر غدوة   من السيل والغُثَاء فَلكة مغزل
كأن مَكاكىَّ الجِواء غُدَية   صُبِحن سُلافا من رحيق مُفَلفَل
كأن السباع فيه غرقى عشية   بأرجائه القصوى أنابيش عُنصل

وثبير : جبيل[١] قد انهالت عليه أوائل الوبل ، وهى عرانينه ؛ فبدلت من سواده بياضا ، وترا كمت عليه ترا كما . فصار بما أحاط به من ماء غزير ، وما ظهر من أعلاه بعيدا عن هذا الماء كالشيخ يتزمل بالمخطط من الثياب ، وهى البجد . وإنما جعله شيخا ليخاف البرد ويكثر التدثر ، وجعل الملابس بجدا ، لأن الماء لم يحط بالجبل خالصا وإنما حمل معه ما حمل من أنواع نبات علته وطفت عليه فكانت كخطوط هذا النوع من الثياب . أما المجيمر[٢] . — وهو جبيل أقل من ثبير شموخا — فقد أخذ الماء فى علوه وارتفاعه بخناق رأسه فاستدار حوله ، وغشاه بما حمل معه من غثاء أحاط به فكان كفلكة المغزل . وهذا تصوير بارع لحظ فيه امرؤ القيس ما ذكرنا . وتخير فلكة المغزل على غيرها — مما قد يصلح للتشبيه هنا — لصغرها ، حتى إذا ما ظهر رأس المجيمر بهذا الصغر أيضا كان ذلك أدل على عظمة السيل واستبحاره . وقد انبرى بعد هذين التصويرين إلى آخرين يفوقانهما تخيلا وإبداعا ، فأما الأول فهو تصويره المكاكى — وهى طيور صغيرة ذات صفير — إذ أخذ منها الفرح صبيحة هذا الغيث كل مأخذ ، فجعلت تكثر من الطيران ذاهبة جائية صاعدة هابطة ، وهى فى كل ذلك

(١) ثبير : جبيل قرب مكه   (٢) المجيمر : جبيل الى الشرق من مكة نحو مبهل ، وهى ديار تميم قبل أن ينحدروا شرقا .

تتشابك وتترامى وتكثر من الصفير والتغريد اجتلاء لهذا الأفق السمح، وتمتعا بتلك الطبيعة الصافية، كأنها قد سقيت الصفو من جيد الخمر صباحا فانتشت لذلك وزاد نشاطها. ثم كان ذلك الرحيق مفلفلا لخذى ألسنتها وأثر فيها فهى لذلك قد علا صوتها، وملأ الجو صياحها. وأما الثانى فهو تصويره ضوارى الوحوش. وقد وصل السيل فى ارتفاعه إلى أكنانها فطغى عليها وأغرقها، ثم احتملها معه غائرة الجسوم بادية الأطراف، فانتشرت بأرجائه وطغت عليه كالعرار، وهو البصل البرى يقتلعه السيل ويحمله وبأصوله آثار من الطين فهى عنده وتلك السباع سواء صغر مرأى وعدم كفاح. وما كان أدقه — قاتله الله — إذ اتخذ الغدوة لحركة المكاكى والعشية لطفو السباع، فإن أكثر ما تنشط الطير تنشط غدوة وصباحا، وأشد ما يبدو الاستسلام يبدو حيث تعدم المقاومة عشية ومساء.

هذا وما كان إبداع امرئ القيس فى وصف السحاب والغيث مقصورا على ماذكرنا من معلقته، فقد تناوله فى غيرها محسنا ومجيدا. وهذى رائيته يصف فيها ديمة بدأت متقطعة ثم اشتدت متتابعة، والديمة السحابة تمطر فى سكون دون أن ترى برقا أو تسمع رعدا. فاستمع إليه يقول:

ديمة هطلاء فيها وَطف طبَقُ الأرض تحرّى وتَدُر
فترى الودّ إذا ما أشجذت وتواريه إذا ما تعتكر
وترى الضب خفيفا ماهرا ثانيا برثنه ما ينعفر
وترى الشجراء فى ريقها كرءوس قطعت فيها خُمُرُ
ساعة ثم انتحاها وابل ساقط الأكناف واه منهمر
راح تمريه الصبا ثم انتحى فيه شُؤبوب جنوب منفجر
لَجّ حتى ضاق عن آذِيّه عَرْض خَيم فخُفاف فيُسر

فغنى أول ماعنى بوصفها فى ذاتها فجعلها هطلاء ذات ثقل فى سيرها،

وجعل فيها وطفا ، وهو التدلى والاسترخاء . والأمران لكثرة مائها . كما جعلها طبق الأرض لسعة امتدادها . ثم انتقل إلى درها فقال إنها تتحرى وتدر ، وفى التحرى تريث وقصد ، فإذا أشجذت ، أى أقلعت ، رايت الود ، وهو جبل بشرق نجد ، باديا . وإذا درت واسترسلت أخفته فى غبرتها واعتكارها . ولكنها مع هذا الإقلاع العارض لها تصعد بمائها من المطمئن إلى المرتفع ، حتى لترى الضباب على تعالى أجحارها ثانية أكفها للسباحة والعوم غير واجدة من الأرض المنكشفة مايعفر جسومها ، وحتى لترى الأشجار المجتمعة قد غمرت سيقانها فلم يبق باديا إلا أعاليها ، والغثاء من حولها كأنها رءوس قطعت وفيها خمرها . وكلا المعنيين لا يأتى به إلا غواص على المعانى ، ملاك للخيال هكذا دامت الديمة ساعة ثم تحولت فى الشدة إلى وابل سقطت أكناف سحابه فضعف ووهى وانهمر ماؤه . وما أدق مسلكه فى تصوير هذا الضعف فيه إذ يقول : إن ريح الصبا راحت تمريه وتمسحه لتستدر ماءه ، كما يفعل الحالب المبس ، حتى إذا ما هبط الماء إلى أسافله كما يتنزل اللبن إلى الضرع تعهده شؤبوب جنوب منفجر ، فما زال يلج فى انفجاره حتى ضاق عن موجه عرض هذه الأماكن الثلاثة التى ذكر على عظم رحابها ، واتساع أرجائها (١) .

فتلك مقطعة من غير المعلقة ، وعلى ما فيها وفى المعلقة كان ينسج امرؤ القيس فى وصف السحاب والغيث . وإنا لنرانا وقد أتينا على الأغراض الثلاثة التى انتحاها للوصف فى حياته الأولى بالمعلقة وغير المعلقة مضطرين أن نعرض لما بقى فى المعلقة من وصف الليل ، حتى نكون قد أتينا على ما فيها جميعها ، وبخاصة إذ لم يطرقه فى غيرها ، ولذا ضممناه إلى الغيث

(١) هى خيم بين المدينة وديار غطفان بقرب نجد . وخفاف : مياه كلاب بحمى ضرية وهى أرض العالية ثم يسر وهو ماء لبنى يربوع بالدهناء شرق نجد .

حين عنونا ، وهو وصف ممتع بارع ، ومع أنه لم يصل بأبياته بعض القدر الذى وصله فى كل من أغراضها فقد بلغ فيه المبلغ الذى لا يجارى ، والذى عده الشعراء مثالا يحتذى ، ومع ذلك لم يصلوا ولم يقاربوا .

قال — وقد أحسن وضعه وصلته بين الانتهاء من الربيب ، ولا يكون إلا عتمة وعشاء ، والنهوض إلى الصيد ولا يتسنى إلا بكرة وصباحا — :

وليل كموج البحر أرخى سدوله   علىّ بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه   وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى   بصبح وما الإصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه   بكل مُغار الفتل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت فى مَصامها   بأمراس كَتان إلى صم جندل

فجعله فى شدة وطأته وإرخاء سدوله كموج البحر فى تلاحقه وشدة إطباقه ، وجعله فى امتداده وطوله كالجمل ينوء بكلكله وقد تمطى بصلبه وأردف أعجازه ، ثم يناديه أن ينجلى ، وإن بقى فى الصبح همه ، وإذ لم يجب يعجب لعدم انقضائه كأن نجومه قد شدت بالمتين من الحبال فى جبل يذبل . وكأن ثرياه ، وقد أمسكت عن الحركة وصامت ، علقت بأمراس كتان فى صم جندل . وهذا فتح جديد فتحه فولجه الشعراء من بعده ، ولكنهم كانوا على ماذكرنا من قصور . قال نابغة بنى ذبيان يحاول أن يصف الليل كما وصف :

كلينى لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطىء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض   وليس الذى يرعى النجوم بآئب
وصدر أراح الليل عازب همه   تضاعف فيه الحزن من كل جانب

فلم يزل لامرىء القيس الفضل عليه . ذلك بأنه جعل الليل ثابت الكواكب بآيات ساقها ، وشواهد ذكرها ، من شد نجومه وثرياه بمتين

الجبال ، فى الصخور والجبال ؛ فى حين جعله النابغة بطيئا فحسب . ولن يشفع له فى هذا البطء قوله « حتى قلت ليس بمنقض » لأن القول هنا لا يعدو مرتبة الظن إلى اليقين ، والاتظاعن والبطء الذى لا يقبل ما يقبله القول من تأويل . ثم فضله أيضا بأنه إذ طلب من الليل انجلاءه لم يطلب ذلك ليخلو من الهم نهاره ، فهو دائما مهموم ، وهما عنده فى الهم سيان . وهذا إذ يقول : « وما الإصباح منك بامثل » ولكن النابغة أخلى النهار من الهم من حيث جعل الليل مريحا للغائب من الهموم حيث يقول : « وصدر أراح الليل عازب همه » وإنما طلب امرؤ القيس انجلاء الليل وإن بقى له الهم نهارا للسبب الذى عرفه عنه الطرماح وزاد فيه مازاد إذ يقول من إيضاح :

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح ... بيوم وما الإصباح منك بأروح
بلى إن للعينين فى الصبح راحة ... لطرحهما طرفيهما كل مطرح

فبهذا وأمثاله كان امرؤ القيس ولا يزال المرجع الأول للشعراء ، لا يزالون به يستعيذون ومنه يقبسون ، كما سنوضح ذلك فى فضله على الشعراء بعد . ولكن ذكر الليل على أن لا رجعة لنا إليه كما قلنا من قبل حبب إلينا إجراء هذه الموازنة بينه وبين النابغة فيه ، وبه أتممنا القول فى أوصافه قبل مقتل أبيه فانتظمت المعلقة كلها ، وتناولت ما تلاءم وإياها من سائر ما قال . وموعدنا العدد التالى فيما عالج من أوصاف بعد هذا الحادث الجليل ، وإلى الملتقى إن شاء الله .

العقل العربى بين عهدين
قبل الإسلام وبعده

بقلم عبد اللطيف المغربى
المدرس بمعهد التربية للبنات

١

تمهيد

ترى طائرين ، أحدهما درج فى بيئة تجهم لهـا الحظ ، وسطا عليها الـكثير من مظاهر الجدب ، فتلفيه أعجف هزيلا ، بادى الضر أربد اللون بكىء الصوت طويل الصمت ، كأنما نفضت عليه بيئته ما فيها من جفاف وكدرة ، ونفثت فيه ما ضمنته من سكون ورهبة ، فهو صورة لها ناطقة ، وسمة من سماتها ماثلة .

والآخر نما فى بيئة خصبة مزهرة ضاحكة مستبشرة ، حباها الله بما شاء من دوح باسق وزهر ناضر ، وظل ندى وماء روى ، وحب نثير وثمر وفير . فتلمحه مرحا طروبا يختال فى بردة منمقة دبجتها يد القـدرة بألوان زاهية ، توائم روح البيئة وتعتصم بمالهـا من خصائص ، وتراه ينصت فى رفق ودعة الى وحى جمالها الساحر ، فيجمع منه ماشاء فى نفسه الصافية ، ويرسله لحنا عذبا جذابا ، يقيد الأسماع ويستهوى الألبـاب ، فاذا بك من صورته وصوته فى غفوة من الأحلام الرائعة ، وجلوة من الأمانى الوادعة .

وانظر أعزك الله كيف أقللت فى وصف الأول ، لضن بيئته بالسمح من القول ، وأطلت فى الثانى ، لخصب بيئته وجودها بما رجوت من

وصف ، وهذا يشعرك بما بين البيئتين من تباين .

اذا بلوتَ هذا الذى قلتُه ، وقدرتَ له أثره ، استطعت أن تشرف معى على العصرين الجاهلى والإسلامى ، وتتخطى رقاب الأيام حتى تلمس أثرهما فى العقل العربى . وإنا لموغلون بك على ضوء هذه التقدمة فى سبيلهما حتى نوافى مارسمنا من غاية .

العصر الجاهلى

أقام العرب فى هذا العصر فى صحراء واسعة الأطراف ، سرت فيها عوامل الجدب فقبضت عنهم الكثير من متع الحياة وزهرتها ، فليس لهم من الطعام إلا ما يحفظ عليهم حشاشة النفس ، من ألبان الغنم والإبل والتمر ، فعاشوا فى ظل القناعة لم تثِرهم عوامل الطمع ، ولم يدفعهم إلى ماوراء ذلك استشراف حتى صح لقائلهم أن يقول :

وما العيش إلا نَوْمة وتبطّح وتمر على رأس النخيل وماء

وليس لهم من جمال هذا الوجود إلا ما تطالعهم به صحراؤهم من رياح عاتية ، وشمس زاهية ونهار أبلج وليل أليل ، تنبعث من جوانبه أضواء نجوم صافية ، تتلألأ فى قبة السماء كأنها عيون من ذوب اللجين تتدفق ، واتساع مدى كأنه صفحة الأزل ، أو منفسح الأمل ، وطير سانح ووحش نافر وأوهام وأمانىّ يثيرها ما اشتملت عليه هذه المظاهر من سحر فياض ، وجلال رائع .

وللحياة الصحارى أسرار لا يفقهها الا من تعرّف إليها ، وترفق فى الاندماج فيها ، حتى توحى إليه بخبيئها ، وتشافهه بمكنونها :

إن الذى حرُم الصحارى منظرا ألقى عليها للجلال شعارا
روحيّة صدفت عن الدنيا وما فيها وأضحت للشعور مشارا

هذه الحياة المحدودة أفاضت على العقل العربى صورا وألوانا ، هى أشبه بها : من شعور قوى وافق ، وعاطفة جياشة متقدمة ، ونظرة سَمْحة مواتية قريبة الغور ، لاتتغلغل فى استقصاء ولا تعليل ولا تفريع ولا قياس ، ولا تهيم بصنعة ولا زخرف. ولا تعرف مواربة ولا مداجاة.

على هذا المنهج طفق العقل العربى فى العصر الجاهلى يعمل فى رفق وهوادة ، ويستمد حياته من الفطرة وعفو الخاطر وقوة الشعور ، التى تملكت العرب فكانت أكبر مظهر من مظاهر حياتهم . وأحفل منبع يفيض منه الشعر العربى إذ ذاك . وظلت هذه القوة صاحبة السلطان فى تصريف حياتهم ، وأظهر ما تتجلى قوية حادة فى مواقف الفروسية ، ومجالس السطوة وميادين الغلبة ، فتدفعهم إلى الحروب زرافات ووحدانا ، وتؤرث نارها بينهم . فتثير كوامن الأحقاد والضغائن منهم ، فاذا الحرب قائمة على ساقها تعركهم عركا ، وتبيد جموعهم ، حتى إذا عم الخطب وطمّ الأمر ، تنادى الخطباء وتصايح الشعراء بالدعوة إلى حقن الدماء وحفظها فى أهبها ، بأقوال مؤثرة تلمس من الثائرين مواطن الإحساس ، فإذا النفوس عائدة إلى رشدها ، والسيوف قارة فى أغمادها ، ووجوه الخيل منصرفة إلى مرابطها ، والألوية مطوية ، والعهود مرعية .

وهكذا حياة الشعور فى أمم الصحارى والوهاد والنجاد ، تتغنى بالفروسية وتتمدح بمظاهر البطولة . وترى للإغريق فى هذا السبيل شبها بالعرب ، فالحروب كانت بينهم فى العصور الأولى مظهرا كبيرا من مظاهر حياتهم ، وفى ألعابهم الأولمبية مجال واسع لتمجيد البطولة. وشاعرهم الأكبر هو ميروس صاغ إلياذته العظيمة تخليد الحياة أبطالهم ، والتغنى بمآثرهم فى حروب تروادة الشهيرة ، ولتشابه شبهى الجزيرتين الإغريقى والعربى تشابه قُطّانهما فى قوة الخيال وسموه ، وتدفق الشعور وتلهبه .

ولهذا غبر العصر الجاهلى وجل آثاره وليد العاطفة والشعور والفطرة ولم يظهر للعقل العربى فيه مظهر رائع من فلسفة أو تشريع اجتماعى أو نواح فلسفية عظيمة إلا ما جاء عفوا من خلجات نفسية تتراءى فى حكمة أو مثل فى أقوال زهير وأكثم بن صيفى وقسّ بن ساعدة الإيادى ومن إليهم .

العصر الإسلامى

ثم أشرقت شمس الاسلام فى هذا الأفق وضاءة باسمة على مواطن الفطرة والشعور ، فأثارت دهشة وعجبا ووقف الناس حيالها مضطربين حيارى ، وتواقعوا بين عاملين : ماض له عاداته وتقاليدة فالنفوس بفراقه ضنينة ، ومستقبل يبهرها بسره وروعته فهى منة خائفة وجلة . ولكن سرعان ماشق الاسلام طريقه إلى هذه النفوس الصافية ، فامتزج منها بالفطرة المواتية فأنبتت شكولا من التعقل بهرت بجلالها وصدقها وسموها الانسانية ، ودوّت فى أذن الوجود ، فكانت خير ما انعقد عليه رجاؤه وتكشفت عنه آماله ، وكذا التربة الكريمة إذا خالطها الماء العذب اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .

وكان رافع لواء النهضة العربية الحديثة فخر الوجود ومبعث الهداية ، ومشرق الحكمة ومنار الرحمة ومعين الفيض الإلهى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقد أرسل صوت الحق مدوّيا فى أرجاء الجزيرة العربية ، فتهاوت لرهبته الأصنام ، وسطعت شمس الهداية فى الجزيرة العربية رفيقة وديعة ، فانقشعت بها الخرافات والأوهام . ومشى جلال الاسلام إلى النفوس فطهرها ، وإلى العصبية فأذابها ، وإلى الأحقاد فمحاها ، فاذا القلوب فى ساحاته متضامة ، والأيدى بعهوده متصافحة ، والنفوس فى حبه متفانية ، والعقول فى أفقه متسامية .

خالطت هذه التعاليم الجديدة الرائعة التى جاء بها الاسلام ، أسمى قوة من العرب وهى قوة الشعور التى غلبت عليهم ، وامتزجت بها فكبحت جماحها وخففت من حدتها ، واتجهت بها نحو العقل المتئد الرزين الناظر إلى الأشياء بحكمها لا بصورها ، وبعللها لا بنتائجها ، فخطا العقل العربى خطوة تدهش كل باحث .

وكان أول الميادين التى جرى فيها العقل العربى إلى أبعد غاياته الميدان الدينى ، وهذا أمر منظور أن يكون لما للدين القويم من أثر فى نفوس المسلمين ، ولأنه عماد هذه النهضة المباركة التى أدالت الأيام بها من الفرس والروم للعرب ، ومكنت لهم فى مناحى الأرض وأذاعت فضل العرب على الانسانية فى مسامع الدنيا .

سلامى على تلك الخلائق إنها مسلمة من كل عار ومأثم

ولا تكاد تدنو من التاريخ حتى يملأ أذنيك صوت الثناء على فحول الفقهاء ، وقادة الشرع وحفظة الدين . وتستعرض صورا من ثمرات قرائحهم فاذا بك فى عالم يزخر بالفضل والنبل والذكاء والاخلاص . واذا رجعت لتطبيق ذلك على المقدرة الانسانية هالك الأمر وأعوزك الرأى وأعجزك السر . ولا تجد أمامك آنئذ إلا أن هذا نفحة الهية خص الله بها رجال دينه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولو ذهبنا نسرد عليك أسماء هؤلاء الأبطال من الفقهاء الذين خدموا الاسلام ، وسموا بالعقل العربى فى حكمة التشريع إلى منزلة تنحسر دونها الأبصار ، وتتخاذل قبل بلوغها العزائم والآمال ، لأعيانا الاستقراء ، وعز علينا المنال ، ولكننا نذكرك منهم ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، بعبد الله بن عباس وابن مسعود والحسن البصرى والأئمة الكرام مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل ومحمد

وأبي يوسف مقرري مذهب أبي حنيفة وغيرهم ، وكل واحد من هؤلاء أمة بذاته ، ولفقهاء المذاهب مناظرات وجدل بلغا قمة التفوق والنبوغ ، واستوليا على أمد السبق وسطرا لهذه العقول الخالدة بآثارها سطور المجد نيرة على صفحات التاريخ .

ونريد أن نعرج بالقارئ الكريم على حياة قد تشعبت من الناحية الدينية ، وهي حياة الفرق الاسلامية من المعتزلة والجبرية وأهل السنة وغيرهم ، وهنا تفجؤنا حياة هائلة ترتاع منها القلوب ، وترى العقل العربي فيها قد طغا وتجبر وأخذ بضروب من الجدل والمناظرة إن أثارت أسفك حيناً بموضوعها ، فهي حرية أن تثير إعجابك بما فيها من قوة جدل وحسن منطق وحاضر بديهة وشدة صولة ، وأصبح الخلاف بين هذه الفرق معترك نضال تتواثب فيه العقول ، وتتجمع فيه القروم شاكية السلاح ، فعجت الحياة الاسلامية في بغداد والكوفة والبصرة وفارس والمغرب والشام ومصر بأصوات هذه الفرق ، ومشى صائح الفرقة في الرأي بينها ، وعقدت مجالس الجدل في دور الخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء للنضال والمغالبة حتى ساءت الحال وعمت الفتن ، واندس بين هذه الفرق كثير من الدساسين وشذاذ الآفاق ومحبي الكيد للاسلام ، فساقوا إليه أقوالا وشبها وأضاليل ونزعات من عقائدهم القديمة يرومون بها أن يشوهوا من جماله ويغضوا من جلاله . ويفسدوا على أهله أمرهم ولكن هذا الدين الالهي المتين صد كل ماهو دخيل ليس منه صدا عنيفا ورمى به في هوة الضياع . وانتفض انتفاضة الظافر الموفق ، فسلم من هذه الفتن ومضى في سبيله مشرقا وضاء . وقد تركت هذه الفرق تراثا عقليا هائلا ، وهو على مافيه من غث وسمين ذخيرة تفخر بها العربية ، وتعتز

بمـا فيها من صور عقلية عميقة لا ترى لها فى كثرتها وقوتها نظيراً فى الأمم الأخرى .

ونشرف على النهضة اللغوية فنراها تسامى الناحية الدينية ، بوفرة رجالها وصدقهم فى خدمة اللغة وحسن الولاء لها والحدب عليها ، فترى رجال النحو وقد اكتظت بهم الكوفة والبصرة وبغداد وبلاد فارس والشام ومصر ، وقد تواتروا طبقات كل منها يبنى ويزيد على من سبقه حتى بوبوا النحو وأكملوا ، وقوموا أسبابه وعلله وأتوا فى ذلك بمـا يعد فى عالم التفكير فتحاً مبيناً وتوفيقاً يفوق كل أمل وتقدير ، ولا نحب أن نمر بك دون أن نشير إلى بعض زعمائهم العظام كالخليل بن احمد الفراهيدى سيد رجال اللغة وعالمهم الفذ ، وواضع نواة المعاجم العربية بطريقة تشهد له بالذكاء النادر ، وواضع علم العروض ومستنبط دوائره على نظام عجيب ، وهيهات أن نجد من القول ما نوفيه به حقه ، ويكفى لبيان قدره أن يقول فيـه بعض العلماء « إنه لا يجوز على الصراط بعد الأنبياء عليهم السلام أحد أدق ذهنا من الخليل » ونذكر بعده من رجال العقول الفذة فى النحو سيبويه تلميذه وحافظ تراثه ، ثم الأخفشين والكسائى والفراء وغيرهم .

ومن رجال اللغة العاملين على حفظ غريبها ومأثورها وأشعارها أبو عمرو بن العلاء والأصمعى وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصارى وأمثالهم ممن امتازوا برجاحة العقل وقوة الحفظ كحماد الراوية ، ولقد أدى هؤلاء العلماء الأمانة وصدقوا النية وتفانوا فى أداء واجبهم ، حتى أقاموا للغة حصونها ورفعوا منارها ، وراحوا إلى الله بجباه ناضرة .

بهذه العجالة السريعة واللمحة الطارئة ، أصور العقل العربى فى بعض

مناحيه ، ولا أكتم القارئ أنى اقتضبت فيها القول اقتضابا ، وأشرت فيهـا إلى مظاهر العظمة للعقل العربى إشارة ، ولو أننى رمت أن ألج كل ناحية على ما ينبغى لهـا من الحق والنصفة ، لندّ بى الأمر عن الغاية ولاحتملت من النصب مالى باحتماله يدان ، ولـكنى أردت بهذا أن أنشر صفحة يسيرة من تاريخ الآباء والأجداد ، فيعتز بهم الناشئون ويعلموا أن ماضى أسلافهم يفيض قوة ومجداً وعزا ، وأنه جدير بالبحث والتنقيب

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وفى المقال الآتى سنعرض بحول الله لمظاهر العقل العربى فى الأدب وهو بحث طريف أرجو أن تكون له متعته ولذاذته — وإلى الملتقى .

واجب الحكومة المصرية فى إنهاض اللغة العربية

بقلم حضرة صاحب العزة محمد احمد جاد المولى بك
المفتش بوزارة المعارف

والأستاذ محمد عبد الرءوف بهنسى
المدرس بمدرسة المعلمين الأولية بطنطا

١ – الحكومة الوطنية الرشيدة القوية هى بضعة من صميم قلب الأمة، تسترشد فى سيرها بسديد رأى الأمة، وتستمد قوتها من عظيم سلطانها، ولذلك تشعر بشعورها وتحس إحساسها، فتبذل غاية الوسع فى حفظ كيانها، وتستفرغ نهاية الجهد فى رفعة شأنها؛ إذ يعمل أعضاؤها على صون كرامتهم، وما كرامتهم إلا من كرامة أمتهم، ولا كرامة لأمتهم إلا بقيام رابطة وحدتها، ورابطة وحدتها هى اللغة. فأعضاء هذه الحكومة خير مظهر، وأحسن أسوة فى التمسك بلغة البلاد والعمل على إنهاضها، فلا يبيحون العمل فى دواوينهم إلا لمن كان على بصيرة بها. ولا يقبلون من مرءوسيهم أن يتظلموا أو ينشئوا بسواها، ثم هم يشجعون المجيدين بالعلاوات والدرجات ليبعثهم ذلك على الفوْق فيها باستدامة البحث فى أسرارها، وتُستنهض همم المقصرين. ويحيا نشاطهم وأملهم.

وقد كان أمراء المسلمين فيما سلف يعاقبون من يحيد عن القصد فى اللغة، ويرفعون منزلة المبرزين من الكتاب إلى مرتبة الوزارة فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يضرب أولاده على اللحن، وكتب مرة إلى أبى موسى الأشعرى يأمره بأن يضرب كاتبه بالسوط لأنه لحن فى كتاب أرسله إليه.

وأرسل أحد عمال السيدة زبيدة كتابا إليها فقال لها فيه « وأدام

كرامتك » فردته اليه قائلة : « أردت ان تدعو لنا فدعوت علينا ؛ أصلح خطأك وإلا صرفناك عن جميع أعمالك » فأخذ العامل كتابه مع الدهشة وتأمل ليتعرف خطأه ، فلم يهتد اليه ، فعرضه على بعض حذاق الكتاب ، فأرشده إلى أن قوله : « وأدام كرامتك » دعاء عليها لا لها ؛ لما يروى من أن « دفن البنات من المكرمات » فأصلح العامل خطأه ، وأرجع اليها الكتاب ، فكتبت إليه : « أحسنت ولا تعد ».

ودخل المأمون يوما بيت الديوان ، فرأى غلاما صغيرا على أذنه قلم ، فقال له : « من أنت ؟ » قال : « أنا الناشىء فى دولتك ، المتقلب فى نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، الحسن بن رجاء ؛ فقال المأمون : « بالاحسان فى البديهة تفاضلت العقول ، ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته » وكذلك كان أجلاء العلماء يرفعون منزلة من يجيد العربية بقدر ما يغضون من شأن من يجهلها . فقد روى أن الامام الشافعى – رضى الله عنه – كان يوما فى الدرس فقدم عليه شيخ أشيب ذو لحية طويلة فهابه وأجله ، واشتدت حَيْطته فى جلسته ، كما عُظم حذره فى عبارته ، حتى لا يأخذ عليه ذلك الشيخ شيئا فيهما ، واستمر على ذلك الشافعى ثلاثة أيام والشيخ يحضر الدرس ، ولا يتكلم ولا يسأل فبدا للإمام أن يختبر عقله وعلمه ، فقال له : هل هذا الشرح كاف ؟ فقال (يُكفى يُكفى) بضم الياء ، فضحك الامام وقال : آن للشافعى أن يمد رجله .

والتاريخ طافح بالأمثلة التى تدل على مبلغ عناية أولى الأمر والعلماء باللغة ، ومقدار حرصهم عليها ، وتمسكهم بها والكتابة الديوانية فى عهدنا هذا وإن كانت أرقى من فترات سبقتها ، لا تزال فى حاجة شديدة إلى عناية من الحكومة تتجلى فيما يأتى :

(١) فى تمسك الوزراء بها ، وعدم عدولهم عنها بسبب وبغير سبب فى الشئون الرسمية وغير الرسمية .

(٢) يجب أن يكون فى كل ديوان أو فرع من ديوان فى القاهرة أو فى القاهرة أو فى الأقاليم طائفة من رجال اللغة العربية تعرض عليهم جميع المكاتبات ليصححوا ألفاظها، ويسددوا تراكيبها، ويقوّموا أساليبها.

(٣) وأن يُعين العدد المناسب من رجال الدين واللغة فى لجنة مراقبة المطبوعات حتى لا يبرز إلى الوجود كتاب أو مجلة أو صحيفة أو رواية، أو قطعة غنائية أو إعلان إلا بعد أن يخبره رجال الدين واللغة. نعم إن بعض الصحف والمجلات تعنى باللغة عناية محمودة، وتقوم بواجبها من هذه الناحية على وجه يذكر فيشكر، وزيادة فى كمال هذه الرسالة المحمودة نرغب إليها فى أن تستعين برجال اللغة، وترصد منهم من يراجع الصحيفة قبل طبعها، ونعتقد أن الصحف والمجلات المحترمة تسير على ذلك منذ زمن بعيد، فلعل بقيتها تحذو حذوها وتنحو نحوها.

ويجب أن يعطى هؤلاء الرجال المعينون فى مراقبة المطبوعات حق مراقبة دور الذياعة والتمثيل والخيالة، حتى لا يذاع أو يمثل أو يخيل ما يفسد الأخلاق واللغة.

(٤) تقيم الحكومة من رجال اللغة والدين أو تكلف الموجود منهم فى دواوينها أو فى مراقبة المطبوعات من يلقى فى المذياع الحين بعد الحين دروساً فى الأخطاء الخلقية واللغوية الفاشية والإرشاد إلى وسيلة تسديدها كما يراقبون ما يلقى فيه من الناحيتين الخلقية واللغوية.

(٥) إن حرمة الأمة وكرامة الدولة يحتمان أن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى المؤتمرات التى تعقد فى مصر، إذ لا ترضى دولة عندها كرامة قومية أن تعقد فى بلادها مؤتمرات وتدور بحوث بلغة أجنبية، مع كفاية لغتها، وعظيم مقدرتها على التعبير عن كل ما يجول فى الضمير وإذا قيل: إن للمؤتمرت والمفاوضات لغة رسمية دولية فالواجب أن تلقى الخطب وتدور البحوث بلغة البلاد أولا ثم تترجم إلى تلك اللغة الرسمية بعد ذلك.

هزيمـــة شاعر

بقلم على شرف الدين

خريج دار العلوم والمدرس بمدرسة تحضيرية عبد العزيز

وسـائـلة ما بال عودك ذوايا وعود الشباب الناشـئين وريقُ
وما بال هـذا الوجه أغـبر شاحبًا وكم رفّ فيـــه لمعـة وبريق
وما بال هذا الشعر تهجر قرضه وشعرك مصقول الخيـال رقيق
على رسلهـا لم تدر أن جوانحى رعتهن نار للأسى وحريق
وعيشك لم أهجره طوعا وإننى إلى الشعر فيـاض الحنين مشوق
وما كان لى أن أهجر الشعر بعدما جرى فى دمائي واحتوته عروق
ولكنه يأس ألمّ فعـاقنى وحزن بأطراف الفؤاد عميق
لحا الله أيام (الوظيفـة) إنهـا تـكلفنى ضيماً ولست أطيق
نزلت بهـا غصنًا ألحَّ به الضنى وإنى بغصن ناضر لخليق
أريد ـ وربى ـ هجرها كل ساعة فيدفعنى كرها أبٌ وشقيق
دفنت بهـا الآمال وهى عرائس عليهن من طيب الحيـاة خـلوق
رثى لمصـابى كل من يعرفوننى ورق لحـالى كاشح وصـديق
بذرت الأمانى وارتقبت لعارض من المزن يحـدو ماءهن بروق

ومازلت أرعى الغيث يشهد وقفتى غروب شموس قد مضت وشروق
فاما بدا خلف السحاب رويتها بأمواه جفن لونهن عقيق
على كبدى مما أكنّ من الأسى أخاديد تفرى لحمها وشقوق
وما عادتى الشكوى ولكن جانبى بما ضمّ من شجو الحياة يضيق
إذا ما مضى ضوء النهار بهمة خرجت وإنى ناقم وحنيق
أسير بطول الأرض والعرض هائما فكل نجاج فى الوجود طريق
وأقطع هذا الليل سهران موجعا وجفنى فى فيض الدموع غريق
وأذكر حظى والأسى يصدع الحشا فأذهل حزنا تارة وأفيق
ألا أيها الشبان ممن تضمهم فواجع دهر إنى لرفيق
هاموا سراعا وادخلوا تحت رايتى فلى نسب فى المخفقين عريق
ألم يأن أن يبكى الغمام لشاعر قوافيه ريًّا صوغهنّ أنيق
إذا ماشدا أرخى أخو الدوح سجعه وكفكف بهراً خمره الإبريق
منمنمة أطراف شطريه زانها أقاحى روض باسم وشقيق
ولاعيب فى شعرى سوى أن نسجه وضىء حواشى الصفحتين رقيق

☆☆☆

رفيق الصبا من ريف (دمياط) عزّني فإنى بتقديم العزاء حقيق
أعد ملعب الصبيان وادع جموعهم فإنى إلى العهد القديم أتوق
حننت لأيام الطفولة إنها رخاء وأيام الشبيبة ضيق

وما مصر إلا تربة تمسك الغضا وتلفظ عود الرند وهو وريق
وتحبس عن أغصانها كل بلبل وأما غراب البين فهو طليق
ويشقى أخو الدين الحنيف بنارها وينعم فى فردوسها الزنديق
وحظ الذكى العبقرى معفَّر وحظ غبى عندها مموموق
فلن يبلغ الآمال إلا منافق ووجه ثخين الوجنتين صفيق
فياقلب صبرا إن فجعت فإنه شرابا حياة حنظل ورحيق
وإن انبلاج الصبح يعقب ظلمة ويكدر عيش مرة ويروق

السر[1]

أو

الشاعر فى وادى الموتى

بقلم سيد قطب
المدرس بالمدارس الأميرية

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيرًا على وادى الموتى فى أوقات مختلفة ، أكثر ما تكون عند مغرب الشمس وقبل طلوعها .

وهو يجد فى هـذه الزيارات لذة غريبة ، كما يجد مجالا لتأملات غير محدودة ، ولكنها تثير فيه الشوق لمعاودتها كرة أخرى .

وفى مرة منذ ستة أعوام ؛ أرق فى الهزيع الثانى ، فجال بخاطره أن يلجأ إلى حمى الموتى ، مدفوعا بشعور غامض ، لا يبالى وحشة مثل هـذه الأماكن ، فى جنح الليل المدلهم .

وسار خطوات ، ولكنه أحس بالرهبة ؛ وساوره الوجل ، وشعر كأن أصواتاً من وراء الحفائر تتناجى ، ثم توجه إليه الخطاب .

ليس للشعر يد فى هذا التصوير ؛ فهو الحقيقة التى أحسها ، كما يسمع الصوت ، وكما ينظر المرئيات .

---

(١) إحدى قصائد (الشاطىء المجهول) وهو ديوان الشاعر . الذى صدر فى أول يوم فى العيد

وقد عاد صامتًا واجمًا ، وبعد أن ذهب عنه الروع ، حاول أن يفسر عن طريق « الوعى والتأمل » ما دفعه لهـذه الرحـلة ، وما شعر به فى أعماق نفسه .

ولقد ظل يعجز عن ذلك ، كلما حاوله ؛ مـدى ستة أعوام ، حتى استطاع فى هذا العام ، أن يترجم هذا الشعور شعرًا ؛ بعد أن فقد كثيراً من روعته ، ووصل إلى الدرجة ، التى يستطاع التعبير عنها .

***

مَن الطارقُ السّارى خلال المقابر ... كخفقة روح فى الدُّجُنّات عابر ؟
مَن الوَجِلُ المذعورُ فى وحشة الدجى ... تقلّبه الأوهام فى كل خاطر ؟
ينقِّل فى تلك الدياجـير خَطْوَهُ ... ويخطر فى همسٍ كهمسِ المُحاذر
وقد سكنتْ من حولِه كلُّ نَأْمة ... سوى قلبه الخفّاق بين الدياجر
وغشّاه رَوْعُ [الموت[1]] والموت روعة ... تُغَشِّى ، فيعنوا كل نِكْسٍ وقادر

***

هو الشاعرُ الملهوفُ للحق والهدى ... وللسرّ لم يكشفه ضوءٌ لناظر
تحيّر فى سرّ الحياة وما اهتدى ... إليه ولم يقنـع بتلك الظواهر
وساءل عنه الكونَ ، والكونُ حائر ... يسير كمعصوب بأيدى المقـادر
وساءل عنه الموتَ والموتُ سادر ... وساءل عنه الشعرَ فى حنق ثائر
وساءل عنه كلَّ شىء فـلم يفز ... بشىء ولم يرجـع بصفقـة ظافر

***

(١) لعل الشاعر قد أنسى هذه الكلمة فزدناها لسلامة الوزن والمعنى (المجلة) .

أفى هذه الأجداث طِلَّسْمُ سِرِّه ؟ لعل ، فمن يدرى بسر المقابر ؟ !
ألم يخلع الموتى الأحابيلَ كلَّها أحابيلَ أوهام الحياة الجوائر ؟
ألم يتركوا الدنيا الغَرورَ لأهلها ويستوثقوا ممّا وراء المصائر ؟
ألا تهمسُ الأرواحُ بالسر إن سَرَى إليها ألا تُهدى اليقينَ لحائر ؟
أجل ، ربما تُعطى الجواب لسائل وربّتما تجلو المصير لشاعر

***

وفيما يناجى فى حمى الصمت نفسَه تسمّعَ همساً من خلال الحفائر :
« من الطارقُ السّاري خلال المقابر فأقلق منا كلَّ غافٍ وساهر ؟ »
« أما يقنع الأحياء بالرحب كله أياويح للأحياء صرعى المظاهر ! »
« تركنا لهم دنياهمُ وديارهم ولم يدعونا فى حمًى غيرِ عامر ! »

***

وقال فتى منهم حديثٌ قدومُه بنغمةِ إشفاق ونبرة ساخر :
« لعل الذى قد دبّ فى ذلك الحمى وأيقظ فى أحشائه كل سادر »
« أخو صبوة يهفو إلى قبر ميتةٍ له عنده وجد ، وتحنان ذاكر »
« يُقَرِّبُه منها التذكر والهوى وتبعده عنها غِلاظ الستائر »
« وما أخدعَ الحبّ الذى فى ديارهم يُغشّى على أبصارهم والبصائر »

***

وقالت لهم أمٌّ وفى صوتها أسًى ونبرةُ تحنانٍ وكتمانُ صابر :
« ألا ربَّما كانت ثكولا حزينة على فلذةٍ من قلبها المتناثر »
« وربّما كانت عجوزاً تأَيَّمتْ وضاقت بدهر ناضب العَوْن غادر »

***

وقد ذهبوا فى حَدْسِهم كلَّ مذهب ... وفيما حوَتْهُ نفسه من مشاعر
فجلجل صوت من مُسِنٍّ كأنما ... هو الدهر فى صوتٍ من الرَّوْعِ ظاهر:
« من الطارق السارى خلال المقابر ... فأقلق منا كل غاف وساهر ؟ »

***

فقال أخو الأحياء والقلب خافق ... مِنَ الوَجَلِ الأخّاذ فى صوت حاسر:
« أنا الحىُّ لمّا يدر أسبابَ خلقه ... أنا المدلج الحيران بين الخواطر »
« دلفتُ إلى وادى المنـايا لعلني ... أفوز بسرٍّ فى حناياه غائر »
« أما تعلمون السرَّ فى خَلْقِ عالَمٍ ... يموت ويحيا بين حين وآخر ؟ »
« وتكنفه الأحداثُ من كل جانب ... ويركب للغايات شتّى المخاطر »
« وليس له من غاية غير أنه ... مسوقٌ إلى تحقيق رغبة قاهر »
« ضنينٍ بمـا يبغيه ليس يُبيحه ... لسائله عمـا وراء الظواهر »
« وماذا لقيتم بعد ما قد خلعتمُ ... قيودَ الليالى الخادعات المواكر ؟ »
« وماذا وراء الغيب والغيبُ مُطبَق ... وهل يتجلّى مرة للنواظر ؟ »
« سؤال أخى شوق وقد طال شوقه ... وحيرته بين الشكوك الكوافر »

***

أرَيْتَ لَوَ أنّ الهولَ صُوِّر منظراً ... تجاله الأخطارُ جدّ غوامر ؟
كذلك ساد الصمتُ بين الحفائر ... ورانَ على أرواحهم والضمائر
وأذهل هاتيك النفوسَ تخفَّضت ... من البُهر والإعياء دقّات طافر
وجلجل صوت الشيخ دوّى كأنه ... يحدّث من كونٍ قصىّ المعابر :
« أياويلها تلك الحيـاةُ وأهلُها ... تُـكشِّفُ عن بلوائها كلَّ ساتر »

« وتطلبُ أسبابَ الشقاء لنفسها فتضرب فى تيه من الشك غامر »
« وتسأل عن سرٍّ وليست بحاجة إلى السر تشريه بأنْفَس حاضر »
« لقد أغمض الموتُ الرحيمُ جفوننَا وهدّأ فى أفكارنا كل نافر »
« نسينا سؤالا لم يزل كل كائن يردده حيرانَ فى حَزْر حازر »
« نسيناه فارتحنا من الحيرة التى خسرنا بها الأعمار جِدّ نواضر »
« وهأنت ذا تُذْكيه . ياللك جائراً ويالك مخدوعاً بسر المقابر ! »
« وهانحن ودَّعْنا هدوءا وهيْنةً شريناهما بالعمر ، يا للخسائر ! »

* * *

أريت لو ان الهول صُوِّر منظراً تجلله الأخطار جد غوامر ؟
كذلك ساد الصمت بين الحفائر وران على أرواحهم والضمائر
وأذهل هاتيك النفوس فخفّضت من البهر والإعياء دقات طافر

* * *

وعاد أخو الأحياء يعطو بحسرة ولهفة محروم وإعياء خائر
لقد كان فى الموتى ، وفى الموت مأمل يعلله بالكشف عن كل ضامر
فألفى سراباً ثم لا ينقع الصدى فواندما عن بحثه المتواتر !
فقد كان خيراً أن يعيش على المنى ويأمل بعد الموت كشف الستائر
وياليت هذا الموت يسرع خطوه فيطوىَ حيّاً عمره ربح خاسر

فوائــــد لغوية

بقلم محمد شفيق معروف

المدرس بمدرسة المنيرة الابتدائية

يرى الباحث فى كتب اللغة العربية ومعاجمها ألفاظاً وتراكيب تثير فى نفسه شيئاً من الدَّهَش أو الإعجاب ، إما لدِقَّة مبناها ولطف معناها ، وإما لغير ذلك من المزايا والصفات . وسأعرض على القارئ فيما يأتى نماذج لما رأيت :

(١) قد تُلْحِق العرب كلمةً لا معنى لها بكلمة أخرى على مثالها ووزنها ، وكأنَّهم أرادوا بزيادة الكلمة اللاحقة توكيد الكلمة السابقة بإكثار اللفظ وملء السَّمع ، ومن أمثلة ذلك قولهم : هو عِفْرِيت نِفْرِيتٌ ، وشَيْطانٌ لَيْطانٌ ، وحَسَنٌ بَسَنٌ ، فإن الكلمات نفريت ، ولَيْطانٌ (١) ، وبَسَنٌ لامعنى لها ، ولا تُسْتعمل إلا مع سابقاتها كما رأيتَ . ويُسَمَّى هذا النوع من الكلمات إتباعا .

(٢) أما إذا كانت الكلمة اللاحقة ذات معنى فهى المزاوجة التى تشبه السَّجع من بعض الوجوه ، كقولهم :هوساغب لاغب ، فإن الكلمة الأولى من السَّغَب وهو الجوع ، والثانية من اللُّغُوب (بضمتين) وهو الإعياء والتَّعب ، وكقولهم : هو أشْعَرُ أظفَرُ ، أى طويل الشعر والأظفار .

(٣) تزاد فى أوائل بعض الكلمات همزة تفيد السَّلب والإزالة ، كقولهم أعجَمْتُ اللفظ ، أى أزَلْتُ عُجْمَتَهُ بما يميزه عن غيره من نقط وشكل .

---

(١) وقيل إن ليطاناً معناها ملعون ، من لاطه بمعنى لعنه .

(٤) أنكر بعض أئمة اللغة العربية أن يكون الزوج اثنين . وقال : إن معناه الفَرد بشرط أن يكون معه آخر من جنسه ، ولم تنطق به العرب مُوحدا ، بل كانوا يقولون : زَوْجان من حَمَامٍ ، وزَوْجان من نِعَالٍ وهكذا ، فكل اثنين من جنس واحد زوجان عندهم ، واستدل بعضهم بقوله تعالى (خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذكَرَ والأنثَى) .

وأما الزوج فى مصطلح الحساب فخلاف الفرد ، وهو العدد الذى ينقسم بمتساويين .

(٥) الكلمات الآتية يوصف بها المذكر كما يوصف بها المؤنث :

العاقِر : التى لا تَلِد ، والذى لا يُولَد له .

الأيم : المرأة لازوج لها ، أو الرجل لا زوج له .

العانِس : الفتاة طال مكثها فى منزل أبويها بلا زواج بعد إدراكها حتى خرجتْ من عداد الأبكار ، ويقال للرجل أيضاً عانس .

الزوْج : لِلبَعْل والزوجة . قال الله تعالى : (اسْكُنْ أنْتَ وزَوْجكَ الجَنَّةَ) .

(٦) المَجْزِرُ ، والمَرْفِقُ ، والمَشْرِقُ ، والمَغْرِبُ ، والمَسْقِطُ ، والمَظِنَّةُ ، والمَنْبِتُ : أسماء أزمنة وأمكنة جاءت بكسر العين شذوذاً .

(٧) فى اللغة كلمات تُستَعْمَلُ للواحد والجمع والمذكر والمؤنث مثل عَوْن ، بمعنى ظهير ونصير ، وسُوقة ، بمعنى رَعِيَّة (خلاف الملك) . فيقال : رجل سُوقة وامرأة سُوقة ، ورَجُلانِ سُوقة ، وامرأتان سُوقة ، ورجال سُوقة ، ونساء سُوقة .

(٨) لاتجتمع السين والذال فى كلمة عربية ، فأستاذ مثلا كلمة أعجمية

فارسية الأصل ، ومعناها المعلم ، وأستاذ الصناعة : رئيسها ؛ وكذلك ساذج ، فإنها تعريب « سادَه » الفارسية .

(٩) فى اللغة أسماء تقال للذكر والأنثى كالظِّئْرِ (بكسر الظاء وسكون الهمزة) للرجل الحاضن ولد غيره ، وللعاطفة على ولد غيرها المرضعة له ، فى الناس وغيرهم ، كالأرنب والحمامة والحَيَّـة ، ومن عجب أن يطلق الديك على الدجاجة أحياناً كقوله : « وَزَقَّتِ الدِّيكُ بصَوْتٍ زَقًّا » .

(١٠) وفى اللغة ألفاظ يجوز فيها التذكير والتأنيث مع تساويهما ، أو رجحان أحدهما ، ومن أمثلة ذلك الإصبع والسُّوق .

(١١) تستَعْمل بعض الألفاظ فى العلوم والفنون بمعانى اصطلاحية تبعد قليلا أو كثيراً عن معانيها الأصلية اللغوية ، كالإسناد فإن معناه فى اللغة جعل الشيء مُعْتَمِداً على غيره ، وفى عُرْفِ النحاة ضمّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة ، وفى مصطلح الحديث أن يقول الراوى حَدَّثنا فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكالأذان فمعناه فى اللغة مطلق الإعلام ، وفى الشرع الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مأثورة . وكالأسطوانة فإن معناها فى الهندسة شكل يحيط به دائرتان (متوازيتان) من طرفيه هما قاعدتاه ، يصل بينهما سطح مستدير يُفرَض فى وسطه خط مستقيم موازٍ لكل خط يُفرَض على سطحه بين قاعدتيه .

(١٢) المُسْعُط (بضمّ الميم والعين) : الإناء الذى يجعل فيه السَّعُوط (بالفتح) وهو الدواء يُصبُّ فى الأنف . والمُدْهُن (بضم الميم والهاء) : قارورة الدهن .

والمُنْخُلُ (بضم الميم والخاء) : ما يُنْخَل به . والمُكْحُلَة (بضم الميم والحاء) : التى فيها الكحل .

أسماء أدوات جاءت بالضم على غير المألوف .

(١٣) شَرَقَتِ الشمس : طلعت ؛ وأَشْرَقَت : أضاءتْ . وتَأَرَّضَ فلان : لزِم الأرضَ فلم يَبْرَح ؛ وفلان إذا ضُرِبَ فأَرْضٌ ، أى لا يبالى بالضّرب ؛ وهو ابن أرض ، أى غريب ، وخشبة مأروضة : أصابتها الأرَضَة (دابَّةُ الأرض تأكل مِنْسَأَتَهُ) .

(١٤) الرَّنْدُ والعُودُ (الذى يُتَبَخَّر به) والآسُ والغَارُ : أشجار طيِّبة الرائحة من نبات البادية ، وقيل إنها فارسية مُعَرَّبة .

(١٥) الكَهْرَباء : صمغ شجرة إذا حُكَّ جَذَبَ التِّبْن ، مُعَرَّب « كاه ربا » ومعناهما جاذب التبن .

باب التربية

طريقــــة دكرولى

بقلم عبد الحميد حسن

المفتش بوزارة المعارف

٢

الربط

من الثابت فى علم النفس وفى قواعد التربية ان الحقائق المفردة المتنافرة تكون مفككة متناكرة لا تفيد فى حياتنا العقلية ، كما ان التفكك والتقاطع بين بنى الإنسان يودى بالمجتمع ويفكك عراه . أما ربط الحقائق فهو الذى ينشأ عنه الوحدة المتماسكة للحياة العقلية وهو الذى ينتج التفكير المنظم المجدى .

وقد جعل دكرولى الربط دعامة من الدعائم الثلاث التى ركز عليها طريقته . ويجدر بالمعلم أن يعمل فى دروس الملاحظة على ربط المعلومات الجديدة التى يصل اليها الطفل بنفسه بعضها ببعض . وعلى ربطها بالمعلومات القديمة حتى تتكون منها سلسلة متماسكة .

والمعلم فى خلال ذلك أشبه بمن يرقب بناء بيت ، وسيجد بطبيعة الحال بعض النقص أو الفجوات فى معلومات الطفل فيجدر به أن ينتهز الفرص للإرشاد وللإصلاح . والطفل سيتقبل ذلك ويحله محله فى تكوين عقله ، لأنه سيصادف شعوره بالنقص وتطلعه الى الكمال . وان العمل اذا صادف رغبة وحاجة استقر على أساس صحيح .

والوسائل لهذا الاصلاح كثيرة متدرجة على حسب ما يناسب المقام، وذلك كالصور والخطابات ووصف الممالك الأخرى وحياة أهلها وعاداتهم وغير ذلك مما يجد فيه المعلم طرائف شائقة. ويساعده فى ذلك عاملان وهما خيال الطفل وحبه للاستطلاع.

فبالخيال يستطيع المعلم ان ينتقل بالطفل إلى ما يكون فى غير بيئته من حيوان ونبات. وما للممالك الأخرى من نظم فى المعيشة، وما فيها من مظاهر ومناظر، وبذلك يتسع أفقه العقلى.

وبإثارة حب الاستطلاع ينمى المعلم الرغبة الصحيحة فى المعرفة والاستفادة، ويحمل التلاميذ على جمع الوسائل الايضاحية المختلفة لما يمر بهم من الحقائق على قدر ما يستطيعون وما تسمح به الأحوال، فإن حب الاستطلاع هو للعقل بمثابة الميل الى الغذاء للجسم.

بهذه الوسائل يصل الطفل الى اجتناء ما يأتى:

(١) يدرك ما بين الأشياء من صلات وروابط ويصل الأسباب بمسبباتها ويرد النتائج الى مقدماتها.

(٢) يستطيع أن يصل الى قواعد كلية يسترشد بها فى عمله ويستضىء بها فى حياته. والمرء لا يوزن عقله بما يعرف من جزئيات بل بما يعرف من كليات.

(٣) يمكنه بذلك فى المستقبل أن يبحث ويصل بنفسه الى ما ينتفع به ويفيد بنى جنسه. وكل هذا هو المقصود من الربط والملاحظة.

وزيادة على ذلك سيرى الطفل فى هذه الدروس مقدار ما يبذل من جهد للوصول الى النتائج وبذلك يعرف للسابقين والباحثين جهودهم وفضلهم.

ولنضرب أمثلة لما تقدم :

حينما يدرس الأطفال حياة الانسان فى أدواره الأولى ينبغى أن يعملوا نماذج لما كان يستخدمه الانسان فى الزمن الماضى من الأدوات والآلات . وإن الجهد الذى يبذلونه فى عمل هذه الأشياء على سذاجتها يعرفهم قيمة الأعمال اليدوية فى الحياة ، وما بذل من سبقونا من جهود للوصول إلى ماتستخدم الآن من آلات وأدوات .

وحين دراسة موضوع « الخبز » يقوم الأطفال بعمله بأنفسهم بالطرق الطبيعية الميسورة لديهم ، فيطحنون الحبوب برحى أو نحوها مما يعملونه بأنفسهم ، ثم يستخلصون الدقيق ويعجنونه ويخبزونه على قوالب فوق نار يوقدونها بحطب أو خشب أو غير ذلك إلى أن يحصلوا على الرغيف الذى يأكلونه ، ويكونون قد وصلوا إليه بعرق الجبين كما يقال . ولا ننسى ما لهذا من الأثر فى نفوسهم . وربما كان هذا الرغيف على سذاجته وتوسطه فى الصفاء والجودة، أو رداءته أحيانا ألذ طعما فى أفواههم من الخبز النقى الجيد .

بعد ذلك يوازنون بين ماعملوا وبين الخبز الذى تعده المخابز ، وذلك بزيارة يقومون بها لأحدها لمشاهدة ما يعمل والموازنة بين طريقتهم الفطرية الساذجة والطريقة الحالية الناضجة .

كذلك حينما يكون موضوع الدراسة « المساكن » يقوم الأطفال ببناء بيت صغير فى حديقة المدرسة فيرسمون شكله ووضعه ، ثم يعدون القوالب من الطين ويحرقونها ويعملون الكلس ، ثم يضعون الأساس ويبنون البيت ويعملون نوافذه وأبوابه وسقفه . وهم بعد ذلك يستطيعون الموازنة بين ما عملوا وما يرون من مبان ومساكن ، ولعل بناء المدرسة التى هم فيها يكون أقرب مثال لذلك .

وفى بعض الدروس يقوم الأطفال مثلا بعمل ملاعق من الخشب، ثم يوازنون بين ماعملوا وما يرون فى المتاحف من أدوات الطعام قديماً، وينتقلون إلى طرق عمل الملاعق الآن ليروا الفرق فى كل هذه الأحوال.

وعلى هذا القياس يوازن التلاميذ فى موضوعات شتى كالملابس والأثاث وغير ذلك مما يدور حول مراكز الميول، وهم فى خلال كل هذا يدركون قيمة العمل وفائدته وأثر العامل فى الحياة. ولا نشك بعد كل هذا أنهم سيدركون أن العمل محور الحياة وأن للعمال قيمة كانوا عنها غافلين.

ولعلنا فى مدارسنا المصرية أحوج مانكون إلى تعريف تلاميذنا قيمة العمل ومنزلة العمال. ولعل مثل هذه الطرق تفيدنا فى القضاء على مارسخ فى أذهان الشبان (أو الأفندية) من كراهة العمل اليدوى الذى يتطلب التشمير عن السواعد، واحتقار العامل ذى الجلباب أو الملوث الثياب.

هذا ـ وليس مايستفيد الأطفال من دروس الربط مقصوراً على الفوائد العقلية ومعرفة وجوه الشبه والاختلاف بين الأشياء، والوصول إلى النتائج والقواعد، بل إن هناك فوائد اجتماعية وخلقية تمتزج بنفسه ويتشبع بها قلبه ـ وذلك:

(١) إنه يعرف ماهو مدين به لغيره ممن سبقوه ومن جاهدوا فى ترقية نظم حياتنا وما نستخدم من آلات ووسائل المعيشة.

(٢) ويدرك حاجة الناس بعضهم إلى بعض، وان الانسان يستحيل عليه أن يعيش منفرداً بل لابد من الاستعانة بغيره وبجهود غيره حتى يظفر بمطالبه.

(٣) ويعرف بناء على هذا أن على الانسان واجبات لابد أن يؤديها للمجتمع، وأن التقصير فى أدائها يزعزع أركان الحياة ويضعف الأمم.

التعبير

يدخل الدكتور دكرولى تحت التعبير نوعين من النشاط الذاتى :

(١) التعبير الحسى، وهو الأعمال اليدوية المختلفة فى الصلصال والورق والخشب والرسم والتلوين وغير ذلك .

(٢) التعبير اللغوى فى القراءة والكتابة والانشاء والمحاورات ونحو ذلك من فروع اللغة .

ويرى دكرولى أن للتعبير الحسى والأعمال اليدوية شأناً عظيما فى التربية . ولسنا فى حاجة إلى البرهنة على ذلك فقد أصبح من الحقائق الثابتة التى يقول بها جميع المربين .

ويتدرج تحت التعبير الحسى وجوه عدة من النشاط العملى نشير إلى أهمها فيما يلى :

(١) النشاط الذى يجىء عرضاً فى الأعمال المدرسية المختلفة كتنظيم الحديقة وتعهد الدواجن وغير ذلك .

(٢) المشروعات التى يقوم بها الأطفال فى موضوعات المنهج كعمل نموذج لحجرة الدراسة أو مصور بارز للمدينة التى بها المدرسة أو بناء منزل أو عمل قرية من علب الكبريت أو نحوها ، أو عمل الألواح الايضاحية لمنتجات الحرير ودود القز أو لمنتجات التيل أو لنمو النبات فى أدواره المختلفة وغير ذلك .

(٣) النشاط المتصل بجمع المواد الايضاحية للدروس المختلفة وذلك أن الدروس المختلفة على النظام الذى تقدم شرحه تتطلب كثيراً من النماذج الايضاحية الحسنة . والأطفال فى مدارس دكرولى يقومون بجمع هذه المواد بأنفسهم على قدر الامكان ، فيحضرون كل يوم من الأشياء ماله صلة

بالنشاط المدرسى وبالموضوعات التى تعالج فى الدروس المختلفة.

ويستخدم لهذا الغرض منضدة تقسم أقساماً ثلاثة يكتب عليها الأقسام الثلاثة وهى : حيوان — نبات — معادن. ويضع الأطفال المواد التى يحضرونها فى القسم الخاص بها . ويخصص مكان آخر بالأشياء التى يجهل الأطفال نوعها ، حتى إذا عرفوا حقيقتها فيما بعد وضعوها فى القسم الخاص لها .

وفى الفترات الملائمة ترتب هذه المواد باشتراك جميع الأطفال تحت اشراف المعلم .

وإلى جانب هذا تعد المدرسة أماكن ثلاثة (أحدها) لوضع الأشياء التى يتم الأطفال عملها . (والثانى) لحفظ المواد الأولية التى سيشتغل الأطفال بصنعها . (والثالث) للأشياء القديمة أو التالفة التى يمكن تحويلها إلى أشياء نافعة .

ومما يجمعه الأطفال الصور وهذه ترتب أيضا على حسب موضوعاتها . والطريقة التى تتبع لذلك هى أن تعلق فى جوانب الفصل ظروف عليها بطاقات يكتب عليها أسماء الموضوعات المختلفة فى المنهج مثل : الملابس — المساكن — الغذاء — وسائل النقل — الألعاب — النبات — الفواكه — الحيوان — أشياء متنوعة .

وفى الفرص المناسبة ترتب هذه الصور وتوضع فى الظروف باشتراك الأطفال . وذلك بأن يعطى كل تلميذ عدداً منها ثم يكلفون وضعها فى الظروف المعلقة على حسب نوعها .

ولو رأيت الأطفال فى خلال هذا العمل لرأيت منهم نشاطاً مشفوعا بالنظام والسكون . فتجد كلا منهم مشغولا بعمله يسارع إلى الظرف المنشود فيضع فيه الصورة ، وهو فى حركاته وانتقاله يحاول أن يتجنب

التزاحم أو مضايقة غيره . وإذا ظهر على أحدهم الحيرة أو عدم القدرة على تمييز نوع الصورة رأيت آخر يتقدم لارشاده بسكون ونظام .

ومن ينتهى من الأطفال من ترتيب مامعه من الصور يأخذ مكانه ويشتغل بعمل آخر كالرسم أو العاب الحساب أو غير ذلك منتظراً حتى يتم التلاميذ الآخرون عملهم .

ولهذا العمل أثر واضح من الجهة الفكرية ، وهو الى جانب ذلك تمرين مفيد على حصر الانتباه وضبط النفس ، لأنه يتطلب السكون وتجنب التزاحم والابتعاد عن الاخلال بالنظام فى حالة قد تكون بطبيعتها داعية الى الاضطراب بسبب ضيق المكان واتحاد الظروف التى يعضدها كل تلميذ .

وفى الغرفة الرابعة يقوم الأطفال الى جانب جمع الصور وترتيبها بجمع المراجع التى تشير الى موضوعات الدروس سواء أكانت هذه المراجع كتبا أو مقالات أو صحفا أو اعلانات تجارية أو صناعية أو غير ذلك ؛ يقوم الأطفال بذلك بأنفسهم فى معظم الأحوال، على انهم قد يلجؤون الى المعلم للاسترشاد والمعونة اذا دعت الضرورة .

والأشياء التى يجمعها الأطفال ملك للجميع وكل تلميذ يلجأ اليها للانتفاع بها فى إيضاح موضوعات الدروس المختلفة .

ولا تنس أن تكليف الأطفال جمع هذه الأشياء يزيد نشاطهم خارج المدرسة ويصل عمل المدرسة بالحياة المنزلية والحياة الخارجية ، فضلا عما فيه من تشجيع البحث والملاحظة واستخدام الفكر فى حسن الاختيار

(١) **المراجعة الايضاحية للدروس :**

ان المراجعة الجزئية للدروس المختلفة تحصل بطبيعتها ، فان الأطفال يدونون الحقائق بصورة موضحة فى كراساتهم ، وهم يعيدون النظر فى هذه

الكراسات من وقت لآخر لاستعراض عملهم ورسومهم .

ولكن يجدر بنا فى الفترات الملائمة بعد ان يتم التلاميذ بعض الموضوعات المرتبطة بمراكز الميول ان نكلفهم ان يلخصوا ما درسوا ، وذلك بعمل مجموعات من « الألواح الايضاحية » . وطريقة ذلك أن يبدأ الأطفال بتحديد الموضوعات أولا . فمثلا بعد الانتهاء من موضوع الملابس يعمل التلاميذ الألواح الايضاحية لما يأتى : التيل — الصوف — القطن — القنب — الحرير — الفرو . وبعد الاتفاق على الموضوعات يقوم التلاميذ بتنظيم العمل بأنفسهم ، فيتخيرون من بينهم من يرأسون العمل . ولكل لوح ايضاحى رئيس يشرف على عمله . ويراعى التلاميذ فى هذا الاختيار القدرة وقوة الابتكار والمعلومات، وغير ذلك من الصفات التى يلمحها بعضهم فى بعض .

ورئيس العمل يتخير أعوانه ويكون فرقته . أو ان التلاميذ يقسمون العمل بينهم . وكل فرقة من التلاميذ توزع العمل على افرادها ، فتلميذ يختص بالمواد الأولية ، وآخر يختص بالمعلومات اللازمة وبالأدوات التى تستخدم فى صنع المواد الأولية ، وثالث بأنواع المصنوعات المختلفة التى تصنع من هذه المواد الأولية ، وآخرون يعملون نماذج الملابس من المواد المختلفة الى غير ذلك .

وبعد الفراغ من كل هذا يشرع التلاميذ فى عمل اللوح الايضاحى بعد ظهر أحد الأيام فى المدرسة .

وهنا تجدهم يعملون بجد ونشاط وسرور كما يعمل النحل فى خلاياه تحت اشراف الذين اختيروا لرياسة العمل ، فيرتبون المواد الأولية التى أحضرت ، ثم يتبادلون الرأى فى أحسن الوسائل والتصميمات لعمل النموذج الايضاحى ، حتى اذا استقر رأيهم على نظام خاص شرعوا فى تنفيذه .

ولاشتراك التلاميذ فى هذا العمل أثر عظيم فى تنمية روح التضامن والتعاون ، فكثيرا ماترى فريقا منهم يقدم للفريق الآخر بعض المواد التى يروا انها تنفعهم فى عمل نموذجهم الايضاحى .

لكل هذه الأنواع المختلفة من النشاط العملى شان عظيم فى جعل المدرسة حياة عاملة ناشطة منمية للمواهب والمقدرة الصحيحة التى ننشدها من التعليم المدرسى .

كتاب التلميذ

ان ما يصل اليه التلميذ فى دروس الملاحظة ودروس الربط يدونه فى كراسة خاصة تكون كتابه المدرسى أو سجل حياته ، ويوضح فيه الحقائق بالرسم الملون وغير الملون وبالنماذج وبالصور التى يقطعها من مصادرها ويلصقها بصفحات هذا الكتاب . وبعض هذه الكتب يصل الى حد من الاتقان عظيم يدل على المهارة والبراعة . هذا الى ما لها عند التلاميذ من مكانة فتراهم يرجعون اليها بشغف واعجاب ، ولهذا شأن فى المراجعة والاستفادة .

من هذا نرى انه ليس لدى التلاميذ فى طريقة دكرولى كتب دراسية فى المواد التى يدرسونها ، فكتبهم هى هذه الكراسات التى يعملونها بأنفسهم . وليس هناك استظهار أو نظام من التعليم اللفظى القليل الجدوى ، فالدراسة انما هى نتيجة النشاط الذاتى والبحث الشخصى والتدوين الذى يقوم به التلاميذ بأنفسهم ، وهم فى كل ذلك أشبه بالعالم الباحث أو المؤلف المنقب . ولهذا أثره فى التعليم الصحيح .

القراءة والكتابة

طرق تعليم القراءة كثيرة معروفة فى التربية وهى ترجع إلى أصلين أساسيين :

١ — الطرق التركيبية التى تبدأ بالجزئيات ، كالبدء باسماء الحروف الهجائية او بمنطوق الحروف ومسمياتها ، ثم الانتقال بعد ذلك بطريق التركيب الى المقاطع والكلمات ثم الجمل .

٢ — والطرق التحليلية التى تبدأ بالكلمات التامة أو بالجمل حتى إذا ذللها الطفل انتقل إلى تحليل الجمل والكلمات ، الى اجزائها ومقاطعها وحروفها وبذلك يدرك منطوق الحروف ويعرف الاجزاء بعد أن عرف الكل .

وأحدث الطرق التى تتبع الآن هى الطرق التحليلية التى تبدأ بالجمل التامة أو بالكلمات ، وقد نادى باتباعها فريق من المربين من قبل . وجاء دكرولى فاتبع طريقة البدء بالجمل التامة ونفذها عمليا فى مدارسه .

والبراهين النفسية والتعليمية على افضلية هذه الطريقة كثيرة :

١ — فانها من الجهة النفسية هى الموافقة للنظام الذى ألفه الطفل ، فانه فى تعلم الكلام قبل أن يجىء إلى المدرسة إنما كان يعتمد على سماع الجمل التامة التى يتوالى تواردها على سمعه ، حتى اذا فهمها بطريقة كلية استطاع بالتحليل الذى يعمله بنفسه أن يدرك معانى الكلمات المفردة وأن يركبها بعد ذلك فى جمل جديدة .

فيجدر بنا أن نتبع معه مثل ذلك فى القراءة بأن نبدأ بالجمل التى يعرف معناها ونكررها امام نظره حتى يدركها ، ثم ننتقل الى التحليل والوصول إلى الاجزاء وهى الحروف المفردة .

وليس عسيرا على الطفل أن يتعلم القراءة بهذه الطريقة ، فانه إذا كان قد تعلم الكلام بالطريقة الكلية فليس هناك ما يعترضه من العقبات فى تعلم القراءة بطريقة تشبهها ، وذلك لأن النظام النفسى فى الطريقتين متشابه ، فالادراك والفهم عن طريق السمع مثل الادراك والفهم عن طريق النظر ، وليس هناك فرق بين الحالتين إلا فى الحاسة التى تستخدم .

ومما يجدر بنا أن نلاحظه أن العوامل التى يستخدمها الطفل فى القراءة هى النظر — السمع — اللسان — اليد — الفكر ، أى الادراك والفهم المعنوى .

وأقوى هذه العوامل فى تعلم القراءة انما هو النظر ، فان أساس القراءة انما هو الادراك النظرى . ومعلوم أن النظر هو أقوى الحواس فى الادراك والافادة ، فالطريقة النظرية الكلية فى تعليم القراءة هى الطريقة المنطقية النفسية وهى تقابل الطريقة المعروفة بطريقة « انظر وعبّر » .

٢ — ومن الجهة التعليمية نرى أن القواعد الأساسية التى تقضى بالبدء بالسهل وبالمعلوم تستدعى أن نبدأ فى تعليم القراءة بما هو معلوم للطفل وما يدرك معناه وهو الجمل التامة التى عرفها عن طريق السمع قبل أن يجىء الى المدرسة ، فالحروف المفردة مجهولة له من جهتى السمع والنظر فالبدء بها لا يتمشى مع قواعد التربية .

٣ — وهناك سبب ثالث يجعل الطريقة الكلية أقرب متناولا هو أن القراءة ستجىء (على حسب نظام دكرولى) فى ثنايا دروس الملاحظة والربط . وما يلاحظه الطفل ويدركه من المحسوسات يمثل له بالرسم ثم بالكتابة وبذلك لا تكون القراءة فى ميدان مستقل بل تكون متصلة بدروس الملاحظة ، ولا يشعر الطفل بأنها عمل جديد متنافر مع مدركاته وتفكيره . وتصبح القراءة كالرسم فى أن كلامنهما وسيلة من وسائل التعبير .

وعلى ذلك ينبغى أن نسلك فى تعليم القراءة ما يأتى :

١ — الطريقة النظرية الكلية .

٢ — استخدام الجمل والكلمات الدالة على المحسوسات التى يدركها الطفل ويفهمها .

٣ — التكرار بوساطة الألعاب الشائقة .

٤ ـــ ان تجىء القراءة فى ثنايا دروس الملاحظة وان ترتبط بالحقائق التى تعالج فيها . وأفضل ما يختار من الجمل ما اشتمل على أعمال محسوسة يؤمر الطفل بتنفيذها ، وخاصة الأعمال المرتبطة بمطالبه وما يحيط به فهى التى تثير شوقه .

* * *

وقد يعترض على هذه الطريقة بأنها انما توافق الأطفال ذوى الذاكرة النظرية والانتباه النظرى ، أما غيرهم من ذوى الذاكرة السمعية أو العضلية او غيرها فهم لا يعتمدون اعتمادا قويا على النظر وهذه الطريقة اذن لا تتمشى تمشيا سريعا مع استعدادهم العقلى .

ولكنا نجيب بأن التجارب العملية قد أثبتت ان الأطفال على اختلاف ذاكرتهم ونوع انتباههم قد ساروا سيرا ناجحا باستخدام الطريقة النظرية ، ولم يلاحظ على ذوى الذاكرة السمعية أو العضلية تخلف أو قصور عن ذوى الذاكرة النظرية .

على أن ما يفرضه المعترضون من أن بعض الأطفال ذوى ذاكرة غير نظرية ليس معناه أنه لا حظ لهم فى الذاكرة النظرية وأن انتباههم النظرى قليل الجدوى ، فانه من النادر أن نظفر بطفل تكون ذاكرته سمعية فقط ، فالنظر فى جميع الاطفال عامل قوى فى الحياة العقلية .

ويجدر بنا إلى جانب هذا ألا ننسى أن الطريقة النظرية فيها جانب عظيم من تمرين الذاكرة النظرية يجعله أكثر استعداد للسير بهذه الطريقة فى تعلم القراءة .

ويسير تعليم القراءة على طريقة دكرولى فى مراحل اساسية أربعة :

(١) المرحلة الأولى :

والذى يتبع فيها هو استخدام الجمل التى تحتوى على أوامر حسية

يكلف الأطفال تنفيذها . وتختار هـذه الأوامر مما له صلة بمركز الميول الذى تدور حوله الدراسة . فمثلا إذا كان موضوع الدراسة الفواكه كانت الأوامر على مثال ما يأتى :

اعطنى التفاحة — ضع التفاحة فوق المنضدة — اقسم التفاحة قسمين — كل نصف التفاحة — اعط احمد التفاحة .

وهذه الأوامر تلقى أولا شفهيا فى ثنايا دروس الملاحظة وينفذها الأطفال ثم تعرض أمامهم بعد ذلك مكتوبه بخط كبير على قطع من الورق، ولا ينطقون بها فى أول الأمر وانما يطالبون بتنفيذ ما تتضمن من الأوامر ، وفى هذا دليل على فهمهم .

وأمثال هذه التمرينات شائقة للأطفال فانها توافق حبهم للحركة والنشاط لما فيها من مشى وجرى ولعب وأعمال مختلفة .

بعد ذلك تكتب بطاقات بأسماء الأشياء التى فى حجرة الدراسة وتعلق عليها ليقرأها الأطفال . ويراعى التدرج فى عرض الكلمات الجديدة على حسب مدارك الأطفال وما تحتمل عقولهم .

ثم ننتقل الى كتابة أسماء الأطفال فى بطاقات تعلق على أذرعتهم . وسرعان ما يدرك الأطفال أسماءهم وأسماء زملائهم .

(٢) المرحلة الثانية :

نسير فى هذه المرحلة بأسلوب متصل بالمرحلة السابقة وذلك بأن تكتب الجمل والكلمات والأسماء المتقدمة فى المرحلة السابقة على بطاقات ، وتكتب كذلك على السبورة ، ويعطى كل تلميذ مجموعة من هذه البطاقات ثم نسير على شكل العاب مختلفة يتحقق فيها التكرار المقرون بالتشويق . فمثلا يكتب المعلم أحد الجمل على السبورة أو يعلق البطاقة المشتملة عليها ، ثم يأمر الأطفال باخراج نظيرتها من البطاقات الصغيرة التى معهم ويرونها للمعلم ، ثم ينفذ كل منهم ماتضمنته بطاقته من الأعمال .

ويعمل مثل ذلك فى البطاقات المشتملة على أسماء الأشياء ، ويتدرج المعلم فينطق بالكلمة بدل كتابتها أو عرضها مكتوبة ويكلف الأطفال إخراج نظيرتها مما معهم .

وكذلك يوزع المعلم البطاقات التى لديه على الأطفال ، وإذا كانت البطاقة متضمنة أمرا نفذه الطفل ، أو كان بها اسم طفل آخر وضع البطاقة أمامه ، أو اسم شىء مما فى الحجرة وضعه عليه .

ثم نتدرج بالتمرينات باسلوب أرقى يكون متصلا بالدروس وبمراكز الميول أيضاً ، وذلك بأن نعد بطاقات يرسم على أحد وجهيها عدة صور للفواكه المختلفة (إذا كان موضوع الدراسة هو الفواكه) وتحت كل صورة اسمها مكتوباً ، ويلصق على الوجه الآخر للبطاقة ظرف توضع به قطع صغيره من الورق المصمغ طبع عليها أسماء هذه الفواكه ثم يكلف الأطفال وضع هذه القطع الورقية تحت أسماء الفواكه على التناظر .

ونتدرج فى هذا التمرين فنجعله أرقى وأعمق . وذلك بأن نخفى الأسماء المكتوبة تحت الفواكه ثم يحاول الأطفال وضع كل ورقة بها اسم فاكهة تحت الصورة الدالة عليها ، وفى هذه الحالة يكون محور التمرين هو التذكر لا الموازنة كما فى الحالة السابقة .

ونتدرج أيضاً فنجعل التمرين أكثر عمقا وذلك بان نجعل القطع الورقية التى بها أسماء الفواكه مشتملة على أسماء فواكه أخرى غير المرسومة ، ويحاول الأطفال فى التمرين استخراج الأسماء الدالة على الفواكه من بين الأوراق كلها .

ويراعى فى هذه البطاقات وصور الفواكه والأسماء التى تكتب

تحتها أن يقوم بعملها التلاميذ فى الفرق الأخرى الراقية وفى هذا معنى من التضامن جليل .

لعبة العلب الصغيرة

تستخدم فيها علب الكبريت أو علب أخرى تشبهها ، وتكتب على أغطيتها أسماء عدة فواكه، ويوضع كل نوع من هذه الفواكه فى علبة ، ثم تخلط الأغطية ويكلف الأطفال إعادة كل غطاء إلى العلبة التى بها الفاكهة ذات الاسم الخاص المكتوب على الغطاء

وفى هذا التمرين - فضلا عن القراءة - عمل عقلى فى الملاحظة والادراك

(٣) المرحلة الثالثه :

حينما نصل إلى هذه المرحلة يكون الأطفال قد استطاعوا أن يلخصوا الحقائق التى يصلون إليها فى دروس الملاحظة فى جمل قصيرة ويدونوها فى كراساتهم مقرونة بالرسم الايضاحى تبعاً لطريقة دكرولى التى يعبر فيها الأطفال عن أفكارهم بالرسم كتعبيرهم بالكتابة .

وفى هذه المرحلة تسير التمرينات على شكل ألعاب جديدة مثل :

لعبة الصور الصغيرة

وفيها تكتب جمل قصيرة تحت صور إيضاحية لبعض ما فى دروس الملاحظة من حقائق خبرها الأطفال . وتكتب هذه الجمل مرة ثانية على قطع من الورق كل جملة فى ورقة على حدتها . وتسير اللعبة على النظام الآتى :

(١) يبدأ الطفل بجمع الجمل المتفرقة ويرتبها على حسب الجمل التى تحت الصورة.

(٢) نخفى الجمل التى تحت الصور ويطالب الطفل بالتقاط الجمل التى

على قطع الورق ويضع كلا منها تحت الصورة الملائمة . والتمرين هنا لا يكون مجرد الموازنة بل يكون تمريناً على الذاكرة .

(٣) يعطى الطفل مجموعة ثالثة من الجمل مفرقة الكلمات كل كلمة مكتوبة على قطعة من الورق ، ويطالب بترتيب الجمل مسترشداً مرة بالجمل التى تحت الصورة ومرة أخرى مستعينا بذاكرته وفكره .

(٤) نكثر من الصور التى تستخدم فى هذه اللعبة وبذلك يصير التمرين أعمق وأوسع مدى .

وهذه اللعبة يمكن أن تكون فردية يستخدمها طفل واحد ، وأن تكون جمعية يشترك فيها جميع الأطفال . وذلك بأن توزع الصور عليهم ثم تكتب الجمل على السبورة وتطلب الصور المقابلة لها وبذلك يتسع مجال التمرين واللعب .

وفى هذه المرحلة يجىء دور الكتابة ، فيطالب الأطفال بمحاكاة الجمل كتابة كما يحاكون الصور فى رسمها ، وليس هذا العمل عسيراً من الجهة اليدوية فهم قد مرنوا من قبل على الرسم والأعمال اليدوية . وهم كذلك سيحاكون كتابة الحروف بالصلصال قبل كتابتها بالقلم ، ولهذا أثر حسن فى النجاح فى الكتابة .

ونتبع هذا بأن نكتب جملة على السبورة ثم نمحوها ونطالب الأطفال أن يكتبوها من الذاكرة ، ونكرر هذا حتى يصل الأطفال فى الكتابة إلى درجة مقبولة .

ومما يلفت النظر هنا أن أقل الجمل بقاء فى المدة أمام النظر يكون أكثرها ثباتا فى الذاكرة وصوابا فى محاكاتها وتذكرها تذكراً صحيحاً

(٤) المرحلة الرابعة :.

نلاحظ أن الأطفال يسيرون بقراءة ماهو جديد فيجدر بنا فى هذه

المرحلة أن نعطيهم كل يوم بعض الجمل القصيرة لقراءتها مما يتصل بشؤونهم الشخصية وبحياتهم ومسراتهم أو بأغلاطهم وخطئهم أحيانا .

والأطفال حينما يصلون إلى هذه المرحلة يكونون قد استطاعوا أن يحللوا الكلمات إلى أجزائها وأن يدركوا الحروف والمقاطع المشتركة فى الكلمات المختلفة ، وكثير منهم يعملون ذلك بأنفسهم . ويمكن أن يعين المعلم الأطفال فى هذا الصدد بكتابة كلمات متشابهة المقاطع أو الحروف ، ومجال ذلك واسع فى اللغات الأوربية كالانجليزية والفرنسية ، والانتفاع به ميسور أيضاً فى اللغة العربيـة . ويمكن الاستعانة فى ذلك بكتابة المتشابه باللون الأحمر .

ونستمر على هـذا النحو فى جميع الحروف الهجائيـة حتى يدرك الأطفال قيمتها الصوتية .

وفى هـذه المرحلة نسير فى بعض التمرينـات على شكل ألعاب بأن تكتب الكلمات التى تحتوى عليهـا الجملة على أوراق ويكلف الأطفال ترتيبها أولا بالاسترشاد بما هو مكتوب أمامهم ، وثانيا من غير استرشاد بل بالاستعانة بالذاكرة .

ثم نتدرج بالتمرين فنجعله أكثر عمقاً وصعوبة بأن تستخدم جملتين ثم ثلاثا ثم أكثر ، ونسير فى كل ذلك على النمط السابق بالاسترشاد مرة وبغيره أخرى

ونتدرج فنلفت نظر التلاميذ إلى الكلمات المتشابهة المقاطع أو الحروف ، ونستخدم أوراقا تكتب عليها الكلمات مع كتابة المشترك باللون الأحمر ، ويراعى أن يعمل الأطفال هذه الأوراق بأنفسهم كما تقدم .

ولا ننسى أن نستخدم الحكايات القصيرة التى تتضمن ما يتعلم التلاميذ من جمل وكلمات .

نستطيع بعد ذلك أن نعطى الأطفال كتابا من كتب المطالعة المناسبة ذات الصلة بمراكز الميول التى تمر بهم فى دروسهم . على أن الأطفال فى خلال ما تقدم وفى ثنايا دروس الملاحظة يكونون قد عملوا لأنفسهم وبأنفسهم كتاب مطالعة يزدان بالصور التى يعملونها وذلك فى المذكرات التى يدونونها .

وإذا انتهى الأطفال من قراءة كتاب شرعوا فى آخر وساروا فى سلسلة من كتب المطالعة الشائقة .

الإنشاء

تبدأ كتابة الموضوعات الانشائية من السنة الأولى ، ويتاح للتلاميذ فرص كثيرة للموضوعات التى يختارونها بأنفسهم . غير أنه يراعى فى كثير من الأحوال أن تكون متصلة بمراكز الميول التى تدور حولها الدراسة . وإن ما يكتبه التلاميذ فى نهاية السنة الرابعة من الموضوعات والحكايات يكون نموذجا حسنا لكتابة كتاب صغير من الحكايات والموضوعات الطريفة المصورة للأطفال . وهو دليل على الجهود الصالحة للعمل الفردى والجمعى . وهى جهود التلاميذ أنفسهم من غير معاونة إلا فى إصلاح الخطأ الاملائى .

استخدام طريقة دكرولى فى تعليم القراءة العربية

يجدر بنا أن نلاحظ ظاهرتين بارزتين فى اللغة العربية وهما :

(١) أنها لغة صوتية فالنطق والكتابة فيها يسيران معا ، والحروف التى تكتب هى التى ينطق بها وبالعكس ، وليس هناك إلا شذوذ قليل .

(٢) أن للحروف الهجائية العربية حالات متعددة وهى الفتح والضم

والكسر مع التنوين والتشديد أو بدونها ثم السكون . فاذا ذللت هذه الأحوال كانت القراءة سهلة وأصبحت عملا تحليليا وتركيبيا يسيرا .

وعلى هذا نستطيع أن نستخدم طريقة البدء بالجمل التامة التى تشتمل على أفعال مفتوحة الحروف . وإذا أحكمنا اختيار هذه الأفعال من السهل المحسوس القريب من الأفهام كانت الخطوات سريعة إلى الغاية المنشودة . وتستخدم هذه الأفعال فى جمل سهلة مع الاستعانة بالصور الموضحة والألعاب المختلفة التى نضمن بها التكرار على مثال يشبه ما شرحناه فى طريقة دكرولى .

على أنه لاضير من الاكتفاء بالفعل وحده لأنه جملة مفيدة فعلها مستتر — كما هو معلوم — والصور الايضاحية الشائعة كفيلة بتصوير المعنى التام فى ذهن الطفل .

وكلما قطعنا مرحلة اتبعناها بتمرين يستطيع فيه الطفل القراءة بناء على ماقام به من تحليل يمكنه من معرفة منطوق الحروف المفردة التى اشتملت عليها الأفعال التى مرت به .

وبعد الانتهاء من الحروف المفتوحة تكتب الكلمات موصولة الحروف مع لفت نظر الطفل إلى الحرف فى حالة الافراد وفى حالة وصله بغيره ليعلم أن جوهر الحروف لايتغير فى الحالتين .

ثم نتبع ذلك بمعالجة الحروف فى أحوالها المختلفة من جر وضم وسكون وتنوين وتشديد فى كلمات وجمل على النمط السابق .

وبهذه الطريقة نستطيع أن نصل إلى الغاية من أسرع الطرق وأكثرها تشويقا وأقربها إلى الطريقة الحديثة .

على أن مجال الابتكار واسع على أساس القواعد العامة التى مر بك شرحها . « يتبع » عبد الحميد حسن

سقراط

وقضيــــة الأطفال

بقلم الأستاذ زكي المهندس

أستاذ التربية بدار العلوم

يؤكد لنا العلامة « فرويد » ومن ذهب مذهبه من علماء النفس ، أن تلك الأخيلة والصور التى تثب إلى شعورنا فى النوم ونسميها أحلاما أو رؤى ليست من عبث الوهم ، ولا من وحى الملائكة أو وساوس الشياطين؛ وإنما هى مظاهر تعبر عن نزعات وأمانىّ تجيش فى قرارة نفوسنا يَكْبتها وقتَ اليقظة ما ألفناه من عادات وسُنَن ، وما تواضعنا عليه من عرف وتقاليد . فاذا ما غفونا وسكن هذا العقل الواعى وتحللت النفس من قيود التفكير وقواعد المنطق ومبادئ السلوك وكل ما ينطوى عليه ذلك من مراعاة النسب والصلات والعلل والمعلولات والممكنات والمستحيلات والفضائل والآداب ، اذا تحللت النفس من هذا كله جاشت فى النفس هذه النزعات والأمانى ووجدت متَنَفَّسا فى تلك المناظر والصور التى تتتابع فى شعورنا كما تتتابع مناظر الخيالة ، ولكن على غير نظام مألوف أو ترتيب معيَّن .

فاذا رأيت أنك عظيم فى قومك ، وأن لك سلطانا على من حولك ، تأمر فيأتمرون وتنهى فينتهون ، دلّ هذا على أن نفسك طموح إلى السلطة ، توّاقة إلى الاستعلاء والمجد ، وأن هذه النزعة قد ثارت ثورتها ، وعبّرت عن

نفسها فى ثوب ملك أو أمير عظيم أو ما إلى ذلك مما ينفس عنها و ينقع غلتها .

واذا تراءت لك حماتك فى حلم من أحلامك فتأويل هذا عند «فرويد» وشيعته أن نزعة مقت وحقد قد جاشت فى نفسك ووجدت سبيلها إلى الظهور فى هذه الصورة .

فاذا صح ما يدعيه « فرويد » وأنصاره فى هذه الحالات وأشباهها كانت الأحلام رحمة من الله بعباده فهى تفرج عنا كروبنا وتعبر عن آمالنا وآلامنا فما أهنأنا بحلم ندرك به فى النوم مالا نستطيع دركه فى اليقظة ! !

وقد يكون «لفرويد» فى هذا الافتراض حجته وبرهانه وقد يكون له بحوثه وتجاريبه وقد يكون فى هذا كله مصيبا أو مخطئا أو مسرفا غير أنى فى الحق لا أدرى أين تقع هذه الرؤيا التى سأقصها عليك من مذهبه ورأيه ، وكل ما استطيع أن أؤكده لصديق القارئ هو أن « سقراط » فيلسوف اليونان المعروف لم يكن فى يوم ما من هؤلاء الذين تعلقت بهم نزعاتى أو اتصلت بهم أمانى . لقد تعرفت إلى هذا الشيخ الجليل ووقفت على جانب من آرائه وبجمل من حياته ، ولكن كان ذلك فى زمن مضى قدم العهد به وعفى النسيان على ذكراه . فما كان سقراط ولا غير سقراط من فلاسفة اليونان يمت إلى نفسى أو وجدانى بسبب لا من قرب ولا من بعد بل أ كاد أجزم فى غير سرف أو إفراط بانى كنت ومازلت من هذا السيد الوقور فى عزلة تامة وحياد مطلق ، فكيف تهيأ لسقراط أن يصبح بطل حلم من أحلامى ، أراه واستمع إليه يحدث ويحاور ؟ إن هذا لعجيب حقا ، ولكن أعجب منه أن استطيع أن أذكر فى جلاء ووضوح كل كلمة تحرك بها لسانه وأن استطيع أن أدون ذلك على طوله وتشعبه .

ولكنها الأحلام تخرج عن كل قياس وتشذ عن كل مألوف ، وهل تعكس الآيات الكونية وتضطرب النواميس الطبيعية إلا فى الأحلام ؟ أليست هى التى تدنى منك كل بعيد وتكشف لك عن كل غامض وتطوّع لديك كل عَصِيّة ؟ وهل فى غير الأحلام تُجْتَذَب الموتى من قبورهم وتُسْتَنْزَل العُصْم من معاقلها وتهبط الكواكب من عليائها وتبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فمالى أعجب إذاً من أن يكون سقراط بطل حلم من أحلامى وأن يطوىَ بينى وبينه ثلاثة وعشرون قرنا أو تزيد ؟ ما كانت الأحلام موطنا للدهش أو موضعاً للغرابة إنما موطن ذلك هو هذا العالم اليقظ الواعى بكل ما ينطوى عليه من رسوم وحدود وقواعد ومبادىء ومُثُل. والأحلام فى حل من هذا كله فهى حياة لا كهذه الحياة وعالم مستقل بنفسه قائم بذاته ، هى حياة حرة مسرفة فى الحرية ، طليقة مغرقة فى الطلاقة تأبى أن تخضع لضوابط التفكير وتأبى أن تعترف بقواعد السلوك ؛ ومن يدرى لعل هذه الحياة الحرة الطليقة التى نستمتع بها فى تلك الفترات القصيرة من نومنا ليست إلا صورة مضطربة أو مهوشة من تلك الحياة الروحية التى سنحياها يوم تُبْلَى السرائر وتَبْلَى الجسوم ونخلع عن كواهلنا أعباء هذه المادة الثقيلة .

ومهما يكن من أمر تلك الأحلام فليس يعنينى هنا سوى أن أقص على مسمعك رؤياى كما وقعت وسأقنع بهذا وأكفى نفسى مؤونة التفسير والتأويل والتعليل واقول مع قوم يوسف « هذه أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين »

(١)

ما أكاد أجاوز عتبة الباب الخارجى لوزارة المعارف حتى أرى رجلا غريباً قد ارتدى ثوبا أبيض فضفاضا واسع الأكمام ضافى الذيل وبيده

عصا طويلة يتوكأ عليها وعلى كتفيه لِفَاع قد عقد اطرافه فوق منكبيه وقد انتعل نعلين تضطرب فيهما قدماه وتبين منهما اطراف أصابعه .

يمشى هذا الرجل أمامى وعلى قيد خطوات منى مشية متزنة هادئة مطرقا إلى الأرض حتى خيل الىّ أنه يبحث عن شيء فقَدَه أو كأنّ هذا الرَّمْز الذهبى الذى يكسو فناء الوزارة قد فتنه حتى ما يكاد يحول عنه طرفه ، أو كأنه يرى فى الأرض وسيلة تعينه على التفكير فيما لديه من شئون .

يروعنى منظر الرجل فأدلِف إليه حتى أحاذيه ثم أحدق فى وجهه فأكاد أصعق خُشية وعجبا . يالله ! سقراط فى وزارة المعارف! لم يكن هذا الرجل الذى أمامى سوى سقراط . نعم هو سقراط بعينه فهذا هو رأسه الأصلع وأنفه الأفطس وتلك هى لحيته الكثة الجميلة التى أبدع المثّال فى تصويرها وذانك هما وجنتاه البارزتان وعيناه الجاحظتان وشفتاه الغليظتان فهذا هو سقراط فى صورته التى ألفت أن أراها بين دفات الكتب .

يمشى سقراط فى اطمئنان وثقة وامشى وراءه فى جزع وحيرة حتى يدنو من الباب الداخلى فى الوزارة ويقف ثم يلتفت يمنة ويسرة فتقع عينه على التمثالين المنصوبين قبالة الباب فيحدق فيهما طويلا ثم يشرق وجهه وتنبسط أساريره وتلمع عيناه ويقترب من أحد التمثالين ثم يوليه ظهره ويجلس على قاعدته ويعود فيغض من جفونه ويغرق فى تفكيره .

يظل سقراط على هذه الحال والناس من حوله يغدون ويروحون يقبلون ويدبرون فرادى وجماعات راكبين وراجلين لايلوون على شيء ولا يلتفتون إلى شيء فالوارد منهم إلى الوزارة يفكر فيما هو مقبل عليه والصادر عنها يفكر فيما انتهى إليه فان لكلٍّ مسألة تعنيه وشأنا يغنيه يمرون

بسقراط سراغا فلا موقفه يروعهم ولا منظره يأسر انتباههم وماذا يعنيهم من أمر رجل غريب يقف ناحية من الوزارة وهم قد ألِفُوا أن يروا الأفنية والطرقات والأبهاء وحجرات الموظفين تَعِج — فى مثل هذا الموسم من افتتاح المدارس — بأصناف شتى من الناس من كل طبقة وملة .

أليس من الطبيعى أن يكون فى وزارة المعارف آباء يطلبون ما دام فى المدارس أبناء يتعلمون ؟ ثم أليس من المحتمل أن يكون هذا الوافد الغريب أحد هؤلاء الذين يَغْشَوْن الوزارة يلتمسون المجانية لأبنائهم وذويهم ؟ كذلك كان الناس يفكرون — إذا فكروا — فى سقراط وكذلك كان سقراط بدوره لا يفكر فى أحد ولا يلتفت إلى إنسان بل يظل جامداً فى مكانه مغرقا فى تفكيره لا يكاد يصرفه عما هو فيه إلا بوق سيارة أو صراخ فراش كنت حينئذ تراه يفزع ثم يشخص ببصره صَوْبَ الصوت فى شىء من الألم أو القلق يبدو فى وجهه كأنه يضيق ذرعا بتلك البيئة الصاخبة التى تشتت من انتباهه وتقطع عليه سبيل تأملاته .

(٢)

محمد المصرى بك شخصية مثقفة ممتازة بين المشرفين على التعليم فى وزازة المعارف عرفته منذ زمن وجلست إليه فى غير مرة وبلوتُ رأيه فى أكثر من شأن من شئون التعليم فكنت دائما أرى فيه الرجل الطيب القلب النقى السريرة الصريح الرأى لا يعيبه فى هذا سوى شىء واحد هو شدة إستمساكه بالقديم وحرصه عليه وسوء ظنه بالجديد وارتيابه فيه .
وكنت لا ألومه فى هذا ولا آخذه عليه فانى أعلم أن الرجل قد أوفى على الستين أو جاوزها وما كنت لأطمع فى رجل أتت عليه السنون وأضاء المشيب ما بين فَوْدَيْه أن يرى من الصواب مايراه الفتيان صوابا أو يقتنع بآراء الشبان ومذاهبهم فى الحياة ، هذه قاعدة عامة تصدق على الشيوخ

لا يكاد يشذ عنها إلا قليل من المصطفين الأخيار الذين وهب لهم الله مرونة فى العقل وآتاهم قدرة على التحول بحيث يقدرون لكل شيء قدره ويلبسون لكل ظرف لبوسه . هؤلاء هم الذين نصفهم بالعبقرية أحيانا وبالنبوغ أحيانا أخرى،ولكن صديق المصرى بك لم يكن - لسوء الحظ - عبقرياً ولا نابغة . وكم كانت تعظم خَيْبَتى فيه ويشتد يأسى منه كلما التمست عنده الرأى فى امر يتصل بالنهضة التعليمية الحاضرة . كنت اراه حينئذ تثور ثائرته ويحتدم غضبه ويشتد خصامه فيطلق لسانه فى نظام التعليم وفى مناهج التعليم وفى رجال التعليم ولا يكاد يَدَع قاعدة من القواعد التى قام عليها النظام التعليمى الا تناولها بتهكم لاذع ونقد ممض ثم يعود فيتأوه ويتحسر على زمن مضى كانت المدارس تصوغ فيه رجالا ممتازين لا فتيانا مغرورين كما هو شأن مدارس اليوم . وكنت افسح صدرى لكل ما يقوله لأنى أعلم ان ذلك النظام التعليمى العتيق قد اقترن بشباب الرجل وايام فتوّته فهو إذ يدافع عنه ويتعصب له انما يدافع عن خير أيام حياته . وهو إذ يَحِنّ الى تلك المدرسة القديمة بكل ما كان فيها من خير أو شر انما يحن إلى مآرب قضاها الشباب هنالك .

(٣)

يخرج محمد المصرى بك من الباب الداخلى للوزارة وما يكاد يقع بصره على سقراط حتى يسرع اليه ويقبل عليه باسما متهللا يصافحه ويحييه فى إجلال وتوقير ثم يجرى بينهما حديث ينبىء بأنهما كانا على ميعاد وأقف أنا بحيث أراهما وأسمع حديثهما ولا يريانى :

المصرى — « أنت هنا يا أستاذ وليس لدى علم بمقدمك . لقد انتظرت عودتك طويلا حتى خفت أن يكون قد أصابك مكروه »

سقراط — « وأى مكروه تخشى أن يصيبنى ياسيدى وأنا فى

بلادكم الجميلة الوادعة يشملني أهلها برعايتهم ويغمرونني بفضلهم أني ذهبت حتى كدت أنسى حقاً أني أعيش على ضفاف النيل وأن هـذا النسيم الصافي العليل الذي أنشقه وأستمتع به ليس هواء (الاكربول) »

المصري — « ثق ياسقراط أنك في بلدك وبين أهلك ولا تنس أن مصر بل العالم اجمع كان وما يزال مدينا لك ولقومك بما خلفتموه من علم وفن وما تركتموه من مبادىء ونظم وآراء ومذاهب وتأكد ياصديقي انه ستمر السنون وتتعاقب الأجيال وآثاركم الخالدة لن تبرح المنار الساطع الذي يشع نوره على العالم فيضيء له سبيله إلى المدنية والحضارة »

سقراط — « عفواً — ياسيدي — عفواً فنحن لاننسى اننا مدينون كذلك لبلادك ولقومك بكل ماحصلناه من علم أو حذقناه من فن فلولا مصر ماكانت اليونان يونانا وإذا كان لنا على العالم من فضل - كما تقول - فهو على الحقيقة فضل مصر عنها أخذناه ومنها تعلمناه وحذقناه ثم على العالم أسبغناه فالفضل لمصر أولا وآخراً وليست اليونان الا ربيبة مصر مربية الممالك ومعلمة الشعوب . سل معابدكم المظلمة الرهيبة وآثاركم الصامتة الرائعة تنبئك الخبر اليقين »

المصري — « شكراً لك ياعزيزي سقراط شكراً ولـكن خبِّرني كيف كانت زيارتك اليوم لمدارسنا لقد علمت أنك آثرت مدارس الأطفال بزيارة اليوم ولعلَّ للمدارس الثانوية نصيباً من وقتك غداً فحدثني ماذا رأيت في مدارس الأطفال »

سقراط — « لقد رأيت كثيراً ياسيدي وأقسم أني مغتبط بما رأيت ويزيد من اغتباطي تلك البنَى الشاهقة الفخمة التي تعلمون فيها أطفالـكم وتلك الأدوات المختلفة والآلات والأجهزة المتنوعة التي يستعين بها معلموكم على إفهام تلاميذهم . وقد سرني بوجه أخص نظافة مدارسكم

وحسن إدارتها ولا أنسى ما طبع عليه نظاركم من الظرف والايناس وحسن اللقاء والكرم فقد كان لكل ذلك أحسن أثر فى نفسى »

المصرى — « يسرنى أن أسمع هذا منك ياسقراط ولا بد أن تكون قد لحظت ما عليه هذه المدارس من حسن النظام فمن غير سقراط يستطيع أن يعجب بهذا ويغتبط به ؟ »

سقراط — « لم يَرُعْنِي شيء سوى ذلك »

المصرى — (بشىء من الدهشة) « وماذا يروعك فى هذا ؟ إن حسن النظام من أظهر ما تمتاز به هذه المدارس الأميرية التى تشرفَتْ اليوم بزيارتك »

سقراط — « إنى لا أكتمك ياسيدى أنه قد راعنى حقاً مالحظت من هدوء التلاميذ وسكونهم فى الفصول حتى لقد كان يخيّل إلىّ أنهم تماثيل منصوبة أو خشب مُسنَدَّة لايبدون حراكا إلا إذا سئلوا وقلما يكون ذلك »

المصرى — « إن هذا مما يقتضيه نظام التعليم وما دام فى الفصل معلم يلقى فلا بد أن يكون هناك تلميذ يُصْغِي وبغير هذا يكون التعليم فوضى وتكون الادارة مختلة ويجب أن تعلم يا سقراط أن وزارة المعارف تعنى بهذا النظام أشد عناية ولا يسعها إلا أن تحاسب النظار والمعلمين حسابا عسيرا أن فَرَّطوا فيه أو توانَوْا عنه »

سقراط — « وهذا بعينه ما فسر به نظار المدارس ومعلوها هذا السكون الشامل حين تحدثت اليهم فى ذلك »

المصرى — « وهم فى هذا على حق فان التعليم لا يمكن أن ينتهى إلى الغاية التى رسمت له بغير هذا النظام الذى رأيت اليوم »

سقراط — « فانتم إذاً تنشدون السكون والهدوء فى الفصول لانه نظام وأنتم حريصون على هذا النظام »

المصرى — « هذا كل ما نبغى »

سقراط — « ولكن خبرنى هل لهذا النظام مدلولات مختلفة أوله معنى واحد »

المصرى — (متردداً) « النظام هو النظام ولا أفهم له سوى مدلول واحد هو مارأيت اليوم فى مدارسنا »

سقراط - « إذا كان للنظام مدلول واحد هو مارأيتُ اليوم فى مدارسكم كان نظام أى جماعة من الناس هو مبلغ مايسود بينهم من هدوء وسكينة أليس كذلك »

المصرى — « بلى . هو النظام بعينه »

سقراط — « لكن الناس يختلفون فيما يزاولونه من الأعمال . فهل من الواجب أن يكون لكل عمل نظام ؟ »

المصرى — (ساخراً) « هذا بدهى . النظام واجب للعمل أيا كان وعه وهذه الحقيقة ينبغى الا تعزب عن سقراط »

سقراط — « لقد سمعت من نظاركم ومعلميكم أن لأطفالكم ولوعا بالألعاب الرياضية وبخاصة لعب الكرة وأن لكل مدرسة فرقة لكرة القدم وأن هذه الفرق تتبارى فى أيام معينة من العام الدراسى وأوكد لك أنى مبتهج بما سمعت فان للالعاب فوائد تذكر ومزايا لاتجحد »

المصرى — « إن ما سمعتَه لحق وكم وددتُ لو كنت معنا بالأمس لتشهد مباراة من هذه المباريات بين مدرستى **محمد على** والمنيرة إذَنْ لرأيت مبلغ ما وصلنا اليه من العناية بالألعاب »

سقراط — « إنه ليؤسفنى حقا أن تُفْلتَنى هذه الفرصة ولعلى

لا أخطئها مرة أخرى ولكن خبرنى هل من اللازم أن يكون للعب الكرة نظام »

المصرى — « طبعا وأى شىء أولى بالنظام من لعب الكرة ؟ فان لكل عضو من أعضاء الفرقة عملا محدودا وموقفا معينا فان توانى فى عمله أو جاوز موقفه فسد اللعب واختل نظام الفرقة فكانت الهزيمة »

سقراط — « وهل نستطيع أن نقول إن نظام الفرقة يعنى الهدوء الذى يجب أن يسود بين أفرادها ؟ »

المصرى — « ما هذا السخف ياعزيزى سقراط ؟ كيف يتصور عاقل مباراة فى الكرة يقف فيها اللاعبون ساكنين هادئين كأن على رءوسهم الطير ؟ أن من أظهر مميزات لعب الكرة هو ما تراه بين اللاعبين من كرّ وفرّ وإقبال وإدبار والكرة بينهم :

كريشة بمَهبّ الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق

فأين يكون الهدوء والسكون فى لعب الكرة ؟ »

سقراط — « لقد أحسنت القول وأجدت التصوير ياسيدى ولكن ماذا يعنى نظام لعب الكرة إذاً ؟ »

المصرى — « لم أكن من لاعبى الكرة فى أيام شبابى ولكنى أعتقد أن النظام هنا يعنى مبلغ ما يكون بين أعضاء الفرقة من حسن التعاون والائتلاف بحيث يكونون كرجل واحد فى هجومهم ودفاعهم حتى لا يجد خصومهم ثغرة يقتحمونها إلى المرمى »

سقراط — « إنك لم تتجاوز ما فى نفسى ولكن هذا يعنى أن النظام فى الكرة غيره فى الفصل »

المصرى — « هذا صحيح »

سقراط — « ولكنك زعمت أن للنظام مدلولا واحدا هو ما رأيت

اليوم فى مدارسكم من هذا الهدوء الشامل والسكينة التامة فى فصول الدراسة »

المصرى — (غاضبا) « لا يغب عنك يا سقراط إنك تناقش فى نظام أجمع رجال التعليم عامة على وجوبه وضرورة مراعاته فى المدارس وما كانت وزارة المعارف لتقُرّ هذا النظام لو لم تقتنع بفائدته فى سير التعليم وحسن أثره فى أخلاق الأطفال فاسمح لى أن . . . . . . »

سقراط —(مقاطعا) « ألاَ إنه ليحزننى ياسيدى أن تجد فى حوارى مايغضبك وما كنت لاعيب نظاما ألفتموه وجربتم عليه زمنا طويلا وما والله إلى هذا قصدت ولكنى أطمع أن أصل إلى الحق لاقتنع به كما اقتنع رجال التعليم فى مدارسكم »

المصرى — « فَلْتَطمَع فيما شئت ولتقتنع بما شئت ياسقراط ولكنى لا أحسبك مستطيعا أن تزعزع عقيدتى فى نظام أجمع الكل على ضرورته فأنتم معشر الفلاسفة تأبون إلا أن تجادلوا الحق بالباطل حتى تحولوا الممكنات إلى مستحيلات وتردوا البَدَهيَّات الواضحات نظريات معمَّيات »

سقراط — « شكرا لك - يا عزيزى - على حسن ظنك بالفلاسفة ولكن دعنا فيما نحن فيه فقد اضطررتنى الآن إلى أن أفهم أن النظام إذا أضيف إلى لعب الكرة كان معناه حسن التعاون والائتلاف بين أفراد الفرقة فاذا أضيف إلى التعليم فى الفصل ، كان معناه ذلك الهدوء الشامل الذى يسود بين الأطفال »

المصرى — « يظهر أنه لابد من التسليم بذلك »

(٤)

سقراط — « ولكن خبِّرنى هل ابتهاج الصغار بالتعلم فى الفصل يعدل أو يزيد أو يقل عن ابتهاجهم بلعب الكرة »

المصرى — « لا يسع أى امرىء إلا أن يلحظ أن الأطفال فى لعب

الكرة أكثر ابتهاجا وأعظم سروراً منهم فى الفصل وهذا بَدَهىّ جدا »

سقراط — « أليس هذا يعنى أن لعب الكرة على ما فيه من قيود وواجبات أحب إلى نفوس النشء من التعليم فى الفصل »

المصرى — « بلى لقد قلت أن هذا طبيعى وبدهى أيضا »

سقراط — « وليت شعرى ما علة التفاوت فى الأمرين والطفل هو الطفل ؟ »

المصرى — « كيف يغيب عنك يا سقراط أن اللعب حركة والتعليم سكون وأن الحركة من أهم خصائص الطفولة ؟ »

سقراط — « حسن فالحركة إذاً من أظهر مميزات الطفولة وهى من أجل هذا مدعاة للكراهة »

المصرى — « إن هذا لكما تقول »

سقراط — فاذا استطعنا أن نمزج التعليم فى الفصل بالحركة فهل يصبح سارا محببا إلى نفوس الأطفال كلعب الكرة ؟ »

المصرى — « لا شك فى ذلك »

سقراط — « ولكن بماذا نصف كل عمل يقمع الحركة فى الأطفال »

المصرى — « هو عمل بغيض إلى نفوسهم »

سقراط — « فاذا كان هذا العمل تعليما فبماذا نصفه ؟ »

المصرى — تعليم عقيم بغير نزاع »

سقراط — « لكنكم تنشدون السكون فى الفصل لأنه نظام وأنتم جد حريصين على هذا النظام فأنتم إذاً تنشدون أمرا بغيضاً إلى نفوس الأطفال »

المصرى — « يظهر أننا على خطأ فيما نبغى »

سقراط — « ولكن هل هذا يعنى أن نطلق العنان لحركات الأطفال فى الفصول كما نفعل فى الملعب ؟ »

المصرى — « إذَنْ نكون قد جنينا على التعليم »

سقراط — « فأنت إذاً لا ترضى أن تدع الأطفال يلهون فى الفصول كما يشاءون لأنهم لا يتعلمون وأنت كذلك لا ترضى لهم أن يجلسوا فى الفصول هادئين ساكنين يستمعون إلى المعلم لأن الحركة من أظهر ميولهم فما العمل إذاً ؟ »

المصرى — « أظن انه لا بد من التفكير فى طريقة تجمع بين تعليم الأطفال وإرضاء ميولهم »

سقراط — « نعم يجب أن تفكروا فى هذه الطريقة ولعلكم موَفَّقون إن شاء الله »

وما كاد سقراط ينتهى من كلمته الأخيرة حتى سمعت ناقوسا يدق ، بدا صوته فى خفوت يقرب من الهمس ، ثم أخذ يدنو من سمعى شيئا فشيئا حتى امتلأت به نفسى وامتلك علىّ شعورى وحسى ، ففتحت عينى فإذا المنبهُ الذى أضعه بمسمع منى كل ليلة يملأ أرجاء الغرفة بصلصلته مؤذنا بأن الساعة قد أوفت على السادسة .

الغريزة

أمثلة من الغرائز (١)

— ٢ —

بقلم الدكتور علي عبد الواحد وافي
أستاذ التربية وعلم النفس والاقتصاد السياسي بدار العلوم
وقسم التخصص بالأزهر

١٥ — غريزة الاسترقاق : — وهو استعداد فطرى يحمل الحيوان على استعباد غيره وتسخيره فى قضاء مايحتاجه . وقد زود به كثير من الحيوانات وعلى الأخص بعض فصائل من النمل أشهرها نوع يسمونه « الفورميكاريفيسنس Formica Rufescence » يرجع الى الأستاذ « بيير هيبير P. Huper » الفضل فى الكشف عن هذه الغريزة لديه ، وإليك ملخص ما قاله فى هذا الصدد :

يوجد فى كل قرية من قرى هذا النوع طائفتان من النمل : الطائفة الأولى طائفة الأسياد ويتكون أفرادها من فصيلة « الفورميكاريفيسنس » نفسها ، وتنقسم الى ثلاثة أقسام : الاناث المنتجة والذكور الملقحة والاناث العقم المقاتلة ؛ والطائفة الثانية طائفة الأرقاء التى يتكون أفرادها من فصيلة تسمى « الفورميكا فيسكا Formica Fusca » تختلف اختلافا كبيرا فى لونها وفى حجمها عن فصيلة أسيادها « الفورميكاريفيسنس » (يعيش كثير من جماعات الفورميكا فيسكا فى قرى مستقلة غير خاضعة لأى سلطان أجنبى ، وفى هذه الحالة يوجد فيها ذكور ملقحة وإناث منتجة

(١) راجع العدد الأول من « صحيفة دار العلوم » ص ٨٧ — ٩٨

ولكنها فى حالة رقها وخضوعها للفورميكاريفيسنس تصاب ذكورها وإناثها بالعقم) .

أما الاناث المنتجة فلا عمل لها إلا تلقى اللقاح ووضع البيض؛ وأما الذكور الملقحة فلا عمل لها كذلك إلا الإلقاح ؛ وأما الاناث العقم المقاتله فلا تقوم بأى عمل غير الغزو والحصول على الارقاء كلما دعت الحاجة ، وذلك بأن تغير على قرية من قرى « الفورميكافيسكا » المستقلة وتسلب ماتجده فى هذه القرية من البيض وتحمله إلى أحجارها حيث يفقس ويصبح نتاجه من طائفة الخاضعين ؛ وأما الأرقاء فتقوم وحدها بكل الأعمال اللازمة للقرية وما فيها كحفر الأجحار وبناء الخلايا اللازمة للبيض ، وحراسة القرية والزود عنها ، وتعهد ماتضعه الإناث المنتجات من البيض ، وتربية مايخرج منه من الديدان ، وجلب الغذاء وادخاره واطعام أسيادها الكبار أنفسها بأن تضع القوت فى أفواهها ، وإذا دعت الحاجة إلى تغيير القرية لعدم صلاحيتها مثلا فالأرقاء وحدها هى التى تقوم بتخطيط القرية الجديدة وتنظيمها وحفر الأجحار فيها ونقل أسيادها إليها ، فترى كل رقيق حاملا فى فمه سيدا من أسياده ولا يزال يعدو به حتى يضعه فى مكان من القرية الجديدة مقابل للمكان الذى كان به فى القرية القديمة . الخ . وقد لاحظ الأستاذ «بيرهور» أنه لو تجردت قرية من قرى « الفورميكاريفيسنس » من الأرقاء لفنى أفرادها فى زمن وجيز . وأثبت ذلك بتجربة أجراها بأن ترك طائفة من الفورميكاريفيسنس فى قرية من قراها بدون ارقاء . فعلى الرغم من أن هذه القرية كان بها كمية كبيرة من القوت المدخر الذى يثير وجوده غريزة طلب الغذاء ، وطائفة من البيض ومن الصغار التى يثير وجودها غريزة الأبوة لدى الكبار ، فان هذه لم تبد حراكا ولم تقم بأى عمل نحو بيضها وصغارها و لم تستطع

حتى اطعام نفسها بنفسها فمات أكثرها جوعا والقوت بين يديه وفى معظم الصغار . وحينئذ أدخل الأستاذ هوبر رقيقا واحدا من الأرقاء التى كان قدانتزعها من القرية . فطفق هذا الرقيق من فوره يعمل على تنظيم القرية واسعاف مابقى فيها من أسياده على قيدالحياة ، فحمل القوت للكبار ووضعه فى أفواهها وتعهد الصغار ، وأخذ يبنى الخلايا ، يصلح ماتهدم منها ، وهكذا لم يمض وقت طويل حتى دبت الحياة فى القرية وعاد كل شىء فيها سيرته الأولى بفضل هذا الرقيق .

ولا يخفى ما لغريزة الاسترقاق هذه من الاتصال بغريزة طلب الغذاء

١٦ — غريزة الخضوع للغير — وهى الغريزة المقابلة للغريزة السابقة ، فهى استعداد يحمل الحيوان على الخضوع للغير وخدمته وقضاء حاجياته ، وتوجد لدى طائفة كبيرة من الحيوانات الداجنة (الكلب ، الحصان ، الحمار ، البقر . . . الخ) : « وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون » . وتوجد كذلك لدى طوائف أخرى من الحيوانات غير المستأنسة ومن الحشرات . وقد تبين لك مماقلناه فى غريزة الاسترقاق أن غريزة الخضوع هذه قد بلغت أقصى مايمكن أن تبلغه لدى « الفورميكا فيسكا » التى تتخذها أفراد « الفورميكا ريفيسنس » بمثابة أرقاء .

١٧ — غريزة العطف على الأجنبى — يوجد العطف على الأجنبى بشكل غرزى عند كثير من طوائف الحيوانات أشهرها مايلى :

ا — النمل ، الذى زودت بعض طوائفه باستعداد فطرى يحملها على أن تؤوى لديها أصنافا معينة من الحشرات ذات الغرائز الطفيلية التى لايمكنها أن تعيش إلا بمجهود غيرها ، ويدفعها إلى القيام بكل مايلزم لحياة هـذه الحشرات الأجنبية عنها التى لا تمتّ إلا فصيلتها بأية صلة . ومن الغريب أن كثيرًا من هذه الحشرات لا تـكتفى بما يحمله لها كباو

النمل من القوت بل تسطو على صغاره وتفترسها ، وهكذا لا يمضى على القرية التى حلت فيها زمن يسير حتى تبيد ويفنى ما فيها (ويرجع إلى الأستاذ واسمان « E. wasmann » الألمانى الفضل فى الكشف عن هذه الغريزة) .

ب — « البيسرون » (صنف من البعوض يعكف على النباتات) الذى لاحظ العلامة «هوبير» وجود هذه الغريزة عند بعض أنواعه ونقل ذلك عنه «دارون» فى كتابه « أصول الأنواع » بعد أن أثبته بالتجارب ، حيث قال ما ملخصه : « يحيط بالبيسرون طائفة من النمل تخزه وخزات خفيفة بخراطيمها فيفرز لها سائلا خاصاً تتغذى به . وقد ثبت لى أن هذا العمل غرزى وأن البيسرون لا يقوم به إلا مع النمل . فقد أبعدت مرة طائفة من النمل كانت تحيط بنحو اثنتى عشرة بعوضة من هذا الصنف فوق شجيرة من الشجيرات ، ولم أدع أى نملة جديدة تدنو منها فى أثناء بضع ساعات . فلاحظت أن البعوض قد أحجم طول هذه المدة إحجاماً تاما عن الإفراز وعبثاً حاولت إثارة إفرازها بطريقة شبيهة بالطريقة التى يسلكها معها النمل . فقد عمدت إلى شعرة دقيقة وأخذت أداعب بها بطونها كما تفعل معها النمل بخراطيمها مستعينا فى عمل هذا بمنظار معظم . ولكنها ، على الرغم من ذلك وعلى الرغم من مضى مدة طويلة تحتاج بعدها للإفراز ، أبت إلا التمادى فى الاحجام . وحينئذ تركت نملة واحدة تدنو منها . فأخذت هذه النملة تخز كل بعوضة منها بخرطومها وما هى إلا فينة يسيرة حتى طفق البعوض كله يفرز سائله السكرى وأخذت النملة تمتصه بنهم شديد » .

هذا ، ولا يخفى ما لهذه الغريزة فى جميع مظاهرها من الصلة بالغريزة السابقة (غريزة الخضوع للغير) .

١٨ – غريزة الاجتماع – وهى عبارة عن ميل فطرى مزودة به طائفة من الحيوانات العليا والحشرات والطيور (الإنسان ، الفيل ، القردة . الأنعام ، النحل ، النمل ، الدجاج ، النعام ، البجع . . . .) يحمل كل فرد من أفرادها على طلب العيش وسط جماعة من طائفته وعلى الاندماج فيها وعلى القيام بأعمال من شأنها ، حمايتها وإصلاح شأنها .

ولا يخفى مالهذه الغريزة من الصلة بغريزة طلب الغذاء .

١٩ – غريزة الملكية والاستئثار – قد زودت طائفة كبيرة من الحيوانات (منها الإنسان) باستعداد فطرى يحملها على اعتبار كل شىء نافع لها من الأشياء التى تعثر عليها أو يكون لمجهودها أثر فى إيجادها بمثابة ملك خاص بها تستأثر به وتزود عنه وتمنع الغير أن تمتد يده إليه . وتظهر هذه الغريزة بشكل جلى فيما يتعلق بأغذية الحيوان ومنازله . فترى الحيوانات آكلة اللحوم يأخذ منها الغضب كل مأخذ إذا حاول حيوان آخر مشاركتها فى فريستها أو أخذها منها فتصول وتزأر وإذا لم تستطع دفع المعتدى فرت هاربة بفريستها ؛ وترى الهرة تدفعك بكل ما أوتيت من قوة إذا حاولت أن تأخذ منها قطعة لحم ولو كنت أنت الذى أعطيتها إياها . وترى الطفل الإنسانى نفسه ، ولما يتجاوز طفولته الأولى ، يسلك نفس السلوك حيال كل من يحاول أخذ غذاء من يده أو الاستيلاء على لعبة من لعبه أو على هنة من الهنات التى يعتبرها ملكه الخاص ولو كان أقرب الناس إليه . وترى صغار كثير من الحيوانات الثديية ، وهى لم تمنح بعد نعمة البصر ، يدفع كل منها الآخر عن ثدى أمه ليستأثر هو بالغذاء . ويشترك معها فى هذا المعنى صغار كثير من الطيور التى يطعمها أبواها (ولهذه الغريزة مظهر غريب لدى أفراخ الكوكو تكلمنا عنه فى نهاية كلامنا عن غريزة وضع البيض فى أعشاش الغير . – انظر رقم ٨)

وترى الديك القوى يدفع الديكة الضعيفة عن الطعام محاولا أن يستأثر به لنفسه ولدجاجاته . . . ؛ وترى معظم الحيوانات والطيور تذود عن عرينها وأجحارها وأعشاشها ومنازلها وقرارها بوسائل خاصة فطرت عليها . سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ويلطف هذه الغريزة فى كثير من المواقف غرائز أخرى أهمها غريزة الأبوة والغريزة الجنسية وغريزة الخضوع للغير وغريزة العطف على الأجنبى والغريزة الاجتماعية (انظر ٣ ، ٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨) .

ولا يخفى مالهذه الغريزة من الاتصال بغريزتى طلب الغذاء والخطر (أنظر ١ ، ٢)

(٢٠) — غريزة المهاجرة — زودت طائفة كبيرة من الطيور باستعداد فطرى يحملها ، عند حلول بعض فصول السنة ، على الهجرة إلى اقليم أكثر ملاءمة لحياتها ولغذائها ولما يتطلبه تكوينها الجسمى من الاقليم الذى قضت فيه الفصل السابق . ومن هذه الطيور الجراد (وقد هاجرت طوائف منه إلى مصر أكثر من مرة وسببت هجرتها خسارات فادحة للمحصولات الزراعية) وما يسميه العامة بأبى فصادة وبعصفور النبى اللذين يهاجران إلى مصر فى فصل الربيع وما يسميه الفرنجة بالكدكد وهو كثير الهاجرة .

وهذه الغريزة كالتى قبلها متصلة اتصالا وثيقا بغريزتى الغذاء والخطر

(٢١) — غريزة الاستئناس والتوحيش — تطلق كلمة المستأنس على كل حيوان لا ينفر من الإنسان ويميل إلى العيش معه ، والمتوحش على كل حيوان ينفر منه ، يرهبه . وقد قرر الأستاذ ، وليم جمس ، أن طائفة كبيرة من الحيوانات تولد مزودة بغريزة الاستئناس أو على الأقل مجردة من غريزة التوحش . ولكن هذا الاستعداد إن لم يتعهد من وقت الولادة

ويعوذ صاحبه الاختلاط بالنوع الانسانى لايلبث أن يتلاشى وتحل محله غريزةالتوحش والنفور من الانسان ولو كان الحيوان من فصيلة الدواجن واذ ذاك يصعب ارجاعه إلى فطرة الاستئناس الأولى وبخاصة إذا كانت كباره متوحشة .

ولا يخفى مالهذه الغريزة من العلاقة بغريزتى الغذاء والخطر .

(٢٢) – غريزة التشكل والتلون : — وهى استعداد فطرى يحمل الحيوان على تغيير لونه أو شكله فى بعض الفصول او فى بعض المواقف أو عند شعوره بانفعالات خاصة .. الخ ، مستعينا فى ذلك بخواص طبيعية فى تركيبه الجسمى أو بأشياء خارجة عن جسمه . وقد زود بهذا الاستعداد الغرزى كثير من الحيوانات والحشرات نجتزئ بأن نذكر منها مايلى :

ا – الحرباء ، التى قد ذهب لونها بلون المكان الدى تحل فيه مضربا للأمثال .

ب – بعض فصائل الكراب (حيوان بحرى صغير) التى تلصق بظهرها وبأرجلها بعض أعشاب من نبات بحرى يسمى الألج « Algue » لدرجة تلتبس معها بذلك النبات فتضلل الناظر إليها .

ولا يخفى أن هذه الغريزة متصلة فى معظم مظاهرها بغريزة الخطر (انظر رقم ٢)

٢٣ — غريزة حب الاطلاع : – وهى استعداد فطرى يحمل الانسان وبعض أنواع الحيوان إلى الاقتراب من الشيء الغريب أو الجديد أو غير المألوف لاختباره ومعرفته والتحقق منه والحكم عليه .

ولهذه الغريزة اتصال وثيق فى أصلها بغريزتى طلب الغذاء والخطر (انظر ١ ، ٢).

٢٤ — غريزة الحل والتركيب : — يولع الطفل الانسانى فى دور من أدوار طفولته بتحطيم معظم الأشياء التى تصل إليها يده وبتحليلها إلى أجزائها ثم بترتيبها وإرجاعها إلى ما كانت عليه مجيباً بذلك داعى غريزة يطلق عليها بعضهم غريزة الحل والتركيب وبعضهم غريزة التجربة ، وإن هى فى الواقع إلا مظهر من مظاهر غريزة حب الاطلاع السابق ذكرها .

٢٥ — غريزة حب الظهور : — ويسميها بعضهم بغريزة حب التسلط أو حب السيطرة . وهى ميل فطرى يحمل الحيوان على أن يدل بقواه الجسمية أو النفسية على محاولة السيطرة على غيره ، وتلازم الانسان فى كل أدوار حياته ، وتوجد كذلك عند طائفة من الحيوانات العليا والطيور ، فترى الحصان مثلا يتظاهر بقوة عضلاته ، فيقف عالى الرأس مقوس الرقبة شامخ الأنف ، وإذا سار مع غيره قويت حركته وظهرت رغبته فى سبقه ، وترى الكلب الكبير يتظاهر أحياناً بالقوة أمام الكلاب الصغيرة ، والدجاجة تتبختر فى مشيتها أمام أفراخها ، والديك تبدو عليه مظاهر العجب بجسمه وريشه وصوته أمام دجاجاته ؛ وذكر الحمام أمام أنثاه . وهلم جرا . وواضح أن الحيوانات والطيور لاتشعر بالفخر الذى تتضمنه هذه الغريزة .

ولا يخفى ما لهذه الغريزة فى كثير من مظاهرها من الصلة بالغريزة الجنسية (انظر ٣) .

٢٦ — غريزة تنظيف الجسم وتنظيم ماعليه من شعر أو ريش : — توجد هذه الغريزة لدى جل الطيور فترى صغارها نفسها وهى لاتزال فى عشها تقوم بتنظيم ريشها وتنقيته مما عسى أن يكون عالقاً به من مواد

أجنبية أو حيوانات طفيلية مستعينة فى ذلك بمنقارها ، وتقوم بهذه العملية بشكل فطرى غريزى ، بدليل أنها تؤديها ولو لم تر أحداً من كبارها يعملها أمامها . وتبالغ فصائل كثيرة من الطيور فى العناية بالنظافة . فتميل بغريزتها إلى الاستحمام برش الماء على ريشها ونفضه (ومن هذه الفصائل الحمام واليمام وما إليهما) . وتوجد هذه الغريزة كذلك عند كثير من الحيوانات الثديية كالقطط التى تقضى شطراً كبيراً من وقتها فى لعق جسمها وتنظيفه بلعابها .

ولا يخفى مالهذه الغريزة من الصلة بالغريزة السابقة .

٢٧ — غريزة السباحة : — وقد زود بها ، كما هو مشاهد ، كثير من طوائف الحيوانات والطيور ، فترى البطة الصغيرة بمجرد خروجها من البيضة تسبح فى الماء بمهارة لا تقل مطلقا عن مهارة كبارها ، ولو لم تر من قبل أحداً منها يقوم أمامها بهذه الحركات .

٢٨ — غريزة الغناء : — وقد زودت بها طوائف كثيرة من الطيور داجنها ووحشيها . وتبدو مظاهرها لديها فى فصول معينة أو فى مواقف خاصة أو تحت تأثير بعض الحالات الجسمية أو النفسية .

الآداب الأجنبية

في الأدب الانجليزى

تعليق صورة

بقلم جيروم ك. جيروم (١)

ترجمة مهدى علام

المفتش بوزارة المعارف وعضو المكتب الفنى بها

. . . . ولا تسل عن تلك الجلبة الصاخبة التى يحدثها العم « پُدْجَر » فى البيت إذا ارتأى أن يقوم بعمل من الأعمال . فهذه صورة قد أحضرها صانع الأُطر ، وها هى ذى فى حجرة الطعام فى انتظار من يعلقها على جدار الحجرة . وتقف العمة « ماريا » متسائلة عما يصنع بتلك الصورة . وعندئذ يتقدم العم « پُدْجَر » للميدان قائلا : « أنا لها ، أنا لها ، فلا يشغلن أحد منكم نفسه بذلك ؛ فأنا كفيل بهذا العمل جميعه » .

ثم تراه وقد نزع عن كتفيه ظهريته استعدادا لذلك العمل العظيم ! ثم يشرع يعد العدة ، ويرسل الرسل ، ويستعين بالمساعدين للنهوض بذلك العبء الثقيل ! فيرسل الخادم لتبتاع مسامير بنصف شلن ، وما إن تغادر الخادم الدار حتى يرسل فى عقبها أحد الأولاد ليخبرها بحجم المسامير التى تشتريها .

(١) « Jerome K. Jerome » كاتب عصرى ، شهير بتهكمه الظريف ، وكتابته الفكهة ، ويكاد لا يوجد قارئ للانجليزية لم يقرأ بعض كتبه . وهذه القطعة مختارة من كتابه : « ثلاثة رجال فى زورق» — « Three Men in a Boat »

وهكذا يجد العم «پدجر» لكل يد فى المنزل عملا تعمله فى سبيل تعليق هذه الصورة على أحد جدران حجرة الطعام .

وإنك لتسمعه يصيح: «ولِيَمْ ، إلىّ بقدومى سريعا . وأنت يا «تُمْ» ، أحضر لى المسطرة ، وسأحتاج إلى سلّم ، وأظن أننى سأحتاج كذلك إلى كرسى من كراسى المطبخ . وأنت يا «جِمْ» ، اذهب إلى مستر «كُوكُلُزْ» وقل له : والدى يبعث إليك بأرق تحياته ، ويتمنى أن تكون رجلك قد تم برؤها ، وهل لك أن تعيرنا ميزان التسوية ؟ وأنتِ يا «ماريا» ، لا تبرحى هذا المكان فسأحتاج إلى شخص يمسك لى بالمصباح ؛ وإذا حضرت الخادم فلتخرج ثانية لتشترى قطعة من شريط الصور ، ثم تم ! أين تم ؟ تم ، هلم إلىّ فسأحتاج إليك لتناولنى الصورة » .

وبعد كل هذه الأوامر يرفع العم پدجر الصورة ، فتسقط من يده ، وتخرج الصورة من الإطار . ويحاول العم پدجر أن ينقذ لوح الزجاج فيجرح يده . فيقفز فى الحجرة باحثا عن منديله ، ثم هو لا يستطيع أن يجد ذلك المنديل ، لأنه كان فى ظهريته التى خلعها ، وهو لا يذكر أين وضع تلك الظهرية . وعلى أهل الدار جميعا أن يكفوا الآن عن البحث عما كلفهم البحث عنه من الآلات ، وأن يشرعوا جميعا يبحثون عن ظهريته . على حين يظل هو دائرا بينهم بيده المجروحة يعوق بحثهم . ثم يجلس وهو ينادى صاخبا برما :

« أليس فى هذه الدار شخص واحد يعرف أين وضعتُ ظهريتى ؟ الا إننى أشهد أننى لم ألق فى حياتى جماعة من الناس مثلكم ! لعمرى إن هذا لهو البلاء المبين . ستة أشخاص ! نعم ستة ، وليس فى قدرتكم أن تجدوا ظهرية وضعتها هنا منذ أقل من خمس دقائق ! ألا لعنة الله . . . . » .

ثم ينهض من مكانه حنقا ، فيلفى أنه كان جالسا على الظهرية المفقودة . فينادى بأعلى صوته : « كفوا عن بحثكم المضيع ، فقد وجدتها أنا نفسى ؛ وإن مجهودكم فى البحث عن شىء لا يفضل مجهود قطة » .

وبعد انقضاء نصف ساعة فى تضميد جرحه ، وشراء لوح آخر من الزجاج ، وإحضار الآلات لتعليق الصورة ، وإعداد السلم ، والكرسى ، والشمعة ، ينهض العم « پدجر » ليحاول محاولة ثانية . والأسرة على بكرة أبيها ، ولا نستثنى الخادم ولا الغسالة ، تقف حوله فى نصف دائرة ، استعدادا للمساعدة : فاثنان منا يمسكان بالكرسى ، وثالث يساعده فى الصعود إليه ، ويؤازره فى البقاء عليه ، ورابع يناوله المسمار ، وخامس يعطيه القدوم . وما إن يتناول المسمار حتى يسقط من يده .

وعندئذ تسمعه صارخا بصوت ملؤه الأسى : « ها هو ذا المسمار قد سقط ! » وعلينا إذ ذاك أن نخر جميعا زاحفين على ركبنا ، باحثين عن المسمار الضائع ، على حين يقف هو على الكرسى متململا قائلا : « هل أبقى على هذا الكرسى طول ليلتى ؟ » .

وأخيرا نعثر على المسمار ، ولكنه إذ ذاك يكون قد فقد القدوم . « أين القدوم ؟ ماذا صنعتُ بالقدوم ؟ يا للعجب ! سبعة أشخاص يقفون هنالك وقفة اليائس لا يعرفون أين وضعتُ القدوم ! » .

وما إن نجد له القدوم حتى يكون قد فقد العلامة التى كان قد وضعها على الحائط ليدق المسمار عليها . وعلى كل واحد منا أن يعتلى الكرسى إلى جانبه ليرى أفى استطاعته أن يجد تلك العلامة الضائعة . ويؤكد كل واحد منا أنه رآها فى موضع يخالف مواضع الآخرين . والعم « پدجر » يسفه آراءنا جميعا واحدا تلو الآخر ، وهو يأمرنا بالنزول عن الكرسى . ثم يتناول المسطرة ويشرع يقيس قياسا جديدا للبحث عن النقطة المنشودة .

وهنا تقابله مشكلة حسابية ، فهو يريد أن يعرف نصف ثلاثة أثمان وإحدى وثلاثين بوصة . ويحاول حساب ذلك بعقله ، ويخطئه التوفيق فيجن جنونه .

ونتقدم نحن للإنقاذ والمساعدة ، فنحاول كذلك أن نصل إلى حل هذه المسألة بالحساب العقلى ، ونخرج جميعا نتائج لا تتفق فيها اثنتان ، ويسخر بعضنا من بعض ، وفى غمرة ذلك الضجيج ننسى الرقم الأصلى الذى نريد تنصيفه ؛ ويضطر العم « پدجر » إلى القياس مرة أخرى .

ويعدل كبيرنا هذه المرة عن المسطرة ، ويستخدم بدلها خيطا . وفى اللحظة الخطيرة ، حينما يكون الأحمق قد مال على الكرسى بما يحدث زاوية ذات خمس وأربعين درجة ، محاولا أن يدرك بيده نقطة تبعد ثلاث بوصات عن أقصى ما يمكنه أن يدركه ، يسقط الخيط ، وينزلق العم « پدجر » على المعزف « البيانو » . ومن الإنصاف أن أقول إن مجموعة جميلة من النغمات الموسيقية قد أحدثها سقوطه فجأة ، ووقوع رأسه وجسمه ونقرهما على جميع مفاتيح المعزف دفعة واحدة .

وعندئذ تعلن العمة « ماريا » أنها لا تسمح ببقاء الأطفال فى الحجرة يسمعون مثل تلك اللغة التى يعبر بها العم « پدجر » عن شعوره لدى ذلك الحادث !

وأخيرا يوفق العم « پدجر » إلى تعيين موضع المسمار ، ويضع سن المسمار على العلامة بيده اليسرى ، ويمسك بالقدوم بيده اليمنى ؛ وبأول طرقة بالقدوم يهشم إبهامه ، فيصيح قاذفا بالقدوم على قدم واحد من الواقفين .

وهنا تعلن العمة « ماريا » أنها ترجو — إذا ارتأى العم « پدجر » أن يدق مسمارا فى الحائط مرة أخرى — أن يخبرها قبل ذلك بزمن يتسع لترتيب

شؤونها بأن تغادر البيت ، وتذهب لقضاء أسبوع مع والدتها ريثما تنتهى تلك « العملية » !

ويجيبها العم « پدجر » قائلا : « عجبا لكن أيتها النسوة ! إنكن أبدا صاخبات مولولات لأقل الأمور خطرا » . ثم ينهض قائلا : « إننى أحب القيام بعمل صغير من هذا النوع » .

ويحاول محاولة أخرى ، ولدى الطرقة الثانية بالقدوم يدخل المسمار من أوله إلى آخر فى ملاط الحائط ، ومن ورائه نصف رأس القدوم ، مما يخل توازن العم « پدجر » ، ويدفعه إلى الحائط بقوة تكاد تكفى لتسوية أنفه بسطح وجهه .

وعندئذ نبحث عن المسطرة والخيط مرة أخرى ، ويُختار للمسمار موضع جديد . وقبيل منتصف الليل تكون الصورة قد أخذت مكانها من الحائط ، مائلة قلقة ، على وشك السقوط . وترى الحائط حولها فى مساحة أربع يردات مربعة ، محطمة مهشمة ، وكل من فى البيت منهوك القوى ضجر ، عدا العم پدجر ، فانه يقفز عن الكرسى فوق قدم واحد منا وهو يقول فرحا مبتهجا :

« هأنتم أولاء ترون الصورة معلقة . ألا إنه ليبلغ السخف ببعض الناس أن يستأجروا صانعا ليقوم بعمل صغير كهذا ! »

مهدى علام

خطبـــة لأنيبال

وموازنة بينها وبين
خطبة طارق بن زياد مولى موسى بن نصير

للأستاذ حامد عبد القادر
وكيل كلية أصول الدين

تمهيد تاريخى :

حوالى القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد ، نشأت دولة شرقية فتية فى إفريقية على الساحل الجنوبى الغربى للبحر الأبيض المتوسط ، فى البلاد المعروفة الآن ببلاد تونس . وكانت عاصمة هـذه الدولة مدينة قرطاجة (Carthage) كما يسميها الفرنجة ، أو قرْيَت حَدِيشْتَ كما كان يسميها مؤسسوها ، ومعناها باللغة الفينيقية « القريَة الحديثة » أو المدينة الجديدة . وسموها المدينة الجديدة ليفرقوا بينها وبين مدينتهم القـديمة عاصمة بلادهم الأصلية التى هى صور ، أو ليميزوها من مدينة كانت تسمى أوتيكا أسست قبلها بنحو ثلاثمائة سنة ، وعلى بعد نحو خمسة عشر ميلا من شمالها الغربى .

ويظن البعض أن قرطاجة أسست فى أواخر القرن الثانى عشر قبل الميلاد . والمؤرخون يقصون فى تأسيسها أسطورة بديعة . ومهما يكن فى هذه الأسطورة من صواب أو خطأ فلا ريب فى أن قرطاجة كانت إحدى المدن الكبرى الهـامة التى أسسها الفينيقيون على ساحل البحر الأبيض . وكان تأسيسها فى عصر ملوك صـور إحدى عاصمتى الدولة الفينيقية .

نشأت هذه الدولة . وأخذ شأنها يعلو من النصف الثانى من القرن

السادس قبل الميلاد ، وقد بلغت ذروة مجدها فى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد أيضا ، وذلك حين ظهر فيها قائد حربى دوخ الأمم وفتح البلاد وشهد له أعداؤه بالمهارة الحربية والبراعة فى الحيلة العسكرية ، وعده المؤرخون من أكبر القواد الذين يتحدث عن مفاخرهم التاريخ ، وتشيد بذكرهم الأجيال المتوالية . ذلك هو انيبال أو هنيبال أو حنيبعل [1] ذلك الفارس القرطاجى الذى تولى القيادة العامة لجيش قرطاجة بعد وفاة حميه حَسْدُوبال . وما زال نجمه فى الصعود حتى تمكن بذلك الجيش على قلة عدده أن يكتسح جميع الجيوش المعادية له فى إسبانيا وبلاد الغالة . وصار ينتقل من نصر الى نصر ، ويضم من يحب الانضمام إليه من جيوش أعدائه .

وقد بلغ أوج عظمته حينما دخل مدينة كانيا على الساحل الشرقى من ايطاليا ثم صار على بعد بضعة أميال من رومة . ولولا خذلان قومه له ، وميلهم الى المسالمة والصلح ، وعدم إمداده بالجيوش والذخيرة لكان من المرجح أن يتغير مجرى التاريخ العام باستيلائه على رومة وسيطرته على إيطاليا .

لما وصل ذلك القائد بجيشه إلى شمالى ايطالية ، وشعر بقوة مادية

---

(١) الاسم الأخير أقرب إلى الصواب فى نظرى ، ومعناه رحمة الاله ، لأنه مركب من كلمتين هما حن وبعل ، أما الأولى فمادتها الأصلية ح ن ن وتدل فى اللغات السامية على العطف أو الشفقة أو الرحمة ، وتتصل بها مادة ح ن و ، ويضاهيها بالعربية حنان وأما الكلمة الثانية فهى بعل ، ومعناها السيد أو الرب أو الاله ، وترد فى آخر كثير من الأسماء الفينيقية كما ترد كلمة « إيل » فى أواخر بعض الأسماء العبرية ، وكما يرد لفظ الجلالة فى الأسماء العربية مضافا إليه . وكانت ولادة حنيبعل حوالى سنة ٢٤٨ ق م ووفاته حوالى سنة ١٨٣ ق م

ومعنوية بعد انتصاراته المتوالية . أراد أن يعد جيوشه لاستئناف السير ، فأمرهم بالراحة لأنه آنس فيهم شيئا من الجهد والتعب ، بعد أن اقتحموا الجبال ، وعبروا الأنهار ، وخاضوا المعارك الدامية .

ويحدثنا التاريخ أن حنيبعل كان سياسيا محنكا ، وخطيبا مصقعا ، وسيتبين لك من الخطبة الآتية مبلغ قوة عارضته ، ومهارته الخطابية ، وقدرته على التأثير فى نفوس المحاربين وتحريضهم على خوض غمار الحروب والحملة على الأعداء حملة رجل واحد .

وفى هذه الخطبة أيضا تتجلى عظمة الرجل ، وشدة اعتداده بنفسه ، واعتزازه بجيشه ، واحتقاره لجيوش أعدائه .

والظاهر من سياق الخطبة أنه خطبها فى جيشه فى مكان كانت جبال الألب من خلفه . ونهر بو الواقع شمالى إيطاليا من أمامه ، وبحر الأدرياتيك عن شماله ، وخليج جنوة عن يمينه .

ولولا خشية التطويل لأتينا بالخطبة جميعها ، فيكفى أن نأتى بنصفها الأول الذى يشبه من وجوه شتى خطبة طارق بن زياد المشهور .

والخطبة كلها بين يدى الآن بالانجليزية ولا يبعد أن تكون مترجمة عن لغة أخرى أو أكثر عن اللغة البونية التى هى وليدة اللغة الفينيقية . والترجمة كما تعلم لا يمكن أن تكون طبق الأصل تماما ؛ لأن لكل لغة روحا خاصة بها ، فليس من البعيد أن يكون هناك فرق بين ترجمتى وبين الأصل البونى . ومع ذلك فالغالب أن يحتفظ المترجم بالمعنى العام ، والصورة التى يريد الخطيب أن يصورها للسامعين مع تصرف فى بعض التفاصيل القليلة الأهمية .

بعد هذا التمهيد أعرض على القارئ الكريم ترجمة النصف الأول من الخطبة فأقول :

قال حنيعل مخاطبا جيشه :

أيها الجنود ، إنى لا أدرى إذا كان الحظ لكم أو لمن فى ايديكم من الأسرى ؛ فقد شدّ بكم جميعا الوثاق ، وحمت الحاجات ، فعن اليمين وعن الشمال بحران يكتنفانكم ، وليست لديكم سفينة واحدة تهرعون إليها . ومن بين أيديكم نهر پو وهو نهر أعرض وأسرع جريا من الرون . ومن خلفكم جبال الألب ، تلكم الجبال التى لم تستطيعوا اقتحامها إلا بشق الأنفس حتى فى أيام وفرة عددكم . فهيا أيها الجيوش ، فليس أمامكم إلا الفناء أو النصر على الأعداء يوم لقائكم لهم .

أيها الجنود ، لا تيأسوا فإن تلك القدرة الالهية التى ألقت بكم فى هذا المأزق الحرج الذى يرغمكم على القتال هى عينها التى أعدت لكم على مرأى منكم نعيما عظيما ليكون أجراً لكم على انتصاركم وجزاء لا يرجو أعظم منه إنسان من الله الباقى .

إننا إن لم نستطع ببأسكم وحميتكم إلا أن نعيد إلى حوزتنا صقلية وسردينية ، اللتين سلبهما العدو من آبائكم سلبا ، لكان ذلك جزاء وفاقا لا يستهان به ، ولكن أين هاتان مما أعد لكم من ثروة رومة الطائلة ، وأموالها المكدسة وغنائمها التى سلبتها الأمم الأخرى . كل هذه وأصحابها ستكون لكم وفى حوزتكم .

إنكم أيها القوم طالما استعبدتم واستخدمتم فى رعى الأغنام والماشية فوق تلك الجبال الشاسعة ، جبال لوسيتانيا وكلتبيريا . ولما تجزوا بعد جزاء يساوى ما تحملتم من مشاق وصادفتم من أخطار . أما الآن فقد آن أن تعوضوا خير عوض على مسيركم الشاق المجهد ، وعلى اقتحامكم الجبال الشاهقة ، وعبوركم الأنهار الكثيرة ، وجوسكم خلال الديار التابعة

لأمم عديدة مسلحة . وهنا حيث جعلت العناية الالهية منتهى سعيكم ومحط رحالكم ، وههنا تضعون حدا لجهودكم الحربية المجيدة ، وتجزون الجزاء الأوفى على خدماتكم التى أديتموها تمام الأداء .

إنى أربأ بكم أيها القوم أن تتصوروا أن الانتصار صعب المنال ، أو تعتقدوا كما يعتقد الناس أن إعلان حرب على رومة أمر عظيم له وقع فى النفوس ولتعلموا أنه كثيرا ما تغلب جيش مستصغر على عدو مستعظم ، وصمد له فى معارك أريقت فيها الدماء ، وحصدت فيها الرءوس وكم ثلت عروش نخمة ، وأفنيت أمم عريقة فى المجد على أيدى جيوش قليلة العدد .

وإنكم لو جردتم رومة من اسمها الفخم البراق وصيتها الذائع فما الذى يبقى لديها مما تستطيع أن تقف به أمامكم ، وتنافسكم فى قوتكم وبأسكم ؟

وإننا لو تغاضينا عن خدماتكم الجليلة فى تلك الحروب الطاحنة المتعاقبة التى دامت عشرين حولا أظهرتم فيها ما أظهرتم من البسالة والاقدام ونلتم فيها ما نلتم من الفوز والنصر المؤزر . أقول لو تغاضينا عن هذه كلها لبقيت لكم مفاخر أخرى أعلى شأنا وأجل منزلة .

ألم تأتوا من أسوار هركوليس ، ومن أقاصى المحيط ، بل من أقاصى حدود الأرض ؟ ألم تجوسوا خلال ديار لأقوام عرفوا بالمهارة الحربية أمثال الاسبان والغالة ؟ ألم تصلوا إلى هذه البلاد منتصرين فائزين ؟

ومع ذلك فمن ستقاتلون ؟ ستقاتلون فلول جنود قواهم غير ناضجة ، وجيشا يعوزه النظام . قد كسرت شوكته ، وحاصره الغالة صيف العام الماضى . وما بالكم بجيش لا يعرف قائده ولا يعرفه قائده ؟

* * *

بعد ذلك الوقت بنحو تسعة قرون خرج طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ

من إفريقية مؤتمرا بأمر سيده موسى بن نصير ، وعبر البحر فى جيش قليل العدد يريد فتح الأندلس . وقد كانت ظروفه تشبه ظروف حنيبعل حينما اراد السير إلى رومة .

ويروى لنا التاريخ أن لُذَريق ملك القوط لما علم بقدوم طارق وعرف غرضه ، أعد جيشاً جرارا لمقاتلته ؛ فخاف طارق أن يجد الرعب سبيلا إلى قلوب جنوده لقلتهم ؛ فأحرق السفن التى أقلتهم حتى يقطع كل أمل فى فراراهم وعودتهم إلى بلادهم . ثم قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم حثهم على الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله فقال :

« أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مآدب اللئام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته وأقواته موفورة ؛ وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم . فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية . فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت . وإنى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أربأ فيها بنفسى . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا . فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه أوفر من حظى .

وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات فى الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان ، المقصورات

فى قصور الملوك ذوى التيجان . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولىّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً فى الدارين .

واعلموا أنى أول مجيب إلى مادعوتكم إليه ، وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله ، فاحملوا معى فان هلكت بعده فقد كفيتم أمره ، ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون » .

* * *

والمرء لايعجب كثيرا لما بين هاتين الخطبتين من تشابه بين وتقارب ظاهر ، لأن الظروف التى دعت إليهما تكاد تكون واحدة ، ومنزلة كل من الخطيبين من جيشه تكاد تكون واحدة أيضا ، فكل كان يهاجم جيشا كبير العدد بجيش قليل ، وكل كان فى بلاد أجنبية عبر البحر إليها ، وكل كان ينتمى إلى أمة فقيرة ، ولو نسبيا ، فى حاجة إلى التوسع فى الفتوح لأسباب سياسية اقتصادية ، وكل كان يقف من عدوه ومن البيئة الطبيعية المحدقة به موقفا حرجا فى حاجة إلى التشجع والتجلد .

وإنك إذا قرأت كلا من الخطبتين ثم بحثتهما بحثا دقيقا ، ثم وازنت بينهما ،وجدت الشبه بينهما واضحا جليا.كأن الروح التى أملتهما واحدة .

وأين أظهر نقط الاتفاق فى الخطبتين ؟ إقفال باب الأمل فى الفرار والهرب من وجه المحاربين ، والتخويف من العقبات الطبيعية المحيطة بهم من كل جانب ، والتخيير بين الهلاك التام وبين النصر المبين ، والترغيب فى الغنائم التى يحصلون عليها لو انتصروا .

غير أنك تجد فى خطبة حنيبعل نقطتين واضحتين تمام الوضوح هما تذكير الجنود بماضيهم المجيد وانتصاراتهم الباهرة ، وتحقير شأن العدو واستصغار قوته وكثرة عدده .

ولخطبة طارق على قصرها روعة خلابة . وقوة مؤثرة . وليس أدل على شدة تأثيرها من أن الجنود سمعوها فأطاعوا قائدهم ، وأتمروا بأوامره فبلغوا الغاية المقصودة .

ديوان الأطفال

المذياع

فى حجرة مجهزه   معـــدة بأجهزه
يلقى الخطيب خطبته   أمام أذن منصته
يهتز سلك واصـل   إلى جهـاز ينقل
وفى الجهات لاقطة   تذيع كل ساقطة
فلا يكاد ينطق   حتى يذاع المنطق
يبدو حديث الناصح   مثل الغناء الواضح
كأنه فى المجلس   بلمسة من محبس

خالد الشامى
ناظر مدرسة المعلمين بأسيوط

الشجرة

أوراقهـا مخضره   تجتلب المسره
وزهرهـا بديع   ونشره يضوع
ألوانهـا تموج   كأنهـا نسيج
وطلعهـا نضيـد   وظلهـا مـديد
غذاؤهـا فى المـاء   والأرض والهواء
والشمس تنضج الثمر   وتستعـين بالقمر

إن شقها الهواء فصوتها عُواء
أو مسها النسيم فصوتها رخيم
فاشكر صنيع الرب الخالق المربى

محمد عبد المنعم سالم
دبلوم دار العلوم ومدرس بالمدارس الابتدائية

قناة السويس

البحر الأبيض المتوسط – (مخاطبا البحر الأحمر):

يأيها البحر العميق يأيها الجار الشقيق
كيف الوصول إليك والصحراء تعترض الطريق ؟

البحر الأحمر (مخاطبا البحر المتوسط):

شوقى إليك بلا نظير يأيها البحر الغزير
هل من لقاء يجمع الأحباب فى يوم نضير ؟
هذى يمينى بالودا د ، وذى شمالى بالسرور
فامدد إلى ، كما مددت ، يد الإخاء بلا فتور

فردنان دى لسبس (مخاطبا البحرين):

بحران فياضان بينهما المودة والإخاء
لكن صحراء تباعد بين إخوان الصفاء
لا ، لا ، فإن العلم يقهرها ويفعل ما يشاء
وإذا أراد الله تمّم على يد العلم اللقاء

مهدى علام

الشمس

شمس السماء الساطعه　　فى كل يوم طالعه
تبدو لنا فى المشرق　　بعد الضياء المشرق
فكل حى ينهض　　وللحياة يركض
حياتنا هى العمل　　وسعينا هو الأمل
وكل شىء يرغب　　سبيله محبب
فلتبذلوا جهودكم　　لترفعوا بلادكم

خالد الشامى

القمر

اِسْرِ يَا قمر .　　مَتِّع النظر
اسْرِ فى الدجى　　تَلْقَهُ استتر
أنت مؤنسى　　ليلة الكدر
أنتَ مشبع الـ　　فكر والبصر
أنت مانح النّـ　　ضج للثمر
أنت ساعة　　فى يد القدر
أنت آية الـ　　حسن يا قدر

محمد عبد المنعم سالم

الطيـــارة

طيـــارة السماء تسير فى الفضاء
تسـاير النسورا وتسبق الطيورا
فتحمــل الركابا ليسرعوا الذهابا
وتنقـل الجنودا ليحرسوا الحدودا
وتحمل الطبيبا لمبعـد أصيبـا
فإن تكن طيارا أحرزت الانتصارا

خالد الشامى

المنديل

أنت منـديل جميــل محـكم النسج متين
فيك نقش ورسوم فيك ألوان الفنون
أنت للاحباب تُهدى أنت فى «الجيب» تزين
أنت للوجـه شقيق وصديق للعيون
انت إن سالت دموعى تمسح الدمع السخين
أنت يا منديل عندى صـادق الود أمين
أنت من أقطان مصر قطنها كـنز ثمين
انت مصنوع بدارى عشت عاش الصانعون

محمد عبد المنعم سالم

الفتاة ونسيج مصر

ثوبى الطويـل شكله جميـــل
ما له مثيـــل صنعـة الوطن
نسجـــه بمصرا قـد حبـاه فخرا
إن شريت عشرا أربح الثمن
ليس فيــه غش يحتويه النقش
لن يضيع قرش فى شرا الحسن
قطننـــا حرير صوفنا كثير
فاعملوا تصيروا غرة الزمن
شجعوا الصنـاعه واشتروا البضاعه
وانهضوا جماعـه إن بدا وهن

خالد الشامى

بريد الصحيفة

— ١ —

تدريس الأدب

بعث إلينا تلميذنا العزيز وصديقنا النابه احمد احمد بدوى افندى المدرس بمدرسة بنباقادن الابتدائية كلمة قيمة فى تدريس الأدب يقول فيها : من الجلى الواضح أننا نبغى من وراء دراسة الأدب تحقيق أمرين هامين : أولهما تكوين ذوق فنى يستطيع به المرء أن يدرك أسرار الجمال، ويعرف نواحى الحسن فى الكلام، وينقد جيد القول ورديئه ، وتتربى فيه حاسة تميز الخير من الشر، وتضع كل كلام فى الدرجة التى يستحقها وثانيتهما معرفة ما مر على اللغة من أدوار التقدم والارتقاء، أو أزمنة التأخر والركود، والعوامل المختلفة التى لها أثر قوى فى إنهاض اللغة أو خفضها ، مع دراسة الأشخاص الناهضين الذين خلفوا آثارا قوية، وتراثا يعتز به الدارسون والباحثون .

ويرى الكاتب أن الطريقة الالقائية لا تربى ذوقا فنيا ، ولا حاسة للنقد الصحيح ، لأن عمادها أحكام يلقيها المعلم على تلاميذه من غير أن يشركهم معه . وهذا لا يعودهم الاستقلال فى الرأى . وهذا عمل شبيه بجنى الثمر قبل أن ينضج .

ويرى الأستاذ أن استخدام الطريقة الاستنباطية أنجح وسيلة فى تعليم الأدب العربى . فيعرض على الطالب نماذج من الشعر والنثر ، ثم يترك ليتذوقها ويبدى رأيه فيها . ثم تقوم أحكامه بارشاد الأستاذ .

وإذا أردنا أن نفاضل بين عصرين من عصور الأدب ، عرضنا نماذج لكل من العصرين ليدرسها الطلاب ويتبينوا كل عصر . وليسوا كما يدعى بعض الناس غير صالحين لمثل هذه الأحكام ، فان لهم أحكاما مهما كانت خاطئة فانها قابلة للاصلاح وهى أحكام أصلح لهم فى تثقيفهم من الأحكام الملقنة لهم .

ويرى الكاتب أن كتب الأدب يجب أن تجارى هذه الطريقة ، فتأتى أولا بالأمثلة وبالشواهد الشعرية ، ثم نتبع ذلك بالبحث فى تلك الأمثلة لاستنباط القضايا العلمية .

— ٢ —

الزوج الحضرية

قصيدة اجتماعية بقلم محمود عبده الحمامصى افندى المدرس بالمدارس الملكية ببنى سويف مطلعها :

لا القلب بعدك باللاهى ولا العانى ... ها قد وقفت على حبيك تحنانى
ناديت قلبى ينسى كل من غبروا ... يا « نعم » فانقاد واقتادته ألحانى
فلا فؤادى بحسن الغيد فى شغل ... وليس بعدك ذكراهن من شانى

ومنها

غــدا الاقيك يا نعماى رائعــة ... فى دارة العز ، هل ياليل تلقانى ؟
وأثلج الصدر هذى الدار دانية ... أنعم بدارك يا نعماى من دان

ومنها

اليك يا « مصر » آمالى موجهة ... هل خاب فى « مصر » آمال لانسان ؟
فثم موطن ملتـــاع ومغترب ... وثم موئل مكدود وحيران
وثم روض أريض عاطر خضل ... يشدو بلابله فى عالم ثان
أصخ بسمعيك تسمع فى جوانبه ... ملائك الحب تتلو آى تحنان

المكتبة العربية

طرق التربية الحديثة

تأليف محمد حسين المخزنجي

أستاذ التربية بمعهد التربية

إن فى مصر اليوم نهضة شاملة لجميع نواحى الحياة ، ففى كل جهة من جهاتها تدرك حركة ونشاطا ، ترى ذلك وتحس به فى إصلاح الادارة الحكومية فى تنظيم شئون المجتمع ، وتعاون أفراده فى العناية بالمسائل الزراعية ، وما تستلزمه من بناء الجسور ، وشق الترع ، وتوزيع ماء النهر المبارك توزيعاً عادلا بين الناس — فى انعاش الصناعة والتجارة وتشجيع المصنوعات الوطنية وإيثار القوم لها على غيرها مما تصنع البلاد الأجنبية — فى طرائق التفكير ، وفى الأخذ بالجديد من النظريات ، والتحرر من القيود التى لا يبررها عقل ولا تهدى اليها تجربة — فى الملابس والأزياء والمساكن وهندستها وأثاثها ، وفى مظاهر شتى لا يكاد الاستقصاء يأتى على آخرها

وأظهر ما يكون التطور وضوحاً فى المدارس ونظامها ومناهجها وأساليب التربية والتعليم فيها ، ولا غرو فى ذلك فقد عنيت مصر منذ سنين بهذه الناحية وأرسلت فريقا من أبنائها إلى البلاد الأوربية المختلفة ليتخرجوا فيها ، حتى إذا عادوا إلى بلادهم نقلوا معهم المستحدث من الآراء والمبادىء ، ونشروه بين الناس ، وبينوا لهم محاسنه ، ودعوهم للأخذ به ، ولسنا فى حاجة إلى سوق الدليل تلو الدليل ، أو إقامة الحجة تتلوها الحجة ، فان نظرة إلى المؤلفات التى أخرجتها المطابع فى السنوات الأخيرة خير دليل على ما نقول .

ومن بين الكتب التى قرأنا كتاب الشاب النابه الأستاذ محمد حسين المخزنجي خريج جامعة برمنجهام وعضو الجمعية البريطانية لعلم النفس والأستاذ بمعهد التربية . وللأستاذ بحوث علمية قد قدمته إلى قرائه قبل أن يقدمه كتابه الذى نحن بصدده . وكتابه هذا شهادة فنية بفضله . فقد أخرج كتابه « طرق التربية الحديثة » للناس

بعد أن ألم فيه بأحدث ما وصل إليه الباحثون في علم التربية . فذكر فصلا ممتعاً عن طريقة دكرولى أبان فيه مبادئها . وأرانا كيف تطبق هذه المبادىء في المدارس الدكرولية . وأتبعه بفصول أخرى تناول فيها بالشرح والايضاح طريقة منتسورى ، وطريقة دالتن ، وطريقة المشروع ، ومدارس حيرى بأمريكا . ومما يسر القارىء في هذا الكتاب أن يجد في ثناياه شيئاً عن المشروعات التي قام بها تلاميذ الفصول التجريبية الملحقة بمعهد التربية ، فانه يدل على أن مصر متطلعة إلى الأخذ بالجديد ، مع الاحتراس الواجب ، وأنها مستعدة لأن تقوم بنصيبها من أعباء البحث والتجريب ولا سيما في شئون التربية .

والأستاذ المخزنجي ، يحدد موقفه ، ويعلن رأيه بجلاء ، حين ينادي في عبارة حارة قوية داوية ، ملؤها إيمان ثابت ، وعقيدة آخذة بنواحي نفسه بأن « الطبيعة هي التي تريد الأطفال أن يلعبوا وطبيعتهم هي التي تريدهم أن يمرحوا وينشطوا من تلقاء أنفسهم . طبيعتهم تريدهم أن يكونوا أطفالا وهم لن يكونوا كذلك إلا إذا لعبو ونحن نريدهم رجالا ولن يكونوا كذلك إلا إذا حفظوا وعرفوا قدرا من العلوم والمعارف » فنحن نعارض سنن الطبيعة ، ونقلب الأوضاع ، ونغلب مستقبلا قد لاندركه على حاضر نحن فيه . ونتحكم في الطفل ونقيد من نشاطه ، ونكبت رغباته ونحرص كل الحرص على أن يكون رجلا مثلنا يفكر تفكيرنا ويأخذ بآرائنا ويعيش كما نعيش . مخالفين في كل ذلك سنة النمو . وأساليب الوجود . فيجب « أن يعيش الطفل عيشة الأطفال . ويحيا حياتهم وينشط نشاطهم ويلعب لعبهم لا يقيده في ذلك نظام تفرضه عليه إرادة وإنما يجب أن يكون ذلك كله من تلقاء نفسه ، كما تريده طبيعته وحاجته ومصلحته الراهنة » .

ولعل القارىء لهذا الكلام يرى فيه نوعا من المبالغة ، ولونا من الاسراف ولكنها مبالغة دفعه اليها تحمسه لفكرته ، وإسراف قاده اليه محبة شديدة في الاصلاح ، ورغبة في إنقاذ الطفولة البريئة مما تعاني .

ولعل الأستاذ المؤلف يوافقنا على أن من حق القارىء على الأستاذ ، وهو يعالج موضوعات جديدة في التربية ، أن يكون سخياً فيما يكتب ، فيوضح مواضع الضعف والقوة من كل طريقة ، ويعقد بينها الأواصر ، ويرينا بجلاء وجوه تطبيقها

فى بلادنا ، ويضرب لنا الأمثال . ويسخو بوسائل الايضاح المختلفة ، ولا سيما فيما يدور حول تعليم القراءة والكتابة . على أن زميلى الفاضل قد يلجئه إيجازه إلى أن تبدو بعض نتائجه غير وثيقة الاتصال بما سبقها من المقدمات . ومن ذلك ماوقع له فى صفحة ٣٩ ، ٤٠ إذ يقول : « وهم يقرلون ويجمعون على أن الطفل بين الرابعة والسادسة يستطيع أن يميز شكل أمه وهيئتها . ولكنه لا يتمكن من أن يميز صوتها دون غيره من الأصوات .

« كيف اذن نستخدم الطريقة البصرية فى تعليم الطفل القراءة ؟ يمكن ذلك إذا اتبعنا نفس الطريقة التى تعلم بها الأم طفلها النطق . نجدها لا تلقنه كلمات ولا مقاطع ، بل هى تلقنه جملا كاملة وعبارات تامة تتضمن فكرة واضحة . وبهذا يتعلم الطفل الكلام . فلماذا لا نستخدم نفس الطريقة فى تعليمه القراءة فهو يفهم فى أغلب الظن كل ما يسمع . . . والذى ساعده على فهم مدلول هذه الجمل هو السمع . فالقراءة والكتابة يجب اذن أن يبدأ بالجمل لا بالحروف » . فأين اذن الطريقة البصرية فى تعليم الطفل القراءة ! ثم الا تتحقق الطريقة البصرية إذا كان المقروء حرفا لا كلمة . وأكاد أكون على يقين من أن الأستاذ يريد أن يقول شيئا أكثر مما تقول عبارته . على أنى ألمح فى هذه الطرق الحديثة جنوحا إلى اتجاه واحد هو الاعتداد بالفردية دون سواها . ولست ممن ينكرون ما للاعتداد بالفرد ومطالبه وميوله من أثر فى التعليم ، ولكننى أطمع فى أن يكون الى جانب هذه الدعامة القوية فى التربية الحديثة ذلك الجانب الاجتماعى الذى لا بد من مراعاته فى أعداد الفرد للمجتمع .

أعتقد أننا نقع فى نفس العيوب التى وقع فيها أسلافنا اذ نبالغ فى تقدير الحرية الشخصية . ونتحلل من قيود المناهج . أنهم جعلوا الفرد خادما للجماعة ، ولقد أخطئوا فى ذلك . ونحن نخطىء أيضا إذ نجعل الجماعة خادمة للفرد ؛ منادين فى كل واد : « الفردية الفردية » و « الحرية الحرية » . فخير الأمور الوسط . وأنى أقدم تهنئتى خالصة لزميله الفاضل على توفيق الله له .

وأرجو لكتابه كل ما هو خليق به من الذيوع . ولست أشك فى أن كل معلم يعتبر هذا الكتاب هدى يستضىء به فى مهنته .

محمد على مصطفى

تاريخ الأدب العربى

الجزء الأول — فى العصر الجاهلى

تأليف السباعى السباعى بيومى

مدرس الأدب العربى بدار العلوم وبكلية اللغة العربية

مابرح زميلنا الأستاذ السباعى بيومى دائبا على العمل ، لا يودع بحثا أتمه ، أو كتابا ألفه ، إلا ليستقبل بحثا جديدا ، أو مؤلفا مفيدا . وقد أخرج منذ عامين كتابا جليلا فى الأدب العربى فى صدر الاسلام . ثم أخرج لنا اليوم كتابا آخر فى الأدب الجاهلى . وليس مؤلف هذا الكتاب فى حاجة إلى تقديمه لقراء «الصحيفة» فقد قدمه إليهم قلمه فى كل عدد ظهر منها وفيها العدد الذى نكتب فيه هذه الكلمة

ومن أهم مااسترعى أنظارنا فى الكتاب البحث فى النثر والنظم ومناقشة الآراء المختلفة فى أسبقية أحدهما على الآخر . ولا شك أن الأستاذ المؤلف قد وفق كما وفق أخ له من قبل هو الأستاذ محمد هاشم عطية الا شرح رأيه فى تقدم النثر على النظم ، توفيقا يستحق الاطراء . استمع إليه حين يحاج من ينكرون وجود نثر جاهلى : « وإلا فكيف لم يك للعرب فى جاهليتها نثر وقد تحداهم القرآن الكريم فى النثر ، ووصفهم بأنهم كانوا قوما لُدًّا ؟ واللدد فى اللغة شدة الخصومة والمحاجة تمشيا مع ماهو مقرر معروف من أن التحدى لا يحتفظ بكيانه ، ولا يكون له قوامه إلا إذا وقع لكل أمة فى الباب الذى تزعم فيه نبوغا ، وتدعى لنفسها عليه قوة واقتدارا » . ثم استمع إليه بعد ذلك :

« ثم هم يقولون . إن الشعر وجد قبل النثر ، وحين ضاقت أوزانه عن مظاهر العقل تحلل الانسان منه إلا النثر . ومعنى هذا ، إن كانت لنا عقول ، أن العقل الانسانى فى طفولته كان قديرا على أن يعبر عما يريده بهذا الكلام الموزون المقفى : ولكنه بعد انترقى ، وجاوز دور الطفولة والأدوار التى أعقبته فتم نضجه

واستوى، ارتد عاجزا عما كان عليه قديرا ، ولجأ فى تعبيراته الى الكلام المطلق من قيد التقفية والوزن . . . »

والحق أننا نكاد لانصدق أن يختلف الناس فى أسبقية النثر للشعر . وكل ما هنالك — فى رأينا — أنه كان ثمة نثر فطرى اولى ، أول الأمر ، وكان إلا جانبه شعر فطرى أولى . ثم تقدم كل منهما وارتقى تبعا لعوامل خاصة فى كل أمة ، وفى كل عصر .

ومما أعجبنا فى هذا الكتاب وقفاته لدى كل فن من فنون الشعر الجاهلى . يعلل وجوده فى الأمة العربية . غير أننا كنا نود من صديقنا المؤلف أن يطيل تلك الوقفات ليشبعنا من التعليل والمضاهاة بين نشأة فنون الشعر فى الأمة العربية ، ونشأتها فى الأمم الأخرى التى تشابهها أو تخالفها فى البيئة الطبيعية والاجتماعية فالنسيب مثلا فن شعرى عالمى ، وجد على الأرض منذ وجد عليها آدم وحواء . وتخذله صورا وخيالات مختلفة . ولكنه ينشط حيث الانسان خلو من الهموم ومتاعب الحياة ، وعناء العيش ، إما لكثرة مالديه من سعة العيش كما كان الشأن فى أثينة وروما ؛ وإما لقلة مالديه مع قناعته به كما كان الشأن عند العرب . أما الأمم المنهمكة فى الحياة المتغلغلة فى استغلال ماعلى ظهر الأرض وما فى باطنها فلا ينشط الغزل فيها مثل ذلك النشاط ، وإنما يذكو فى أغانيها وشعرها ترويحا عن النفس بقدر . وأغلب الظن أن مثل تلك الحياة العاملة المتدفقة لاتتسع لسماع النسيب والغزل ، وإنما تلجأ إلى الغزل العملى تقضى فيه وقتا مناسبا ، ثم تفر منه إلا ضجيج المدنية وصخبها . ولعل الحياة الانجليزية اليوم أصدق مثل لذلك .

والفخر كذلك فن عالمى من فنون الشعر لا تحدده خطوط الطول والعرض فهو من الغرائز الأولى للانسان ، ولكن الأقاليم والعصور تشكله كذلك بأشكالها . وقد تناول الفخر أكثر ما تناول — كما يقول الأستاذ بأشكالها . المؤلف « الشجاعة ، والنجدة ، والبأس ، والقوة ، وإجارة الجار ، ومنع الحريم ، وإكرام الضيف ، وإيواء الطارقين . وهى خير ما كانت تقدس العرب من صفات » .

والمدح والهجاء فنان عالميان كذلك . ولكن الآثار البيئية أقوى فيهما من

سائر فنون الشعر . وما نظن قوما بلغوا بهما ما بلغ بهما العرب إلا الفرس .

أما الوصف فانه يدعى لنفسه منزلة عالية فى فنون الشعر عند جميع الأمم بدويها وحضريها . وهو فى رأيى لا يختلف قوة وضعفاً فى الأمم ، وإنما يختلف مادة وخيالا . فلسكان الجبال كما لسكان السهول ، ولسكان الجزر كما لسكان الأودية ، شعر فى وصف بيئاتهم وحيوانهم ونباتهم ... الخ .

أما بحث المؤلف فى خصائص اللغة العربية فلنا معه وقفة نسأله فيها الصفح إن رآنا نتجاوز الاطراء إلى النقد .

ونحن لا نوجه نقدنا هنا إلى المؤلف وحده ، ولكننا نوجهه إليه وإلى كل من سبقوه بالكتابة فى هذا الموضوع ، وفيهم شيوخ لنا أعزاء علينا . ولكننا نتمثل بما قاله أرسطو وقد عرض لنقد أستاذه أفلاطون فى « مذهب المُثُل » : « وإنى لا أخفى أن بحثا من هذا القبيل قد يكون بالنسبة لنا فى منتهى الحرج ، مادام أن « مذهب المثل » قد وضعه قوم أعزاء علينا . ولكن واجبنا الحقيقى لنصرة الحق أن ننتقد حتى آراءنا الخاصة ، لا سيما أننى أزعم أننى فيلسوف . وعلى هذا فبين الصداقة والحق ـ وكلاهما عزيز على النفس ـ نرى فرضاً علينا أن نميل مع الحق على الصداقة . » (١)

فقد درج الكتاب والمؤرخون على عد خصائص للغة العربية ليست إلا خصائص عامة لجميع اللغات الراقية . فقد ذكروا من خصائص العربية : الترادف ، والمجاز ، والكناية ، والاعراب ، والدقة فى استعمال الألفاظ والتراكيب ، والايجاز والاطناب ، والاشتقاق ، والاشتراك اللفظى ، وخضوع عوامل نمو اللغة لكثير من الأقيسة والضوابط .

وقد يكون من الجميل أن ندعى للغتنا كل الفضائل ، ولكن الاجمل ألا نقصر تلك الفضائل عليها ما دامت لغات أخرى تشركها فيها . وإذا كان من الجائز لكتاب القرون الأولى أن ينتحلوا للعربية كل تلك الخصائص : لأنهم كانوا يجهلون غيرها من اللغات الراقية ، لم يكن من الجائز لكتاب القرن العشرين أن

(١) كتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس ، الكتاب الأول ، الباب الثالث ، الفقرة الأولى .

يتجاهلوا تلك اللغات ونحن فى عصر يكاد المرء يتعلم فيه لغة فى نحو سنة .

ومن الانصاف أن أقرر أن الاستاذ السباعى فى كتابه الذى نحن بصدد نقده هنا كان أكثر حيطة من جميع من سبقوه فى الكتابة فى هذا الموضوع فقد قال : « أما خصائصها فمع صعوبة إثبات شىء من الخصائص للغة ما على إطلاق اللفظ يمكن أن نسند إلى العربية من الميزات ما إذا لم يكن خاصة من خواصها لا يعدم أن يكون فيها أفضل منه فى غيرها » . فهذه القضية تعتبر فى نظرى قنطرة انتقال من شاطىء المغالين فى تصيد المدائح للغة وحرمان غيرها منها ، وبين شاطىء الحقيقة الذى نقف نحن عنده من إنصاف العربية وإنصاف سائر اللغات الراقية جميعاً . ولكننا مع ذلك ان نقنع بهذا الرأى ، لأننا فى هذا الموضوع لن نقبل أنصاف الحلول ، ما دام الصبح واضحاً لذى عينين .

ولعل من الخير أن نتجاوز عن الدعاوى الجامحة التى نزه مؤلفنا نفسه عنها . ولنقصر كلامنا على ما أورده من الخصائص التى يقول إنها : إذا لم تكن خاصة من خواصها لا يعدم أن تكون فيها أفضل منها فى غيرها .

بدأ الأستاذ بالإعراب فقال إنه « لايكاد يشارك العربية فيه من اللغات إلا القليل كالحبشية على ضعف وقلة تصريف بينا هو فى العربية كثير التنويع والتفريع ، وبه يكون التمييز بين المعانى والوقوف على مرامى المتكلمين . . . . » وحسبنا فى التعليق على هذه « الخاصة » أن اللاتينية تشارك فيها العربية . أما الألمانية فإنها لا تشارك العربية فى الاعراب فحسب ، بل تزيد عليها فيه ، فان لاعراب الأسماء عندنا أحوالا ثلاثة هى الرفع والنصب والجر . أما الألمانية فلإعرابها أربعة أحوال الرفع ، والنصب ، والجر بحرف الجر ، والجر بالاضافة . بل إن هذا « التنويع والتفريع » الذى يذكره الأستاذ للعربية يكاد لا يذكر بجانب التنويع والتفريع فى إعراب الألمانية ، فهو لا يقتصر على الأسماء بل يتجاوزها إلى ما يقابل الحروف والأسماء المبنية عندنا من أدوات التعريف والتنكير وأسماء الاستفهام والاشارة والأسماء الموصولة . وما رأى الأستاذ فى أن الأسماء تنقسم فى الألمانية ثلاثة أقسام : مذكر ، ومؤنث ، وغير عاقل ، وأن هناك أداة تعريف لكل منها ، وأن

هذه الأدوات تخضع لعوامل الاعراب الأربعة السابقة ، فقبل النطق باى اسم من الأسماء المعرفة يجب أن تختار له أداة التعريف من بين اثنتى عشرة أداة هى حاصل ضرب أنواع الأسماء الثلاثة فى أحوال الاعراب الأربعة ؟ وكذلك الشأن فى أدوات التنكير ... الخ .

ولست أريد أن أدافع هنا عن هذا التعقيد الألمانى ، الذى طالما شكا منه متعلمو تلك اللغة ، ولكنى أريد أن أثبت أن ما يدعيه صديقنا السباعى من التنويع والتفريع فى الإعراب ـ خيرا كان أو شرا ـ ليس خصيصة ولا شبه خصيصة للغة العربية إذا قيست بالألمانية . ولعل الجزء الأول لأى كتاب فى قواعد الألمانية يغنينا عن التمثيل .

أما أن العربية تمتاز — أو تمتاز أكثر من غيرها — بالدقة فى استعمال الألفاظ فدعوى نقبل فيها التحدى نيابة عن ثلاث لغات على الأقل هى الانجليزية والألمانية والفرنسية . يقول الأستاذ : « . . . تفصيل الألفاظ بقدر تفصيل المعانى ، حتى ليكاد يوجد لكل جزئية من المعنى الواحد كلمة خاصة بها . . . . فى أجزاء الانسان والحيوان والطير والنبات والجماد والزمان . . . . ثم فى تفرع الأفعال للشىء الواحد ، فالقتل مثلا للمعنى الكلى وتحته من الألفاظ ما يبين كافة أنواعه » . ونحن لانشك فى أن الاستاذ يصدقنا حين نقول له : إن كل ذلك موفور بسخاء فى جميع اللغات التى تشارك العربية فى الرقى كالانجليزية والألمانية والفرنسية وقد كتبت فى موضع آخر من « باب المكتبة العربية » كلمة عن كتاب « المعجم فى بقية الأشياء » لأبى هلال العسكرى ، امتدح تلك الدقة العظيمة التى أوجدت فى العربية مثل هذا المعجم ، ولكنى أشرت إلى أن ماقتن الناس من دقة اللغات الأوربية له نظيره عندنا . وبذلك نقف مع أصحاب تلك اللغات ، فى هذا الاعتبار على قدم المساواة . أما أن ندعى تفوقنا عليهم فيه فأمر تكذبنا فيه معاجمهم وكتبهم . ولولا خشية الاطالة لاقتبست للأستاذ ما يقابل « فعل القتل » الذى اختاره بالذات وحسبى أن أذكر له أن مخصصا من مخصصات اللغة الانجليزية يذكر للقتل خمسة وسبعين فعلا لكل منها مشتقاته ، للدلالة على انواع القتل المختلفة (١)

(١) راجع Roget, Thesaurus ص ١١٥ — ١١٦ طبعة سنة ١٩٢٦

وشبيه بهذه الدعوى مايذكره الأستاذ عن الدقة فى التراكيب: « ومن أجل هذه الدقة الكلامية وعليها قامت علوم البلاغة الثلاثة بفصولها الضافية وأبحاثها الوافية التى يبعد أن تضارع بمثالها فى غير العربية » وجوابنا عن هذه « الخصيصة » هو جوابنا عن سابقتها، فان لكل اللغات الراقية علوم بلاغة، تتحد فى بعض فروعها مع العربية، وتختلف فى بعضها عنها. أفيجوز للانجليز مثلا أن يرمونا بالقصور أو فساد الذوق البلاغى لأننا نعد تكرار حرف مرات كثيرة فى جملة واحدة تنافرا يعيب نسج الكلام، فى حين يعدونه هم محسناً لفظياً؟ فمثلا إذا ألفنا جملة على نحو:

« برك بى بوأنى بين بنى بلادى مكاناً علياً » كدنا لانسيغها مع أن بدء كلمات الجملة بحرف واحد يعد من المحسنات المحبوبة فى البلاغة الانجليزية. وخلاصة الرأى أن فكرة البلاغة وما تستدعيه من دقة التعبير لاتمتاز بها العربية، ولكن لها فيها طرقها، كما أن لكل لغة أخرى كذلك طرقها.

ويدعى الأستاذ أن الايجاز. والأمثال، والحكم، وجوامع الكلم. والايماء، والاشارة، والتعريض، والكناية، واللحن الصارف إلى غير المتبادر . . . . كل أولئك من خصائص العربية. وأنا أخشى أن يفكر صديقى رئيس التحرير فى نوع من العقوبة يفرضه على إذا انا حاولت أن أمثل من اللغات الراقية، أو من لغة واحدة منها، لكل نوع من هذه الأنواع التى يراد لها أن تقصر على العربية. وما رأى الأستاذ فى حكم شكسبير التى خلدتها عدة لغات؟ وأين تذهب حكم برنرد شو، وه. ج ولز، وتورياتهما، وآلاف الأمثال التى نطق بها الانجليز وغيرهم فى العصور المختلفة. أما فى التعريض والكناية والايماء؛ واللحن الصارف إلى غير المتبادر فأحيل زميلى الفاضل على أية مجلة أسبوعية فكاهية تصدر فى فرنسا أو ألمانيا أو انجلتره مما يحضر منه عشرات الأنواع بآلاف النسخ إلى مدينة القاهرة. بل أنا أحيله على النتف والفكاهات والقصص الهزلية الصغيرة التى يتندر بها القوم فى مجالسهم. ولعله يوافقنى على أن الأسلوب الفكاهى لبعض المجلات الأسبوعية فى مصر قد اتجه اتجاهاً معجباً لذيذاً منذ

يضع سنوات بسبب اقتباس تلك الصحف من الصحف الفكاهية الأوربية مما يعد أساس الايماء والاشارة والتعريض والكناية واللحن المقصود .. الخ .

وما بالنا ندعى اطراد القياس أو قربه من الاطراد للغتنا وهى فى هذا لا تسبق غيرها من اللغات الراقية ، ولا حجة لمن يقول بأن فى تلك اللغات شواذ كثيرة ، لأن معظم تلك الشواذ تتبع نظاماً هو فى الحقيقة قاعدة فرعية للقاعدة الأولى على مثال ماهو عندنا من الصفة المشبهة ، أو صيغ المبالغة ، أو جمع التكسير ، أو الزيادة فى الأفعال المجردة . . الخ .

وليست العربية كذلك مختصة بالاشتراك اللفظى كما يدعى لها ، فمئات الألفاظ فى الانجليزية وغيرها مشترك بين عدة معان يعين السياق المقصود منها ، وكثيراً ما يستعمل هذا النوع من الكلمات فى الجناس والتورية . . الخ .

وبعد فاننا لا نريد تجريد لغتنا من خصائص ، ولكننا نريد ألا نقول فيها غير الحق . وإذا كان لا بد من ذكر خصائص العربية فلتتلمس فى مواضع أخرى ذكر الأستاذ بعضها ، مثل عدم الابتداء بالساكن ، وعدم التقاء الساكنين إلا بشروط . وأزيد عليها ، من غير تفصيل :

(١) وجود ألفاظ الأضداد بكثرة لا يعرف لها نظير فى أية لغة من لغات العالم مما ينبئك به القاموس المحيط فى كل صفحة تقريبا .

(٢) سعة الترادف مما لا شبيه له فى لغة أخرى مهما كثر ترادفها ، لأن مصادر العربية وجمعها من عدة قبائل يخالف بعض المخالفة ما حدث فى اللغات الأخرى حتى فى مثل الانجليزية التى فيها ترادف ناشىء عن الجمع بين ألفاظ أنجلو سكسونية وألفاظ فرنسية ، وألفاظ لاتينية .

(٣) البدء بالفعل فى أكثر الجمل العربية مما يدل على أن للفعل منزلة رئيسية فى اللغة . وهو الشأن فى اللغات السامية عامة بخلاف الآرية فان الاسم هو محور الجملة فيها وبه يبدأ إلا فى أحوال خاصة للاستفهام ونحوه .

(٤) الابقاء على صيغة المثنى وهو مظهر من مظاهر الدقة فى التعبير ، وإن كان

داعيا للتعقيد فى تكوين الجمل ، وقد تخلصت منه اللغات التى كانت تستخدمه ، ولم يبق فيها إلا فى صورة تاريخية فى بعض الألفاظ ، كما هو الشأن فى العبرية فى أعضاء الجسم المزدوجة كاليدين والعينين ... الخ .

(٥) قياسية التصغير فى جميع الأسماء ، فإن سائر اللغات لا تستخدم التصغير إلا فى ألفاظ محدودة وعلى غير قاعدة مطردة كما هو الشأن فى العربية .

(٦) السجع وهو من المحسنات اللفظية التى لا أعرف لها نظيراً فى لغة من اللغات.

(٧) تختلف اللغة العربية ، ومعها شقيقاتها اللغات السامية ، عن اللغات الآرية بتكوين جمل إسمية لا فعل فيها . أما الآرية فلا بد فيها من فعل أصلى أو رابط بين المسند والمسند إليه ، هو فعل الكينونة . وقد اضطر العرب عند ما ترجموا المنطق عن اليونانية أن يضعوا اسما لذلك الجزء من الجملة ، إذ أن أجزاء القضية عند مناطقة الاوربيين ثلاثة : الموضوع والمحمول والرابطة ، وعند العرب جزءان فقط ، ولكن بعض كتب المنطق قد أبقت على التقسيم الأوربى ، كمتن الشمسية وشراحه ، وذكرت الرابطة ، ثم قالت عنها إنها ليست دائماً ملفوظة ، بل قد تكون ملحوظة .

(٨) من خصائص العربية (وتشترك معها فى ذلك بعض اللغات السامية كالعبرية) أن الاسم فيها يتعرف بأداة التعريف ، فان لم تسبقه أداة التعريف ـ فى غير الاسماء المعرفة بذاتها ـ كان نكرة بخلاف جمهرة اللغات الأخرى ، فان الاسم يحتاج فى تنكيره إلى أداة تنكير ، كما يحتاج فى تعريفه إلى أداة تعريف ، وبخلاف الفارسية التى هى على عكس العربية ، فيها للتنكير أداة تلحق آخر الاسم ، فان تجرد منها كان معرفة .

أما بعد فانى أحب العربية وأتشيع لها ، على أقل تقدير ، كما يحبها صديق السباعى ويتشيع لها ، ولكنى أرى أن خصائصها ينبغى أن تتلمس فى ميدان غير الميدان الذى تلمس فيه ما سماه خصائص . وما أردت بكلمتى العجلى عن تلك الخصائص أن أقول الكلمة الأخيرة فى الموضوع ، فذلك بحث يجب أن نفرد له مقالة خاصة ، لا أن نغتصب له مكانا فى نقد كتاب نوافق فيه على أضعاف ما نخالف . وحسبه فضلا أن أثار هذا الموضوع الخطير. مهدى علام

الجديد فى الإملاء

تأليف محمود احمد تركى

هى رسالة صغيرة تقع فى ٣١ صفحة كتبها الأستاذ محمود احمد تركى المدرس بالمدارس الأميرية أثار فيها موضوع الاملاء فى اللغة العربية وما فيه من شذوذ واختلاف بين النطق والرسم فى مواضع شتى كما فى رسم الهمزة والألف اللينة والحروف التى تزاد فى بعض الألفاظ مثل: «مائه» و «عمرو» و «أولئك» و «أولات» وألف واو الجماعة، والحروف التى تحذف فى مثل «هذا» و«ابن» فى أحوال خاصة و «داود» و «الحرث» إلى غير ذلك.

وهذه هى المحاولة الثانية لتوجيه الأنظار إلى إصلاح مافى الاملاء من صعاب ناشئة عن مخالفة الرسم للنطق. أما المحاولة الأولى فهى التى قام بها المرحوم الأستاذ الشيخ محمد المهدى الذى كان مدرساً بدار العلوم وبمدرسة القضاء الشرعى وبالجامعة المصرية القديمة.

فقد ألقى رحمه الله خطبة على أعضاء نادى دار العلوم يوم الخميس ١١ من مارس سنة ١٩٠٩ فى موضوع «الاملاء وتاريخه وتذليل أكبر صعوبة فيه» نشرت فى احد أعداد صحيفة نادى دار العلوم. وقد تعرض رحمه الله فى بحثه الاصلاحى للألف اللينة وكتابتها الفاً فى جميع الأحوال. وعالج الموضوع من جميع نواحيه وأشار إلى ماعسى أن يجول بالأفكار من شبهات وردّ عليها. ثم ختم مقاله بصورة تقرير رفع إلى الوزارة لطلب الترخيص للمعلمين أن يتبعوا فى فى التعليم طريقة الاصلاح المقترحة فى كتابة الألف اللينه.

ولم يتم فى الموضوع أمر حاسم فى ذلك الوقت. وكان المرحوم الشيخ المهدى يعتزم أن يتبع الاصلاح فى الألف اللينة باصلاح فى رسم الحروف من النواحى الأخرى.

والرسالة التى ننوه بها الآن تثير الموضوع من جميع نواحيه. وكاتبها يوسع ميدان النقد ويقترح تغييراً شاملا فيرى ألا تكتب الف فى المنون

المنصوب ، والا تكتب هاء التأنيث هاء مطلقاً ، وأن يكتب الحرف المشدد حرفين.

ولسنا نريد أن نقف من المسائل التى تعرض لها موقف الجدل والمناقشة وترجيح رأى على آخر فالموضوع يتطلب الاتفاق بعد التمحيص وهو أقرب إلى الموضوعات التى ترتكز على الاصطلاح والمواضعة منه إلى الموضوعات المرتكزة على البرهان العلمى .

ولكننا نحمد للمؤلف عمله فى إثارة الموضوع مرة ثانية ونأمل أن ينال الاصلاح الاملائى من جماعة دار العلوم مايستحقه من عناية وبحث حتى تتم الجماعة الجديدة مابدأ به إخوانهم من قبل ؟

عبد الحميد حسن
المفتش بوزارة المعارف

المعجم فى بقية الاشياء
لأبى هلال العسكرى

أكمله وعلق عليه وضبطه

ابراهيم الابيارى **عبد الحفيظ شلبى**
بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية
ومن المتخرجين فى دار العلوم

وهذا معجم صغير نفيس ، فى فرع من فروع اللغة . وفى هذه الكلمة القصيرة أريد تعريف القراء بثلاثة أشياء . أولها موضوع الكتاب ، وثانيها مؤلف الكتاب ، وثالثها ـ وليس أقلها ـ باعثا الكتاب من مرقده فى مخطوطات دار الكتب . فأما موضوع الكتاب ـ كما يدل عليه اسمه ـ فبحث لغوى فى الأسماء التى أطلقتها العرب على بقايا الأشياء . وهو معجم يشعر بحاجته إليه كل كاتب دقيق فى تعبيره ، يريد الكلمة على وفق المعنى ، لا تنقص عنه ولا تزيد . وهذه الدقة التى فتنت كثيراً منا فى اللغات الاوربية من تخصيص لفظ بكل معنى من

المعانى ، على سبيل التحديد ، لم تفت العرب ، مهما فاتت خلفاءهم على لغتهم .

وهذا الكتاب مظهر من مظاهر تلك الدقة اللغوية التى تمكنك من وصف ما تريد ، دون أن تنقص منه أو تزيد . فاذا شئت وصف الماء أو الطعام أو وصف وجدان من الوجدانات ، أو الحديث عن المرض أو القوة أو الضعف ، لم تستتر وراء الألفاظ المطاطة التى تعبر عن أى معنى من هذه المعانى فى أية صورة من صوره ، وإنما يتيح لك هذا الكتاب وأمثاله أن تختار اللفظ المحدود للمعنى المقصود . ونحن نعيش الآن فى عصر طغت فيه العاوم ـ وحبذا طغيانها ! ـ على أفكارنا ، فصبغت أدبنا بصبغة من الدقة والتحديد تميل بنا عن المبالغة والاسراف فى القول واللجوء إلى الألفاظ الفضفاضة . وفى نشر هذا الكتاب وأضرابه إقدار لنا على توسيع معجمنا الأدبى ، وتمكين لنا من بسط أفكارنا بصورة تلائم العصر العلمى الذى نعيش فيه . وتباعد بيننا و بين الخلاف الذى ينشأ عادة من استعمال كلمات فى استطاعة الناس أن يحملوها ما لا يقصد قائلها .

وأما مؤلف الكتاب فحسبى فى التعريف به أن أقول إنه « أبو هلال العسكرى » ليذكر القراء القرن الرابع الهجرى وأعيانه فى اللغة والأدب ، وما كان لأبى هلال بينهم من منزلة . وقراء هذه « الصحيفة » قد تتلمذوا كلهم أو جلهم على أدب أبى هلال فى بعض كتبه التى كتب لها الحظ أن تنشر منذ عهد غير قريب . وما بقى منها مخطوطا ، وما أباته منها الأيام لا يقل عن تلك نفعا وفضلا .

وأما ناشرا الكتاب ومكملاه فقد عرف آثارهما فى تحرير الآداب العربية المخطوطة كل من اطلع على مطبوعات دار الكتب المصرية فى السنوات الاخيرة ولهما فى ذلك الميدان جولات كتب لهما فيها النصر ، ولقراء الادب العربى العريق سهولة الاطلاع . ولقد كنا نعرف هذين الصديقين منذ نشأتهما فى دار العلوم متوسمين فيهما من النشاط والطموح ما حققته الايام . وكان سرورنا عظيما باختيارهما للقسم الادبى بدار الكتب . وقد برهنا على أنهما يقضيان زمنهما فى نشر الادب العربى القديم وتذليل صعابه . لا فى مطبوعات الدار وحدها ، بل فيما ينشران من المخطوطات التى يصرفان فى تهذيبها وضبطها زمناً يصرفه عادة غيرهما من شباننا فى هامش الحياة لا فى صميمها .

وقد أضاف السيدان إلى متن الكتاب كثيرا من الألفاظ الدالة على بقايا الأشياء مما لم يذكره أبو هلال . وميزاها بوضعها بين أقواس . وكنا نودألا يفوتهما إدماج كلمتين من ألفاظ البقايا ذكرهما أبو هلال فى مقدمته (ص ٣٥) وشرحاهما فى حاشية تلك الصفحة . وهما الوغم : ما تساقط من الطعام ، والفغم : ما يعلق بين الأسنان .

ومن أنفع الكلمات التى زودنى بها هذا المعجم كلمة « الشوايا » ومعناها : بقية قوم هلكوا ، الواحدة شوية :

(وهم شر الشوايا من ثمود)

وهى كلمة تؤدى بدقة معنى الكلمة الانجليزية : « Survivors » وشقيقتها الكلمة الفرنسية : « Survivants » . وطالما خطر هذا المعنى فى ذهن الكاتب فلم يوفق إلى الدلالة عليه بلفظ واحد . وليست الحاجة إلى هذا اللفظ مقصورة على معناه الحقيقى من شوايا العواصف ، أو شوايا الزلازل ، أو شوايا البراكين ، أو شوايا الحروب ، أو شوايا الوباء . ولكن الاستعمال المجازى فيه كثير كذلك حينما يريد الكاتب أن يعبر عن شوايا طريقة عقيمة ، أو شوايا طائفة أخفقت الخ . (وأرانى قد قمت الآن بدعاية كافية لهذه الكلمة السعيدة .)

ويلاحظ القارىء فى هذا الكتاب أن أكثر الألفاظ الورادة فيه هى أسماء لبقايا الطعام من تمر ، وثريد ، ودهن ، وماء . وهى ظاهرة طبيعية ، لأن الناس لا يفتنون فى لغتهم إلا فيما هو فى متناول أيديهم وأفكارهم . ويلى هذه المجموعة من ألفاظ البقايا ، مجموعة البقايا فى الأوصاف الجسمية . أما المجموعات القليلة الألفاظ فتجدها فى بقايا الحب والوجدانات ، وبقايا الأمراض . وتكاد توازيها قلة مجموعة البقايا فى الأنواء والليل والنهار .. الخ . وأقل من ذلك جميعا مجموعة الألفاظ الدالة على بقايا الشئون الاجتماعية والاقتصادية ، كبقية الدين . وبقية المال .. الخ . ولم أجد فى معجم أبى هلال لفظا يدل على بقية أمر من الأمور المتغلغلة فى المدنية ، مما لم يكن للعرب به عهد وثيق ، كبقايا الكتابة ، أو بقايا الألوان الناصلة .. الخ . ولبقية الروائح الضعيفة فى الكتاب كلمتان .

أما بعد فانه يسرنى أن أنوه بهذا الكتاب النافع ، وأن أشكر لناشريه دقتهما فى تحريره وطبعه ، وحسن ذوقهما فى تنسيقه واختيار قطعه . مهدى علام

نهج الانشاء

الجزء الأول والثانى

سلسلة نماذج متنوعة

لطلبة المدارس الابتدائية والثانوية والمعلمين والمعلمات

تأليف

محمد على ابو شنب
مفتش بمنطقة القاهرة

مصطفى محمد ابراهيم
مدرس بمدرسة المحمدية الابتدائية

يقع الجزء الأول من هذا الكتاب فى ١٧٥ صفحة ، والثانى فى ٢١٦

وقد اشتمل الأول على ثلاث كلمات إحداها بقلم الأستاذ أحمد يوسف نجاتى ، والثانية بقلم الأستاذ الشيخ عثمان أبو النصر ، وثالثتها بقلم الأستاذ أحمد التونى . وفى الجزء الأول أربعة أبواب : باب لموضوعات الوصف ، وباب للموضوعات العامة ، وباب للمناظرات والمفاخرات ، وباب للرسائل . وفى الجزء الثانى باب للوصف ، وباب للموضوعات العامة ، وباب للرسائل ، وقسم للمختارات من مأثور الكتابة والشعر .

وقد طرق الكاتبان موضوعات شائقة تتصل كثيراً بحياة التلاميذ . وكنا نود ألا يسرف المؤلفان فى ابتداء الموضوعات بالتعريفات ؛ لأن ذلك أشبه بالطريقة القياسية التى قد تستعصى على بعض التلاميذ . ولعل الأستاذين يوافقاننى على أن موضوع الشرطى يحتاج إلى كثير من التعديل . ليخرج متفقا صدره مع عجزه . فوصف الشرطى بأنه « رجل نشأ فى أحضان الفقر والفاقة ، ونهج منهج عشرائه ، الذين لم تكمل تربيتهم ، ولم ترق مواهبهم وجرى على سنتهم ، وشرب بكأسهم . وهو غالبا عامى ليس له نصيب من العلم والثقافة » لا يتلاءم مع ختام الموضوع بوصف الشرط بأنهم « عنوان هيبة الحكومة ، تستعين بهم فى حفلاتها ومظاهرها وتنفيذ أوامرها . » ولقد نوافق على الشق الأول ولكننا نتردد كثيراً

قبل أن نضعه أمام تلاميذنا مادمنا قد عزمنا على أن نذكر لهم فى آخر الأمر أن هؤلاء « الجهلة ، العوام ، الفقراء ، الأغبياء . الخ » هم عنوان هيبة الحكومة .

وأرانى مضطرا كذلك إلى توجيه نظر المؤلفين إلى أن المفاضلة التى عقداها بين القبعة والطربوش مهما كانت صادقة ، لا يجمل بنا أن نسلح بها تلاميذنا . وكيف أنتظر من تلاميذى أن يحترموا الطربوش (وعليهم أن يحترموه ، حقا أو باطلا ، ما دام شعارنا القومى الذى لم نغيره) وهم يقرءون : « ويمتاز (أى الطربوش) عن القبعة بأنه يغسل ويكوى ، ولكنها تفضله بحافتها التى تحجب وهج الشمس ، وأن التلف لا يسرع إليها كما يسرع إليه بالمطر . . » ؟

وحبذا لو خلت كتب الانشاء من الاغراب فى الألفاظ . فصغار تلاميذنا وكبارهم لا يحتاجون إلى معجم كبير من الألفاظ احتياجهم إلى حسن استخدام الأساليب فى حدود معجم صغير من الكلمات . وماذا يضير تلاميذ المدارس — ابتدائية وثانوية — لو جهلوا : « فيجعلون عليهم الأرض حيصا بيصا . » . أو « وهى لا تتحلحل » أو « وانطلق لطيته . . » الخ .

ولعل الموضوع الخامس فى الجزء الثانى غير ملائم للتلاميذ ، لأسباب كثيرة نتركها لفطنة الأستاذين المؤلفين .

ومن أفضل أجزاء الكتاب قسم المناظرات ، بعد استبعاد المناظرة التى بين بنت وولد .

ونحن نرجو للكتاب رواجا بين تلاميذ المدارس التى كتب لها كما نرجو أن يفصل فى الطبعة التالية ، الجزء الخاص بالمدارس الابتدائية عن الجزء الخاص بالمدارس الثانوية ومدارس المعلمين والمعلمات .

مهدى علام

أغانى الكوخ

نظرة فى شاعرية صاحبه

بقلم الدكتور أحمد زكى ابو شادى

يهنأ الأدب العربى الحديث بظهور هـذا الديوان الشائق الذى نظمه الشاعر النابغة محمود حسن اسماعيل . وتهنأ بتهنئته دارالعلوم العايا التى ينتسب اليها شاعرنا النابه ، فانه فى الوقت الذى أنصف تقاليد دارالعلوم الأدبية لم يفته إنصاف شاعريته وروح عصره ، فهو يعيش فى زمننا الحاضر وهو لا يكبت عواطفه ، وهو أبعد ما يكون عن اللجوء إلى الألفاظ الخشنة القاسية التى يعتبرها بعض المتحذلقين من القوة وهى عين الجهامة .

وصاحب الديوان من خيرة شعراء الشباب نضوجاً واتزاناً وتطلعاً للحياة الجديدة المشرقة ، فلا عجب إذا أحس بأنه مغبون فى بيئته كما أحس بذلك قبله غير واحد من النابهين حيثما ساد الجمود وخصوصاً فى وسطنا المصرى :

تُحَارَبُ فيه العبقريةُ مثلما ... يُطَارَدُ لِصٌّ أو يُدَاسُ عَدِيمُ !

وأنت تلمح هذا التبرم متوثباً فى سطوره فى خاتمة الديوان ـ هذه الخاتمة التى استهلها بايثاره أن يقدم الديوان نفسه بنفسه . ثم لم يتمالك أن كتبها وفيها ما فيها من السخط والتبرم . وفى الواقع لايستطيع أى شاعر مجدد فى هذا الوسط الذى نعيش فيه ولا يستطيع مريدوه أن يسكتوا عما يسىء إلى مبادئهم الفنية ولا غنى لهم عن الشرح والدرس ، لا بقصد التأثير على القارىء ولـكن تنفيساً عن خواطرهم وانصافاً لفنهم لا أكثر ولا أقل ، فالفنان لايعنيه جمهور القارئين قدر مايعنيه فنه .

وهو كما ينعى على بعض شعراء الشباب وغيرهم المسحة التقليدية والرخاوة والضعف ينعى على سواهم محاكاة الشعر القديم والسطو على صياغته ، وقد تعرض لأسبقية الشعر العربى فى مزج الأحاسيس مستشهداً بقول ابن حمديس :

حمراءِ تَشرب بالأنوفِ سُلافَها لُطفاً وبالأسماعِ والأحداقِ

ونفى أن يكون هذا وليد الآداب الأجنبية أو الابتداع الجديد فى الشعر، ونحن نقره على ملاحظته إلى حد ما؛ فان خصائص الطبيعة البشرية قديمة قديمة ولا يمكن أن يكون ما نعبر عنه باشتراك المشاعر أو مزج الأحاسيس وليد هذا العصر، ولكن ما من شك أيضاً فى أنه حديث التجلى بصوره المركبة الحاضرة، فهو إلى حد كبير مستحدث وصوره العصرية فى جملتها مبتكرة. وليس شك فى أن للثقافة الحديثة الواسعة الآفاق أثرها البالغ فى التكييف التصويرى المتنوع.

لقد أحسن صاحب الديوان بكلمته الختامية فيما تناوله من نقاط البحث والنقاش وإن لم نقره على كل ما ذهب اليه. مثال ذلك: ليس حتما على الشعراء المصريين أن يقفوا شعرهم على التغنى بمشاهد وطنهم. إذ من الطبيعى النزوع أيضا إلى المشاهد البعيدة. وهذا حال الشعراء الأوروبيين أنفسهم، فانهم مولعون إلى حد ما بالأخيلة والمشاهد الشرقية، وفى ولوعهم هذا إتمام لأدبهم. فلا عجب إذا أولعنا نحن الشرقيين إلى حد ما بالأخيلة والمشاهد الغربية وفى ولوعنا هذا إتمام لأدبنا. وانى لاأرى فى هذا شيئا من العيب كما لا أرى عيبافى تأثرالشعراءالمعاصرين بعضهم ببعض وانما العيب فى جحود ذلك.

أما ماامتاز به صديقى صاحب الديوان فهو شغفه بريف مصر وبالطبيعة المصرية، وهذا ما أوحى اليه تسمية ديوانه الأول «أغانى الكوخ»، وقد صدق الصدق كله حين قال: «لم تكن الروح التى أوحت أغانى الكوخ .... وليدة عام أو عامين أو أكثر، ولكنها فى الحقيقة وليدة شباب كامل حضنته الطبيعة فى ريف مصر منذ الطفولة اللاهية إلى عهد قريب تغلغلت به روحى الشابة فى جميع مظاهر الطبيعة وأسرارها حتى امتزجت بها الامتزاج الذى أورثها الحنين الدائب إلى تلك الحياة الهادئة بين الحقول المصرية الممرعة، والقرى النائمة على ضفتى النيل الزاخر، وخفقت فى دمى الشوق الملح إلى الحياة بين رباها وأزهارها، ونحلها وأطيارها. ونخيلها السابح فى سكون الفضاء كأنه معاصم نساك تطير الدعوات للسماء، وأكواخهم البريئة التى تشركهم فيها الدواب ودواجن الطير وتقاسمهم

شظف العيش وبؤسه فى حياتهم الطبيعية التى لم تخرجها عن القنوع والغبطة تلك النزعات التى تلتهم بها المدينة عيشها التهاما ، فى تناحر ماتت به كل معانى الرحمة والتعاطف بين الأسرة البشرية المتحضرة ! »

•

ونحن نمجد فيه روح البر بالفلاح المصرى البائس ونحترم عواطفه النبيلة ، كما نحترم فنه الرفيع الذى يقول عن كوخ الفلاح :

هُنا خبايا النفس مطمورةٌ غَشَّى عليها الزمنُ الجائرُ

ويتفنن فى وصفه غير ناس كلبه الساهر ولا بلوى صاحبه :

شهدتهُ يذرو دخانَ الأسَى والوجدُ فى كانونهِ ساعرُ
تبكى سواقى الحقل أشجانَه وما بكاه مَرَّةً شاعرُ
والبائسُ الفلاَّحُ فى رُكْنِه عريانُ يَشكو ضنكَهُ ، خائرُ
شالتْ بزرع النيلِ أكتافهُ وما رعاهُ البلَدُ الغادر
لها بزيفِ الغَرْبِ فى مُدْنِه والريف من أوجاعِهِ حائرُ

وحبه للطبيعة المصرية يجعله يبدع إبداعاً خاصاً فى وصف « زهرة القطن » التى نعتها بكنز الذهب الأبيض وقد هتف يخاطبها :

يا عروساً لم تزيِّنها يَدٌ غيرُ كفِّ المبدعِ الفنِّ الصنَّاعْ
عقدتْ إكليلَها من سوسنٍ باهتِ الأفوافِ تبرىٌّ القناعْ
مستعارٍ من ضَنَى العشقِ ومن لوعةِ الهجر ومن لونِ الوداعْ
يسجدُ الشاعرُ من فتنته سجدةَ الفنِّ زها حُسناً وراعْ
عانقتْ طيفَ الضُّحَى واكتأبتْ لأصيلٍ لاحَ مخنوقَ الشعاعْ

إلى آخر هذا التفنن فى الوصف الشامل للزهرة والطبيعة ثم لنكبة الفلاح بها.

ومن ألطف قصائد الديوان « الناى الأخضر » ، واصفاً لهو الطفولة بعود البرسيم الآخضر خلف السوائم الراتعة فى الحقول ، وفيها يقول :

زمَّارتى فى الحقول قد صدحتْ فكدتُ مِنْ فَرحتى أطيرُ بها
الجدْىُ فى مَرتعى يراقصُها والنّحْلُ فى ربوتى يجاوِبُها
والضَّوْء من نشوةٍ بنغمتها قد مال فى رأده يُلاعبُها
رنا لها من جفون سوسنةٍ فكاد من سكرة يخاطبها
نفختُ فى نايها فطرَّبنى وراح فى عُزاتى يداعبها
سكران من بهجة الربيع بلا خمر به رقرقت سواكبها

ونحن نجد للمرأة أثراً قوياً فى نفسية شاعرنا يتجلى فى جميع قصائده كما تتجلى الطبيعة الوسيمة ، وهذا واضح على الأخص فى قصائده « فى المحراب » و « وقفة حيال القصر » و « خمر الانوثة » ونحس أن تلك الوقفة حيال القصر مسئولة عن هذه الثروة الفنية التى تزدان بها غزليات هذا الديوان ، وهى جزء من رسالة شاعرنا التى تشمل الطبيعة وتحليلها ووصف كل ما يمت إليها بصلة والحنين الملح إليها وهذا سر حدبه على الفلاح ، وإن كان لوفائه المطبوع ما له فى التشبث بالدفاع عن حقوق زميله فى قريته . أليس هو القائل :

إيه ياقريتى ! أصيخى لشادٍ سكبَ اللحنَ فى رنين شجىّ
شاعرٌ هزَّه هواكِ فغنّى لكِ أنشودةَ الجمالِ البهىّ
مَـدَّ أوتارَه أشـعةَ بدرٍ غارقاتٍ فى صمتكِ السرمدىّ
ساحراتِ النُّهَى برعشة أطيا فٍ تَراقصْنَ فى الفضاء الوضىّ
ذاهلاتٍ كأنها حُلْمُ صَبٍّ تاهَ فى سكرة الهوى العذرىّ
صدحتْ بالجلال فى صمتها السا هى لسرّ محجَّبٍ أزلىّ
بَهرَةٌ للعقول تُمْلى على الكو نِ نداءَ الطبيعةِ العلوىّ

أرأيت كيف يتصوف هذا الشاعر الفنان فى حب قريته ؟ أقدرت لماذا يحدثنا عن « سنبلة تغنى » (ص ٥٣) وعن « زهرة الفول » (ص ٥٦) وعن « الراعى » (ص ٨٠) وعن « الفردوس المهجور » (ص ١٢) ؟

ليس محمود حسن اسماعيل بالشاعر الدعى . وهو لهذا يثور على التهريج الأدبى وعلى الخلط ما بين الأدب والدعايات الشخصيـة والاعلانات الجوفاء ، فمن حقه علينا أن نشيد بنضوجه وألمعيته وإحساسه المرهف المتجاوب أوثق التجاوب مع جيله وعصره . ومن الأمثلة العليـا لشعره بل لشعر الشباب قصيدته « زهرتى » — ص ١٢٢ — التى يشوقنى أن أردد أبياتها كاملة :

ولى زهرةٌ طيَّبت مُن عطرِ ها دمى وضمَّختْ رُوحى من شذاها وأنفاسى
على شاطىءٍ من فيضِ روحى تفتَّحتْ وراحتْ تَعَبُّ الرىَّ من نبع احساسى
مكَلَّلَةً بالنُّورِ تَحسبُ وشيَها وَميضاً من الصهباءِ يُشرقُ فى كاس
تَميسُ على قلبى إذا هزَّها الهوى فتفضحُ بالإدلال ريَّانةَ الآس
غذاها السنَا من زاخرِ اللَّمحِ فاغتدت تَبَلَّجُ فى هالاتها فتنةَ الناسِ
كأنى بها نفْحٌ من الخلد رَوَّحَتْ أفاويحُهُ عنى ضَنَى عُمْرِىَ الآسِى
بروحىَ من أنفاسها عطْرُ جنَّةٍ تراءتْ بحُلْمٍ رائعِ الطيف ميَّاسِ
وأنداءِ فجرٍ أسكر الروحَ نَسْمُهُ وطَهَّرَ بالأعطار إثمى وأرجاسى
بروحى حنانٌ شعَّ مِنْ جنباتها كما فاض فى جُنحِ الدُّجَى ضوءُ نبراس
رشفتُ نعيمى نشقةً من عبيره وشرَّدْتُ آلامى على نفحِهِ الآسى

وهذه القطعة الغرامية الرمزية تمثل ديباجة الشاعر على أحسن صورها : رصانة فى موسيقى عربية صميمة منسجمة مع الذوق العصرى كل الانسجام .

وفلسفة صاحب الديوان ليست دعاوى منتهبة من مطالعاته كما يفعل بعض المتشدقين بالفاسفة بل هي فلسفة المصلح الاجتماعي الاشتراكي النزعة الديمقراطي الايمان ، وهذا هو المرتقب ممن يذود عن الفلاح هذا الذود المتمشي في جميع ديوانه والذى يقول عنه وعن كوخه :

كأنّه حكمة عمياء نائمة في عاطلٍ من فجاج الفكرِ مخروبِ

فصاحب « أغاني الكوخ » هو الشاعر الريفي الأصيل الذى نحتاج إلى أمثاله في نهضتنا القومية الحاضرة بعد أن غفل الحكام طويلا عن حقوق الفلاح واعبائه. هذا الشاعر الوطني المصلح جدير بتحيتنا وإعجابنا ، وليس لنا أمام هذه التحية والاعجاب أن نقف عند كلمة لانستسيغها أو عند نبرة لانتذوقها فالشعر أسمى من هذا . وليس من شك في أن « أغاني الكوخ » باقة سرية يزدان بها الشعر الحديث ونحن الغانمون بحيازتها ، وليس من شك في مستقبل هذا الشعر الحي وفي أن نبوغ صاحبه كفيل بآثار أخرى قوية مشرقة تزيد من خصوبة أدبنا الحديث ؟

ضاحية المطرية في ٧ يناير سنة ١٩٣٥ احمد زكى أبو شادى

في علم النفس
الجزء الثالث
تأليف

محمد عطية الابراشي و حامد عبد القادر
المفتش بوزارة المعارف وكيل كلية أصول الدين

أخرج لنا الزميلان الفاضلان الابراشي وحامد عبد القادر في خلال العامين الماضيين جزأين كبيرين في علم النفس ، عززاهما اليوم بثالث ، هو تتمة للبحوث القيمة التي كتباها في الجزأين الأول والثاني . وتعتبر الموضوعات التي يتناولها هذا الجزء الثمرة الحقيقية لدراسة علم النفس ، بل هي تكاد تستغرق موضوع علم النفس ، ففيه الكلام في الفكر ، والوجدان ، والارادة . وما يندرج تحت كل منها

من البحوث . وتلك هى مظاهر الشعور الثلاثة التى تعتبر المحور الأساسى للدراسات النفسية .

ويقع هذا الجزء فى نيف وأربعمائة صفحة . وقد سد فراغا كبيرا فى عالم التأليف العربى . وفى اعتقادى أن مكتبتنا العربية لم تتلق بعد العدد الكافى من المؤلفات النفسية ، ولكنها تسير نحو الكمال بهذا الكتاب وأمثاله .

وقد عنى المؤلفان الفاضلان باستعمال مصطلحات عربية بعضها من اختيارهما وبعضها من وضعهما . وجهدهما فى الحالتين مشكور . وقد ذيلا كل باب بأسماء المراجع الانجليزية التى رجعا إليها .

ولولا أن الكتاب وصانا متأخرا لأفضنا القول فى نقده بما يستحق وربما كانت لنا عودة إليه ؟

مهدى علام

روضة الانشاء ـ للسنة الثالثة الابتدائية
بستان الانشاء ـ أول ـ للسنة الثالثة الابتدائية
بستان الانشاء ـ ثان ـ للسنة الرابعة الابتدائية

تأليف
على الجندى
المدرس بمدرسة الناصرية الاميرية

حديقة الانشاء ـ أول .
حديقة الانشاء ـ ثان .
حديقة الانشاء ـ ثالث .

للمدارس الثانوية والمعلمين والمعلمات

و
حسن علوان
المدرس بمدرسة شبرا الأميرية

هذه مجموعة طيبة من كتب الانشاء تدرج فيها مؤلفاها مع التلاميذ . وقد اشتمل الجزء الأول من « الحديقة » على موضوعات الوصف ، والثانى على موضوعات فى الحديث عن النفس ، والفخر ، والمحاورة ، والخواطر النفسية ، وحوى الجزء الثالث الموضوعات العامة ، والخطب ، والرسائل .

وفى هذه الكتب عون كبير للتلاميذ فى توسيع مداركهم ، وتنمية معجمهم اللغوى ، وتهذيب أسلوبهم الأدبى . وقد حلى المؤلفان كثيرا من موضوعاتها بالصور ، معتمدين على المحسوس قبل المعقول ، كما يقضى بذلك تعليم النشء .

وأراهما يبدأان بعض الموضوعات بالتعريفات ، وفى الحق أنهما لم يسرفا فى ذلك ، ولكنى كنت أرجو العدول عن ذلك القليل تمشياً مع سياسة الكتاب فى تقديم الموضوع لقارئه من أشوق نقطة فيه ، لا من أول نقطة فيه .

ويميل المؤلفان قليلا إلى الاغراب والمحسنات البديعية فى الأجزاء الثانوية . أما الاغراب فلا أرى له ضرورة البته . وأما المحسنات البديعية ، فأرى الاقلال منها للسنوات المنتهية التى تستطيع أن تسيغ مثل تلك المحسنات .

وأسلوب الكتاب ينم عن قلم فتى أديب ، وهو وليمة أدبية تعددت ألوانها وتنوعت صحافها .

مهدى علام

كتاب التاج

فى تطبيقات اللغة العربية للمدارس الابتدائية

ثلاثة أجزاء للسنوات الثانية والثالثة والرابعة .

تأليف

محمد لبيب و سيد طه القصاص و سيد على أحمد و حسن محمود حسونه

المدرسين بمدارس الأوقاف الملكية

لقد نجح مؤلفو هذا الكتاب فى وضع تمرينات متنوعة وافية على كل باب من أبواب القواعد العربية المقررة فى المدارس الابتدائية . وضمنوا هذه الأجزاء كثيراً من أسئلة اللغة العربية فى امتحانات المدارس الابتدائية المختلفة ، والامتحانات العامة . ووضعوا عدة نماذج للاجابة تهدى التلاميذ سواء السبيل وهو مجهود مشكور يقدره المعلمون الذين يعانون اختيار التطبيقات لتلاميذهم . ومما هو جدير بالذكر والشكر أنهم لم يقصروا كتبهم على تطبيقات القواعد ووضع ملخصات للقواعد موضحة بأمثلة متعددة ، بل خرجوا إلى المحادثة والانشاء مما يعتبر غاية لدراسة اللغة العربية .

ولعل أهم ما أوجهه من النقد إلى هذا الكتاب أن عدداً غير قليل من الأمثلة في الجزء الثالث لم يخرج عن دائرة ضيقة في حياة الطفل المدرسية ، أو إذا خرج عن ذلك فالى الحكم والنصائح التي أعتقد أن الطفل يحفظها من غير أن يفهمها . فمن النوع الأول : فهم التلميذ الدرس ، وافهم المعلم التلميذ ، واستعاد المجد دروسه وفرحت بالنجاح ، وقرأت دروسي . ونال المجد جزاءه ، وسألت الأستاذ ، وقرأت الكتاب ، وفهمت الصعب ، ويتعلم الراغب في العلم ، وفرح محمد بنجاحه ، وعظم شأن المجد ، ومنحت الناجح مكافأة الخ الخ من هذه الجمل وأشباهها وهي جمل لاتزيد على مايسميه صديقي الأستاذ عبد الحميد حسن « الجمل النحوية » أي التي لاتؤدي إلا غرضاً نحوياً ، ولو ضحت في ذلك بالغرض العقلي الذي ينبغي أن يكون رائد كل جملة مفيدة .

ومن النوع الثاني : وعيت النصح ، يستقيم العاقل ، اسمع النصح ، انتفع بالنصائح ، استقم في عملك ، استقامتك مفيدة ، اسمع النصيحة ، عظم المعلم ، الخ من مثل هذه الجمل الجوفاء التي يرددها الصغار دون أن يفقهوا لها معنى محدودا ونحن نريد أن تؤدي الأمثلة ـ إلى الجانب النحوي ـ الجانب اللغوي والاجتماعي فتوسع دائرة اللغة عند التلميذ ، وتصله ببيئته ، وتعده للتعبير عما سيصادفه في حياته الخارجية التي لا شك أنها لن تقصر على مدح النجاح في الدروس وذم الكسل والتواني الخ .

وبعد فالكتاب على رغم هذا النقد كتاب جليل النفع عظيم الخير .

مهدي علام

المحفوظات المختارة
للمدارس الابتدائية
تأليف

أحمد علي عباس و عباس حسن
المفتش بوزارة المعارف العمومية المدرس بمدرسة الناصرية

كتاب فى أربعة أجزاء لكل سنة دراسية جزء ، وقد ضمنه المؤلفان كثيرا من مختار الشعر والنثر ، مما يعتبر زادا أدبيا جميلا لتلاميذ المدارس ومساعدا قريب المنال للمدرسين .

ولن ينقص الكتاب قدره بعض ملاحظات عن أمور نتوجه بها إلى صديقينا المؤلفين ليصلا بكتابهما إلى الكمال المنشود ، ولا سيما أن طبعات الكتاب تتعدد بسرعة تدل على تقديره ، فبين أيدينا الطبعة الخامسة للجزأين الأول والثانى ، والطبعة الرابعة للجزأين الثالث والرابع .

ففى الجزء الأول نود أن تغير صورة الفتى الصياد (ص ١٦) القابض على عقرب ظنها جرادة ، تغييرا يشعر الناظر بأن الفتى قابض على عقرب :

قد لدغت أصبعه تريد أن تردعه

وفى صفحة ٣٤ من الجزء عينه نفضل تغيير صورة الكوث الذى فى قدم الأم بما يجعله من النوع الذى يليق أن نعرضه على تلاميذنا ، وقد تكررت هذه الصورة فى ص ٤٣ من الجزء الثانى ، وص ٥٩ من الجزء الثالث .

وفى ص ٢٧ من الثانى نقرأ :

انظر إلى الجمل الكبيـــــير يقوده الطفل الصغير

ولكننا ننظر فى الصورة فلا نرى إلا جملين أحدهما كبير والآخر صغير

وكنا نود ألا يكتفى المؤلفان فى شرح ضواحى القاهرة ، فى حاشية ص ٣١ من هذا الجزء بقولهم عن كل منها : ضاحية معروفة أو مشهورة . بل كان الأفضل توضيحها توضيحا أوفى بوصف موقعها من القاهرة ، وبسطر أو نصف سطر فى أهم مزاياها .

وفى الجزء الثالث ص ٣٦ نرى صورة الكباسات من فى النخلة غير طبيعية مما كان يمكن تداركه بسهولة . وكذلك فى ص ٣٨ من نفس الجزء .

وفى ص ٦٢ من الجزء الثالث صورتان لأسد وضفدع ، ولكن لا تناسب بين الصورتين فصورة الضفدع أكبر من صورة الأسد . وشبيه بهذا ما تراه فى ص ١٦ من الجزء الرابع ، ففيها صورة أم تنصح ابنتها ، ولكن الناظر لا يجد فرقا يذكر فى السن بين الصورتين .

هذه ملاحظات قليلة نأمل أن يدرسها المؤلفان الفاضلان لدى إعادة طبع الكتاب ، وهى تكاد لا تذكر بالقياس إلى ميزات الكتاب التى نرى من الانصاف لها أن نحيل القارىء على الكتاب نفسه للاطلاع عليها . ولكنى لا أستطيع أن أغفل هنا اقتباس قطعة من أجمل القطع التى اختارها الصديقان ، وهى نموذج لحسن ذوقها فى الاختيار :

جدتى

لشوقى

مشى أبى يوما إلى مشية المؤدب ،
غضبان قد هدد بالضرب ، وإن لم يضرب :
فلم أجد لى منه غير جدتى من مهرب
قد صيرتنى خلفها أنجو بها وأختبى ،
وهى تقول للأب ، بلهجة المؤنب :
« ويح له ، ويح لهذا الولد المعذب !
ألم تكن تصنع ما يصنع ، إذ كنت صبى؟»
ما أرأف الجدة بى ! أحنى على من أبى .
وكل شىء سرنى تذهب فيه مذهبى .
إن غضب الأهل على كلهم لم تغضب .

مهدى علام

(١) المحفوظات ومتن اللغة للمدارس الثانوية للسنة الأولى

(٢) المحفوظات ومتن اللغة للمدارس الثانوية للسنة الثانية

(٣) المنهج الجديد فى تاريخ الأدب العربى وشرح النصوص ومتن اللغة للسنة الثالثة الثانوية

(٤) شرح النصوص الأدبية ومتن اللغة للسنة الرابعة بقسميها

(٥) » » » » » للسنة الخامسة الثانوية الأدبية

(٦) المنهج الجديد فى تاريخ الأدب العربى للسنة الخامسة بقسميها

تأليف

محمود السيد عبد اللطيف — محمد منصور جنيد

المدرس بالمدرسة الابراهيمية الثانوية — المدرس بمدرسة الخديو اسماعيل الثانوية الملكية

أهدى إلينا هذه المجموعة النافعة صديقانا الفاضلان . وقد قرأناها فألفينا فيها وليمة عجلى سهلة الهضم فى كثير من ألوانها . وقد قدمها الأستاذان لطلاب المدارس الثانوية ومعلميها ، فاستودعا قليلا من الصفحات ، كثيراً من المعلومات .

ولنا أمنية نتقدم بها إلى المؤلفين : هى ألا يضنوا على الطلاب بالشرح المستفيض وعقد الموازنات النافعة كلما دعا داع لذلك ، فان دراسة الأدب إنما تنجح حينما يتذوق الطالب طعم الأدب بالدرس المستفيض والمضاهاة المستنير فعند شرح بيت أبى العتاهية فى مدح المهدى .

وإن الخليفة من بغض لا إليه ليبغض من قالها

يحسن اقتباس بيت الفرزدق فى على بن الحسين :

ما قال لا قط إلا فى تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم .

وكذلك عند ما نشرح بيت الجرجانى فى مدح العزلة :

إنما الذل فى مخالطة النا س فدعهم ، وعش عزيزا رئيسا

نفضل تعريف التلاميذ ببعض ما قاله غيره فى وصف العزلة من مثل :

بعدى عن الناس بره من سقامهم وقربهم للحجا والدين أدراء

أو :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطير

وما أجدى المقارنة التى نثيرها أمام تلاميذنا إذا ذكرنا لهم عند قول الطغرائى « وإنما المرء بالأخلاق والشيم » قول شوقى :

وإنما الأمم الأخلاق ، ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا !

وكذلك نفضل أن يمهد لشرح القصيدة بموجز عن سبب إنشائها ، وبعض ما أحاط بقائلها وموضوعها . ولا شك أن الطلاب فى أشد الحاجة إلى معرفة الأحوال التى استدعت أن يعتذر البحترى للفتح بن خاقان . بل هم أحوج إلى ذلك منهم إلى شرح المفردات . فالأول يعز عليهم أن يجدوه فى كتب ليست عادة فى متناول أيديهم ، أما الثانى فإنه ، مع حاجتهم إليه ، قد يجدونه فى المعجمات .

ولعل اقتصار المؤلفين فى التمثيل للهجاء بقطعة قريط بن أنيف يهجو قومه ويتهكم بجبنهم لا يخدم الغرض المقصود من الهجاء . وهو ، على أقل تقدير ، لا يساير التعليل الذى ذكره المؤلفان لنشأة الهجاء ، من « ما كان بين قبائلهم من التباغض والحروب الدائمة ، فاحتاج الشعراء إلى ذم من عاداهم ، وإلى التحريض على شن الغارات . فكان حرب اللسان من طريق الشعر ، صدى لصليل السيوف ووقع السهام . »

وبعد فى هذه المجموعة دراسات ، موجزة ، سريعة التحصيل ، لمنهج الأدب العربى فى المدارس الثانوية .

مهدى علام

صحيفة التعليم الالزامى

وصلنا عدد يناير من هذه الصحيفة فنشكر للقائمين على تحريرها — وعلى رأسهم صديقنا المفضال الأستاذ الشيخ محمد حسن الفقى — هديتهم ، ونتمنى للصحيفة الفتية دوام النجاح .

فوق العباب

للدكتور احمد زكى أبو شادى

وصلنا ، والصحيفة فى آخر مرحلة من مراحل طبعها ، هذا الديوان من صديقنا العالم الأديب الدكتور زكى ابو شادي . ونرى من حقه علينا ، ومن حق الأدب كذلك ألا نكتفى بقليل من سطور المجاملة نتعجل بها تقديم الديوان فى هذا العدد. وموعدنا به العدد المقبل إن شاء الله . « م . ع »

المعجم فى بقية الأشياء

لأبى هلال العسكرى

هذا الكتاب فريد فى بابه ، وجديد من نوعه فى البحث فى اللغة العربية : فقد أحيا كثيرا من ألفاظ اللغة المجهولة . أكمله وعلق عليه وضبطه وفهرسه الأستاذان ابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى المتخرجان فى دار العلوم وعضوا اللجنة العلمية الأدبية لجماعة دار العلوم .

والكتاب مطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية على ورق مصقول جيد .

ويطلب من المكاتب الشهيرة بالقاهرة ومن « فريد افندى ابراهيم نجم » رقم ١ شارع جمال الدين بجوار محكمة السيدة الأهلية نظير مبلغ ٦٠ مليما عدا أجرة البريد .

الى

حضرات مدرسى المدارس الحرة

من خريجى دار العلوم

نوجه أنظار حضرات زملائنا المدرسين فى المدارس الحرة لكلمة رئيس الجماعة فى صدر هذا العدد.

صحيفة دار العلوم

فهرس العدد الثالث